طارق وحيد أبو حصوة

# ليل اكس

رواية

دار لوتس للنشر الحر

# ليلاكس

رواية

طارق وحيد أبو حصوة

www.lotusfreepub.com

مشروع النشر الحر - الإصدار رقم: 557

إصدار: مايو ٢٠٢١

.....

رقم الإيداع

2021/11228

الترقيم الدولي isbn

978-977-6883-15-4

الغلاف والإخراج الفني: دار لوتس للنشر الحر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول؛ وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

# «الفصل الأول»

يكفي الحياة دناءة أن يكون سبب تشبثنا بها هو خوفنا من الموت أو ما سيأتي بعده ودافعنا لعبور أمواجها خوف متأصل من الألم زرع في طبيعة البشر عمداً. على مدار أكثر من عشرة آلاف سنة امتلكنا مقداراً من الغباء كان كافياً لتشويه كل ما هو جميل على ظهر هذا الكوكب البائس بنا المستغيث من جنونا وأطماعنا التي لا تنتهي. لكي تشوه كل شيء كل ما عليك فعله هو أن تشوه البشر ليقدسوا إرادتهم دوناً عن أي قيمة أخري, قوة الإرادة؛ دافع واحد, قيمة واحدة مضللة آمن بها البشر حولت هذا الكوكب في نهايات القرن الرابع والعشرين إلي أرض خراب. صنعنا الأوبئة و افتعلنا الحروب ودمرنا المدن العتيقة فأصبحت مدناً مثل الأقصر وصنعاء وروما و أثينا ولويانغ الصينية وباتنا الهندية أراضي خربة مهجورة حتى الآثار التي تدل على قدرتنا على التعالي على أنفسنا دمر الكثير منها وكأننا نكره التاريخ, وكأننا نكره أنفسنا لتفقد الأرض ثلث سكانها وكل إيمانها بأي شيء. في القرون الوسطي كان البعض يري أن العلم هو عداء صريح للرب بيد أن العيب أن يملك هذا المسخ الذي تحول إليه الإنسان وسائل دماره فالبشرية ظنت أن العلم سيعينها على التأله فقتلها العلم ليرسلها إلي أسوء مراحل التاريخ البشري على الإطلاق. والآن في عام ألفان وثلاثمائة وخمس وسبعون أدركنا أن العلم الذي استخدمه الإنسان ليفترس خصوصيات الجميع ليحولهم إلي سلع أو لصناعة الأوبئة من أجل السيطرة على أعداد البشر حسب ما يراه أحدهم مناسباً أو صناعة الأسلحة التي لا تفرق بين رجل و أنثي أو بين طفل

وكهل لتدمر كل أحلامنا بأن نصبح يوماً ما شيئاً أكبر, أكثر من مجرد بشر تفترسهم الطبيعة, كنا نطمح أن نصير أنصاف آلهة نسخر الطبيعة نفعل ما نريد وقتما نريد. اتحدت أوروبا وأمريكا والدول العربية وبعض البلدان الإسلامية لتحارب الصين وكوريا كان الجميع يظن أن الفوز محسوم وخرج الجميع في النهاية خاسرون فما يمكن أن يكتسبه الإنسان من الدمار ويكفي مشهد تحطيم معبد أبو سنبل عندما ضربت الصين مدينة الأقصر بالقنبلة النووية المسماة سيو انج بعد اقتراب قو اتنا من بكين أن يجعل الناس تفهم أن وقتنا على الأرض بدأ في النفاذ. في سنوات الحرب الأولي بعد وباء الكورونا كانت أجهزة الاستخبارات في العالم تستخدم أجهزة الاتصالات في أيدي الشعوب للحصول على معلومات عن كل شيء لتجبر الحكومات شعوبها عن التخلي عن التكنولوجيا تماماً إلا في أضيق الحدود وبعد انتهاء الحرب تخلي مصنعي التكنولوجيا عن الكثير من المميزات لتصبح وسائل الاتصال غير قابلة للاستخدام في التجسس على حياة البشر بعدما وقعت اتفاقية «النو ايا الحسنة» في الرباط.. بعد استقرار الأوضاع التفت العالم ليجد نفسه غارقاً في حالة فقر كاسحة وحين تم اكتشاف وجود أطنان من الذهب في قاع نهر الفرات أظهرت البشرية أسوء ما فيها فتقاتل الجميع من أجل الحصول عليه وأصبحت العراق ميدان حرب عصابات كبير لتقوم حكومة العراق بتفجير قاع الفرات بأكثر من طنان من المتفجرات لتنهي أمل الجميع في الحصول على أي كنز وحق العر اقيين في الماء. وكانت نقطة التحول عندما امن الجميع أن حياتنا والعدم سواء فتصدر العرب بقيادة مصر المشهد من جديد بعدما أصبح الاقتصاد الزراعي هو المجال الر ائد في العالم فعندما أصبح العالم نظامه الفوضى نتيجة التخبط الناتج من مئات الحروب المحلية أصبح الوضع ملائماً لنا أكثر من غيرنا لعدم انخراطنا في حروب محلية فيما

بيننا كباقي الدول فتخلينا عن الأبحاث العلمية إلا ما نحتاجه بالفعل وأصبح الحصول على أكبر قدر من السيطرة هو هدفنا بعدما أنتج أشهر كيميائي مصري في القرن الثالث والعشرين دواءً عرف بعد ذلك بالأفيوكين ليجعل مصر من الدول الكبري الطامحة في السيطرة بعدما أصبحت في مقدمة الدول المصدرة لما يحتاجه الجميع: الزيف والتيه, الهروب من الحقيقة في بخاخ. أصبحنا من قادة النظام اللا سلطوي في العالم بل من مؤسسيه.

***

كان البرد وكأنه يقتدي بالبشر في قسوتهم بالرغم من هطول الأمطار كان الليل قد انتصف ليتوسط القمر السماء مضيئاً جلياً وبالرغم من حالة الاستعداد القصوى التي فرضتها سلسلة من الأحداث الغامضة وفي وسط كل هذا الخراب وبجانب أكوام القمامة التي تحترق جلس ضابطان من المستوي الثاني عند بوابة إحدى المقاطعات في إقليم القاهرة يتبادلون أطراف الحديث وهم يمسكون ببنادق آلية مخصصة لقوات الأعضاء فقط ويرتدون ملابس تدل على عدم انتمائهم للمكان الذي يجلسان فيه. اقتربا من النيران التي اشتعلت في القمامة لعلهم يحصلون على بعض الدفء فقال أحدهم وكأنه يتحايل على الوقت لكي يمر وهو يحك كفيه:

- سمعت الإشاعات اللي عساكر المقاطعة هنا بيقولوها؟

- شرق الإقليم كله إشاعات يا عم! كبر دماغك دي عيال فاضيه الوقفة في الكماين في عز البرد بوظت دماغها!

- لأ بس الموضوع ده غريب: واد من العساكر لما جينا أمبارح قالي أن الناس بتقول إن اللي مولع في شرق الإقليم كله وسبب الحروب دي كلها بين عصابات المقاطعات واللي مغرق شرق القاهرة هروين ده شخص واحد وان هو عيل صغير عنده خمسة وعشرين سنة, تقريباً العيل اللي اسموا رشد الأقرع اللي احنا بندور عليه!

- طيب يعني أنت تصدق الكلام ده؟ مالك يا عم عيل صغير هيعمل كل ده ليه ده ييجي يمسك مجلس الأعضاء على كده!

- ما أنا قلت كده للعسكري فقالي إن الناس بتقول أن هو ساحر وبردوا لو هو مش كده قالبين الدنيا عليه ليه؟!

رد عليه الرجل ساخراً من بلاهته وهو يشعل سيجارة:

- ساحر أيه؟ بيفك أعمال وكده؟! أقلك أنا الصح الموضوع ده فيه مافيا أجنبية, الكوزا نوسترا أو الهيشو دانج دول اللي ممكن يتجرأوا ويشتغلوا فمصر وشكلنا يا صاحبي داخلين على حرب تاني! هتلاقي الواد ده شغال مع مافيا من دول وبرهان!

- عندك حق عشان كده مبيقولولناش أي معلومات عن أي حاجه, هي صورة عيل بس تبع مين بيعمل أيه محدش بيقول.

صمتا قليلاً ليقول صاحب نظرية السحر:

- أنت عارف أن أهل طليقتي مؤمنين, أخوها في مرة قالي أن الساحر ده بيخلق عالم مزيف فبيوهمك أن في حاجة عكس اللي موجودة أو مش موجودة أصلاً.

رد عليه صاحبه مازحاً:

- على كدة الرجالة في مجلس الأعضاء دول كلهم سحرة!

ضحك الرجلان ليقطع ضحكهما نبرة قائدهم الممتلئة بالحماس عبر اللاسلكي قائلاً:

- بوابة مقاطعة الكفر الرئيسية, في حملة من القوات الخاصة متوجهة ناحيتكم هتوصل من خمس لسبع دقائق

رد عليه من كان يمسك بالاسلكي والذي يبدو أنه أعلي رتبة من الآخر قائلاً:

- تمام يا قائد! لقيتوه؟

- اه يا زياد رشد في الكفر, لما القوات هتوصل هتتحركوا معاهم هتبقوا تأمين

ليهم بس مش هتشتبكوا في حالة الاشتباك مفهوم؟!

- تمام معاليك!

ظن الجميع أنهم قد تمكنوا أخيراً من رشد وأنهم سيصلون إلي شقته ليجدوه جثة غارقة في دمائها لكن ما لم يعرفه الجميع أن أضعف ما في البشر رؤيتهم فليس كل ما نراه موجوداً وليس كل ما هو موجود نراه. لم تصل الأحداث إلي ما وصلت إليه بسبب مافيا ولم تكن حرباً بين العصابات من أجل السيطرة لقد كانت حرب رجل واحد ضد كل ذلك.

★★★

# «الفصل الثاني»

جلس رشد في قاعة محاضرات في جامعة عين شمس يمسك كتاباً مهترء أحمر اللون يسمي «هكذا تحدث زرادشت!» كان يبدو منسجماً مع وسطه الخالي من البشر وهو يمارس خلوته اليومية بكتابه. ظل يقرأ ويكتب بعض الملاحظات في دفتره وكأنه يتناقش مع من خط بأفكاره وألمه ذلك الكتاب. لم يحصل رشد على شيء واحد في حياته بسهولة سوى ذلك الوسام الذي ورثه عن أبيه «وسام التفاني في المعركة» والذي كان يعني أن أبيه قد تمادي في التفاني حتى قتل. تلك العزلة التي فرضتها عليه أفكاره وشخصيته وتطلعه دائماً لما لا يجب أن يتطلع إليه وضعت قضباناً حديدية حول روحه وسرعان ما علمه الألم أن يضع قناعاً مرقعاً من التفاهات والمزاح الذي لا معني له لكي يتكيف مع محيطه في الدقائق المعدودة التي قد يقابلك فيها وقد نجح الأمر بعدما اختفت جديته المفرطة في الكلام ومصطلحاته الغريبة عن محيطه ليحوله المجتمع إلي شخصان لا يتفقان أبداً إلا في أنهما لا يشعران بأي شيء إلا الألم والغضب فقط لا سعادة ولا حزن ولا خوف ولا شجاعة لا شيء. لحظات السعادة الوحيدة التي تأتيه تكون في خلوته بأحد الكتب التي تحاوره بالمنطق حتى ولو كان كاذباً بدلاً عن ذلك الزيف الذي التصق بظل البشر دون أن يرتدي حتى رداء المنطق. لم يكن فتيً وسيماً ولا دميماً كانت ملامحه رجولية وعيناه واسعتان إلي حد ما يشي لون بشرته بشمس مصر و ابتسامته الدائمة تؤكد مصريته. لحظات السعادة لا تدوم طويلاً فلم تمضي لحظات حتى اكتسح هدوء القاعة ضجيج الطلاب المتو افدون ليعلن عن ميعاد محاضرة تاريخ الفكر. ظل الجميع ينظرون إليه بتعجب وكأنه في مكان لا

يفترض به الوجود فيه, البعض أشار إليه ليضحك مع أصدقاءه همساً أو جهراً فلا فرق كبير عند الجميع لكن عنان ابنة رئيس مجلس أعضاء المافيا في مصر كانت مختلفة فبالرغم من أنها كانت فاتنة الجامعة إلا أنها كانت فاتنة مميتة بعيدة عن المنال. اقتربت منه عنان وهي تشير إليه بسخرية لتقول:

- يا حرام! أنت على طول قاعد حاضن كتاب كده؟!

نظر رشد إليها باستنكار ليري أصدقاؤها من خلفها ير اقبون المشهد باستمتاع تغلب عليه السادية. لم يكن رشد ليستطع الرد على مضايقاتها أو أي أحد غيرها في الحقيقة فرشد كان طالب منحة بمعني أن كل ما يفعله يتم تقييمه بنظام نقاط صنع ليتحمله أصحاب القوي الخارقة فقط ولم يكن رشد ليعطي أحداً الفرصة ليحرمه من تعليمه الجامعي المجاني. ابتسم رشد ثم نظر إلي كتابه مرة أخري وكأن شيئاً لم يحدث فجلست عنان إلي جانبه بعفوية في الشر لا يضاهيها أحد لتلتصق به مخترقه كل الحدود الشخصية ثم وضعت يدها على فخذه وكأنها تغريه وهمست في أذنه بمكر قائلة:

- كل الناس يا رشد بتقول إنك.....

صمتت قليلاً لتنظر في عينا رشد الذي اكتفي بأن يبادلها بنظرة صامته لتكمل حديثها قائلةً:

- بيقولوا انك مبتحبش البنات عشان عمرك ما قعدت مع بنت بس أنا مكنتش مصدقاهم على فكره!

ابتسم رشد ابتسامة مفتعلة وهو يرفع يدها بهدوء من على فخذه قائلاً:

- شكراً جداً بس أنا هبقي مبسوط فعلاً لو انتي شفتي حد تاني تملي فراغك بالتفكير في ميوله الجنسية!

أمسكت عنان بمؤخرة رأس رشد لتقل بتحدي مهين:

- مش عشان أحنا قاعدين في نفس القاعة يبقي أنت من حقك تقول لي

اعمل أيه و أنا هبقي مبسوطه فعلاً لما أنت تفهم أن أنا أقدر أملي فراغي بأي شيء أنا عايزاه.

رد عليها رشد قائلاً:

- غالباً النوع ده من الفراغ مبيتمليش!

دخل الدكتور مراد عثمان ليسود الصمت في القاعة الصغيرة بقوله:

- أتأخرت عليكوا يا شباب؟!

نظر إلي ساعته ليقول:

- هما تلات دقائق! هايل ممكن نقعد في أماكنا عشان نبدأ!

تحركت عنان وهي تنظر إلي رشد بدونية شديدة لتقول الفتاة التي لم تتعلم كيف تضبط انفعالاتها:

- أنت اللي زيك مكانه في الشارع يبيع أفيوكين ولا يشتغل في قهوة بلدي! أنا مش عارفة نظام المنحة ده لازمتوا إيه؟!

حاول الدكتور مراد تخفيف الأجواء قائلا بنبرة مازحة:

- ايه يا معلم عنان مين اللي مضايقك؟!

نظرت إليه عنان باستنكار قائلةً:

- أنت عارفني يا دكتور مراد محدش يعرف يضايقني خاصة لو كان واحد أتولد ميت!

ضحك الجميع عدا الدكتور مراد ورشد الذي جلس ثابتاً في وسط هذه المذبحة النفسية المجحفة التي كان كل الغرض منها شيء يتناقض تماماً مع ماهية رشد وهو أن يلتزم بالدور المرسوم له في الحياة. حاول رشد كثيراً أن يمنع دموعه عن العلن لكن خانته مقلتاه ليهب ذلك الصعيدي في دمه و اقفاً وهو يلملم أشياءه ليغادر حتى استفاق على صوت الدكتور مراد وهو يصرخ به:

- رشد!

نظر إليه رشد وكأنه يقول لقد فاض الكيل ليقول الدكتور مراد:

- أنت عارف أنك لو خرجت دلوقتي هتخسر خمس نقط من تقييمك الشهري!

تحولت نظرة رشد إلي العتاب وصوته قد هزه الضعف قائلاً:

- هل ده هيفرق معاك؟!

ليجبه الدكتور مراد بهدوء به أطنان من الحيادية يتخلله بعض الضحكات المريضة التي صدعت في القاعة بغير خوف قائلا:

- لأ بس هتفرق معاك أنت!

تسمر رشد في مكانه لثانية ليضع كتبه على المنضدة أمامه لتسقط عليها دموع رشد الذي جلس وهو يطرق النظر إلي الأرض

وقف الدكتور مراد عاقداً يداه أمام صدره وهو ينظر ناحية رشد بتعاطف شديد ثم نظر إلي القاعة بعمومها قائلاً:

- المحاضرة اللي فاتت اتكلمنا على الفكر اللاسلطوي وخصوصاً فكر إيرينا إيفاشينكو وإن فكرها بيستند عليه النظم السياسية في العصر الحالي اللي معظم المفكرين سماه «عصر ما بعد الحداثة الحقيقي» النهاردة هنتكلم عن مفكر تاني بطعم عربي أعتقد معظمكوا سمع عنوا وهو «عزيز اليرموكي» مفكر سوري خرج من أنقاض الحروب كما سماه الأوروبيون بطائر العنقاء حد قرأ كتاباته؟!

صمت الجميع ليرفع رشد يده قائلاً:

- أنا قرأت كل كتبه!

ابتسم الدكتور مراد وكأنه توقع إجابة من رشد ليقول:

- تقدر تلخصلنا الفكر بتاعه؟

اعتدل رشد لترتسم على وجهه ملامح الجدية قائلاً:

هو عزيز اليرموكي مبدأياً كان مفكر نبوءاته كلها كانت صادقه يعني قال إن

البشر هيضطروا يتخلوا عن كتير من الترف التكنولوجي لقلة الموارد سواء لأنتاجها أو تطويرها وقال أن الأقتصاد القادم هيكون أقتصاد زراعي نتيجة تلوث مياة الأنهار في دول كتيره جداً بعد الحروب ودي أكتر نبوءتين ليه أتحققوا بحذافيرهم وفكره استند أساساً على أن إذا لم يكن هناك قيم مطلقه العقل البشري يقدر يوصلها يبقي القيمة العظمي هي القوة لأن من غير قوة أياً كانت القيمة اللي أي حضارة هتوصلها هتبقي بدون معني. قال بردوا إن انقسام أي مجتمع لطبقات شيء حتمي وأن الجريمة وعدم الاستقرار السياسي دايماً المنبع الرئيسي ليهم بيكون رغبة الجماهير في أنها تقفز قفزات طبقية مش ممكن تحصل وأن من الانسانية أننا نعمل نظام اجتماعي لا يسمح بالارتقاء الطبقي إلا في أضيق الحدود وفي نفس الوقت يوفر الأساسيات لكل الفقراء على قدر احتياجهم وده من الأدوار اللي المافيا بتعملها.

صمت رشد وكأنه بذل مجهوداً ليخرج هذا الكلام من فمه ليعقب على كلامه:

- أنت متفق مع الكلام ده؟!

رد رشد بحنق:

- ليه رأيي أنا بالذات؟!

- لأني عارف أن كل الناس متفقه معاه بس معرفش رأيك أنت أيه.

صمت رشد للحظه ثم اندفع ذلك الغضب في عروقه على شكل كلمات ليقول:

- أنا شايف أنوا كلام عملي جداً بدليل المكانة اللي مصر وصلتلها نتيجة اعتمادها على الفكر اليرموكي بس مش من العدل أن أنا عشان أقدر احسن من وضعي الاجتماعي أني أبقي مافيجي أو أشتغل في مجال التسلية عشان أبسط الطبقة العليا!

صاحت عنان التي شعرت أن الكلام موجها إليها قائلة:

- هو بيقول أيه ده؟ المافيجي ده.....

قاطعها الدكتور مراد بحزم:

- عنان! متقاطعيش أي مناقشة بيني وبين أي طالب!

صمتت عنان وهي تنظر لرشد بغضب ليكمل الدكتور مراد النقاش قائلاً:

- إنت عارف يا رشد أنك تقريباً رابع طالب ياخد منحه في الكلية هنا من خمسين سنة اللي قبلك على طول كان أنا و أنت تقييمك أعلي مني ومن اللي قبلي. أنت عبقري يا رشد وشاب بعقليتك ممكن يبقي عندوا فرص كتير بس لو اتعلمت تتعامل مع البشر. أنت ممكن تبقي عضو فأي لجنة تخطيط وفي خلال سنين تبقي رئيسها سواء في الحكومة أو الأعضاء.

ضحكت عنان بصوت عال وتبعها بعض أتباعها فيما فعلت ليكمل الدكتور مراد حديثه وهو يشعر بالضجر من أفعالها الطفولية قائلاً:

أقل حاجة هتطلع تدرس وعشر سنين بالكتير وهتقف مكاني هنا. العدل أن محدش ياخد حاجه مش من حقه! الحكومة مثلاً بتعلم كل الناس تعليم ابتدائي مجاني لأن ده عدل لازم كل الناس تتعلم القراءة والكتابة لأن دي من أساسيات الحياة لكن بعد كدة التعليم الاعدادي والثانوي بفلوس لأن مش كل الناس اتولدت عشان تتعلم زمان كان في مجانية تعليم لحد الثانوي والجامعة كانت تقريباً مجانية إلي حد ما وكان الشباب بيتخرجوا مبيعرفوش يكتبوا ويقروا ودي مش حاجه ليها علاقه بنظام التعليم أكتر ما هي ليها علاقة بأن مش كل الشباب دول كانوا عايزين يتعلموا هما كانوا عايزين ياخدوا شهادة عشان يشتغلوا ويرتقوا اجتماعياً والنتيجة كانت فترة كساد اقتصادي رهيبة لأن رؤوس الأموال هربت من البلد عشان مفيش عمالة ماهرة تقدر تكبر شغلها وبالتالي ده الصح والعدل لأن من الظلم أني أحط حد في تجربة أعلي من قدراته. لكن في نفس الوقت أنت أهو مثال حي واخد منحة مجانية تماماً وبتدرس في كلية خرجت رؤساء مجالس سواء أعضاء أو حكومة

لأنك تستحق وحاربت لحد أما وصلت هنا. متفق معايا لحد دلوقتي؟!

رد رشد قائلاً:

- اه طبعاً كلام منطقي.

أومأ الدكتور مراد برأسه قائلاً:

في حاجة تانية مهمة أن الناس ممكن ترتقي من الطبقة الفقيرة للطبقة الوسطي بسهولة بالعكس الطبقة الوسطي حجمها أكبر بكتير من الطبقة الفقيرة نتيجة فكر أيرينا أن المافيا قدرت توفر فرص عمل بربح كويس في مجالات مناسبة للفقراء تماماً زي صناعة المخدرات أو الدعارة أو الأفلام الإباحية اللي تقنينها ضاعف ميزانية البلد خمسة وعشرين ضعف وبالتالي بقي في عندك حاجة مكانتش موجودة قبل كدة في التاريخ اسمها أمان طبقي يعني صعب تبقي من الطبقة المتوسطة وتيجي أزمة اقتصادية تنزلك للطبقة الفقيرة لأن المافيا مبتسبش رجالتها بعكس رجال الأعمال زمان وده عدل في رأيي!

التفت الدكتور مراد لينظر للجميع قائلاً:

- في حد عندوا أي تعليق على كلامي ولا كلوا متفق معايا؟!

ساد صمت يوحي بالموافقة فأكمل الدكتور مراد كلامة قائلاً:

- اليرموكي مكانش بيكره الفقراء بالعكس هو نفسوا عاش ومات فقير لكنوا كان منطقي وحاول يحصل للفقراء على أكثر صفقة و اقعية ممكنه. على الجانب الاخر الطبقة الغنية سواء من المافيا أو الحكومة بيفرض عليها مهام صعبة جداً وتقييمات دورية من مجلس الحكومة ممكن بسببها يخرج من الدايرة اللي هو فيها ويبقي من الطبقة الفوق متوسطة وعشان كدة راجل زي أبو عنان عمل مشروع التسع قلاع اللي كان فكرة عبقرية أنوا جدد القلاع الأثرية التسعة اللي موجودة في مصر وحولها لأغلي تسع فنادق في العالم عشان

تدخل لوحدها خمسة مليار جنية في السنة. الارتقاء بتيجي معاه ضغوطات ومسئوليات محدش متخيلها والفكرة أن القانون الطبيعي بيقول أن اللي بيفيد المجتمع دايماً بيرتقي مهما كانت الصعوبات لكن الجهلاء ملهمش مكان وزي ما اليرموكي قال: الجهل أختيار في الأساس لأنه لم يحدث مطلقاً أن اجبر شخصاً غيره على التفكير. وده كلام صح و أنا اعتقد أن الإنسان دايماً هو اللي بيعلم نفسه محدش بيعلم حد في الاخر هتلاقي نفسك قدام كتاب مفيش بينكم وسيط وفي اللحظة دي في ناس كتير بتفقد شغفها للعلم ده لو كان موجود من الأساس.

انتهت المحاضرة ليضرب رشد الطرقات عائداً إلي منزله وهو يفكر في أمر واحد وهو أن كل ما قاله الدكتور مراد منطقي لكن كان هناك شيء ما بداخل رشد ضد المنطق يري أن هذه القوانين لا يجب أن تنطبق عليه فقراءة التاريخ تجعل للإنسان عقلاً مستعصياً على العبث.

★★★

# «الفصل الثالث»

في صباح يوم شتوي بامتياز, ابتلعت الغيوم الشمس وتساقطت قطرات المطر بنعومة لتداعب شعر جنة المنسدل على ظهرها على شكل ضفيرة كستنائية اللون. وقفت جنة في محطة المترو تنتظر القطار مع غيرها من المنتظرين. بدت على جنة علامات حزن شديدة , سالت دموعها ببطء مع اقتراب القطار وفجأة قفزت جنة ليختلط لحم جسدها بعجلات القطاروتسيل دماؤها على قضبانه. ماتت جنة لتهرب من جحيم دنيا قواعدها ظالمة.

قبل أن تعرف لماذا قفزت جنة لتحتضن الموت بدلاً من أن تعانق الحياة وتعتنقها, لابد و أنك تتساءل ما الذي يجعل إنساناً يتخلي عن حياته باختياره؟ أولنعمق تساؤلنا قليلاً ما الذي يجعل إنساناً يرفض الحياة بينما الحياة هي في الو اقع كل ما نملكه حقاً؟ والحقيقة هي أن من لا يستطيع أن يعيش كإنسان يصبح شيئاً أو سلعة والأشياء لا قيمة لها ولا داعي للاحتفاظ بها إن كانت تسبب الألم.

جنة فتاة خمرية اللون شديدة الجمال عيونها واسعة ذات لون بني وشعرها ناعم طويل واعتادت جنة أن تجعله دائما على شكل ضفيرة مثل أمها كانت قصيرة لكن ذات أنوثة طاغية وجسد ممشوق القوام وجاذبية يصعب مقاومتها. كانت والدتها دائماً ما تخبرها بأنها ستتزوج سريعاً لأنها جميلة أما والدها الشيخ أسامة فكان دائماً ما يخبرها بأن الله أنعم عليها بنعمة الجمال لكن «خدي بالك يا جنة لأن جمالك ده فتنة وربنا هيحاسبك عليه, يعني ممكن يتقلب عليكي ويبقي لعنة.»

تخيل عندما ينظر إليك والداك كجسد جميل أو لعنة. كان الجميع لا يري

جنة على حقيقتها. كانت جنة فتاة مقبلة على الحياة متمردة مثل لبؤة حرة في البرية لا يوقفها شيء إذا خرجت للصيد وبالرغم من أن البيئة التي تربت فيها بيئة محافظة ومتدينة إلا أن غياب المنطق السليم جعل جنة تتمرد على أسرتها وقيمهم و أفكارهم. فهي تربت على أن تعبد الله لكن لم يخبرها أحد لماذا تعبده كان أباها يخوفها من الاختلاف ويصور المخالفين لفكره على هيئة شياطين وحينما يكون هو المخالف للبقية يقول لها «لا يضير أهل الحق قلتهم» أما الحقيقة هي أنه عندما يغيب المنطق يصبح حتى الحق باطلاً.

بلغت جنة عقدها العشرين قبل انتحارها بشهرين وكأي شخص يشك في القيم التي تربي عليها لجأت جنة إلي التجربة في بداية حياتها التعيسة إذ أنها آمنت بأن التجربة هي ما يفصل بين الصواب والخطأ. بدأت جنة بخلع الحجاب سراً بعد خروجها من المنزل فلقد أجبرها أباها عليه منذ أن كانت ابنة عشرة أعوام, أهملت دراستها و انجرفت وراء روح المغامرة لديها ووراء غرائزها بالرغم من صغر سنها, لم تكن للتجربة عندها حدود. مع أصدقائها جربت جنة كل شيء محرم لكنها كانت ترفض حتى التعامل مع الرجال فهي كانت تري الرجال كائنات بغيضة ومثل والدها لا يرون إلا صورتها ولا يهتمون إلا بجسدها فقط إلي أن قابلت أمين شاب يكبرها بأربعة أعوام, ميسور الحال, لم يكن وسيماً لكنه كان يعرف كيف يروض تلك المرأة الحرة بداخل جنة الطفلة كان يحسن معاملتها وأعطاها زمام الأمور فقد كان ضعيف الشخصية. كان أمين يعيش بمفردة في حي راق, والده الذي يعمل محامياً لمافيا الإسكندرية ترك أمين وهو ابن عشرون عاماً «ليعيش حياته» كما قال و انتقل ليعيش بالإسكندرية وأمه متوفاة. أحبت جنة أمين حباً شديداً لكنها لم تكن تعرف أن هذا الحب المزيف سيقودها للموت.

فتح أمين عين جنة على عالم لم تكن تعرفه , فتح لها باباً يقود إلي جهنم, باباً

يوصل إلي السحروالجمال أو ما يعرف بين مدمنين الهروين بالجبل. أدمنت جنة الهروين و انساقت وراء شهواتها وغرائزها بغو اية من أمين فحملت منه وهي لا زالت في عامها الثامن عشر. بالطبع تم قتل الجنين لكن مع موته ماتت جنة وماتت علاقتها بأهلها. أباها الشيخ أسامه تبرأ منها وأصبحت جنة فجأة بلا أهل وبلا مأوي لا تملك سوي نفسها.

عرض عليها أمين أن تعيش معه في بيته وهي بلا خيارات و افقت على أن تعود للرجل الذي تركها تواجه أهلها بمفردها الذي تركها تقتل جنينها بدون أن يبدي أي امتعاض. كانت جنة تدرك جيداً أن عودتها لتعيش مع أمين تعني أنها أصبحت ملكاً له حتى وإن لم ترد ذلك. وفي وسط كل هذه العواصف التي تفتك بحياتها وتقلبها رأساً على عقب لم يكن يشغل بال جنة سوي أمراً واحداً: «كيف ستحصل على الهروين؟» الآن أمين يعطيها ما تريد مقابل ما يأخذه في المساء على السرير, لكن ماذا عن غداً؟ ماذا سيحدث إن مل أمين من جسدها؟ ماذا سيحدث لها عندما يذهب أمين للخدمة العسكرية وهو أمر محتمل؟ قد ينتهي بها الأمر في الشارع فقررت أن تلعب دور الذئب بدلاً من دور الحمل الوديع وهي لا تعرف أن الذئب حمل والحمل ذئب وأن عقلها الصغير لم يستوعب حجم المأساة بعد.

★★★

# «الفصل الرابع»

كانت الساعة الثانية والنصف صباحاً وقف شاب وسيم فوق سطح أحد البنايات عيناه البنيتان تتلاءمان مع شعره البني قصير إلي حد ما لكن مفتول العضلات بالرغم من أنه نحيل قليلاً لا يكدر بشرته الخمرية إلا تلك الدوائر السوداء حول عيناه يحمل في يده اليمني زجاجة بيرة خضراء اللون وفي اليد اليسرى سيجارة نحيلة تفوح رائحتها العطرية لتملأ الهواء من حوله وقف روماني ممسكاً السور بيده مبتعداً عنه ثم حاول أن يختلس نظرة لأسفل وكأنه يجبر نفسه عليها وبمجرد أن التقت عيناه بالشارع أسفل البناية ورأي كم تبدو السيارات صغيرة حتى أبعد نظره في خوف وجبينه يتصبب عرقاً فهذه قد كانت ثالث بيرة يحتسيها هذا المساء بالإضافة إلي أنه مصاب بفوبيا المرتفعات. جلس القرفصاء وأسند ظهره إلي السور وضحك منتشياً جراء تدفق الأدرينالين في عروقه ثم قبل السيجارة بحرص وحبس الدخان بداخله وكأنه يخشي فراقه ثم تراخت كل عضلات جسده رغماً عنه فوضع السيجارة على الأرض بجانبه. شعر بشيء يسري في جسده بسرعة كبيرة وكأنها كهرباء تصعقه... إنها النشوة... الانتشاء.... ذلك الشعور بالفراغ... الشعور بعدم وجود مسئولية أو أعباء... كل ذلك يتلاشى لكن روماني لم يعرف أنه سيتلاشى أيضاً. أخذ رشفة من البيرة ثم رن هاتفه فابتسم ابتسامة شريرة ولمس هاتفه.

روماني: ألو

شيماء: ألو... أنت فين يا روما؟

روماني: أنا عالسطح عندي. أنتي اللي فين؟

شيماء: أنا تحت العمارة وطالعة... باب السطح مفتوح؟

روماني: انجزي عشان حاسس أن أنا بأفور

بدا لسان روماني ثقيلاً وهو ينطق هذه الكلمات وكأنه يقاتل لكي يتنفس.

أصاب الذعر شيماء حتى كادت أن تسقط هاتفها.

شيماء: مالك يا روماني؟!

روماني: انجزي!

أغلقت شيماء الهاتف وقفزت إلي المصعد ويدها يسبقها إلي الزر ليأخذها المصعد إلي الدور الثاني عشر خرجت من السلم مسرعة وكأنها تريد أن تطير ثم دفعت باب السطح الحديدي الذي تركه روماني مفتوحاً لتعدو ناحية روماني الذي رأته من بعيد يسند ظهره إلي السور والسيجارة على الأرض بجانبه ينظر إليها في ضعف فجرت ناحيته ثم هوت على ركبتيها بجانبه على الأرض.

شيماء: مالك يا روما؟ إنت شارب قد ايه؟

ضحك روماني وتغيرت تعبيرات وجهه من الضعف إلي المزاح الثقيل

روماني: شارب كتير أوي وتعبان... تعبان

جذبها من خصرها ليميل جسدها عليه فدفعته ثم لطمته لطمه أنثوية ثم ابتعدت عنه.

شيماء: خضيتني عليك يا ابن الجزمة... قلبي كان هيقف.

روماني: بتضربيني بالألم؟... و ابن جزمة؟ أنتي اتغيرتي يا شيماء.

شيماء: أنت خضيتني عليك والله.

جذبها روماني مرة أخرى إليه بعنف وقبلها ومارسا الجنس فوق السطح مثل البهائم. بعد أن فرغ وفرغت ظلت يداه تتحسسان في الرمال حتى وجد سيجارته فأشعلها ثم ناولها لشيماء التي أخذتها بين شفتيها لتمتص منها الهروب المقيت من البهيمية إلي الفراغ.

شيماء: معاك «أوما» يا روما؟

ارتشف روماني رشفة كبيرة من البيرة التي أصبحت ساخنة وتحول طعمها للمرارة ثم نظر إليها بخبث بالرغم من أنه بالكاد يستطيع أن يبقي عيناه مفتوحتان.

روماني: هو أنا مش قايلك تجيبي معاكي؟

بدا على شيماء التوترفناولت روماني السيجارة لعلها تسكته.

شيماء: ما أنا معرفتش أجيب....

روماني: نعم يا أختي؟ أنتي كدة سوحتي دين.....

شيماء: بكرة الصبح جايلي فلوس وقبل ما تصحي هكون جبت والله متقلق.

روماني: أنا مش معايا غير بلايه واحدة... مستوحنيش.

شيماء: والله متقلق بقي خلاص... أنا اللي هصحيك النهاردة وهحطهولك فبوقك.

روماني: أنتي بتهزري؟

شيماء: متزعلش بقي خلاص وبعدين ما أنت عملت فيا مقلب ابن حرام من شويه وعديتهولك... خليكي حلوة بقي يا رومتي!

روماني: حاولي بكرة بس متسوحنيش عشان مزعلش بجد.

قبلته شيماء ببطء قبلات متتالية في كل أنحاء وجهه

شيماء: أنا... بردوا... هسوحك... يا قلبي... يا روحي

جلس روماني شارد الذهن وكأن الفتاة تقبل وجهاً آخر غير وجهه. سافر ذهنه بعيداً إلي ذلك الهم الذي يحمله فوق كتفيه وكأنه تذكره فجأة وبدون دواعي, قد تكون الخمر تقوم بما خلقت من أجله! بعد خمسة أيام سيذهب لينال ما وعده به والده العقيد مايكل ماجد. سيذهب لكي يعلمه والده معني الرجولة وتحمل المسئولية _على حسب قوله_ لكن هذا الكلام كان يعني أنه سيعذبه

أو على الأقل هذا ما كان يخشاه روماني فوالده هو قائد مركز تدريب سلاح المشاة, تسبقه شهرته بالحزم والانضباط. ظل يضغط على روماني ويكبته بحجة الخوف عليه هو وأخته من العالم. نعم هذا ما عاد به من حرب الأفيون كما تقول أمه: لقد تغير بل أصبح شخصاً آخر وكأنه توحش. كان يوقظه كل يوم هو وأخته الكبرى مريم في الخامسة صباحاً ويتأكد قبل ذهابه للعمل أن يقوموا بطابور الصباح والتمارين الرياضية القاسية, كان يعاملهم كأنهم جنود حتى محيت ملامح الطفولة من شخصياتهم.

كبر روماني قليلاً و أنهي الثانوية العامة ومع انتهائها كان روماني المطيع قد تمزق وتحول لذكري تقبع في قعر ذاكرة روماني مقيدة بعنف. انفجر روماني وتمرد على سلطة والدة وحبسه له بحجة أن العالم مظلم وأن البشر لن يقوموا بشيء إلا إيذاءه ثم بدأ تمرده برفض هذا التقليد الرياضي اليومي فصار هناك عراك يومي لمدة شهر تقريباً عند شروق الشمس يتكرر نفس المشهد: سيادة العقيد _كان حينها ما يزال نقيباً_ يقف بجوار سرير روماني الذي يرفض أن يتحرك من سريره وكان الموقف يتطور في أغلب الأحيان إلي معركة غير متكافئة ينال فيها روماني ضرباً مبرحاً.

تحول روماني إلي شخص آخر مع دخوله الجامعة أو المعهد كما يقولون فقد كانت درجاته في الثانوية العامة مخيبة فأضطر سيادة العقيد أن يلحقه بكلية خاصة استنزفت جزئاً كبيراً من راتبه. بدأ يرفض مرافقة أهله إلي الكنيسة وقطع علاقاته بأصدقاء الكنيسة ثم تفاقم الأمر بعد تولي والده قيادة مركز التدريب ليظل غائباً عن المنزل لفترات طويلة. ظل روماني يقول الجميع أنه لا يؤمن بوجود إله ليصلي له لينضم إلي الغالبية العظمي من البشر ممن أفقدتهم الوحشية و انعدام المنطق إيمانهم. أصبحت كل علاقاته وصداقاته في شارعه في التوفيقية لكي يتحول إلي مدمن لكنه كان مدمناً انتحاريا فلقد

أدمن كل شيء تقريباً. أستروكس.... أوماتريل (المفضل لديه)... تامول... خمور... حشيش... هروين... أي شيء تقع عليه يداه عدا الأفيوكين الذي قتل أحد أصدقاؤه فلم يقربه روماني بعدها أبداً. باختصار أي شيء لديه القدرة على ملء ذلك الفراغ السحيق بداخله ليسلبه وعيه ويحوله إلي كتلة من لحم وعظام لا تمتلك إلا رغبات حيوانية فقط... نعم لا تعقيدات فحياة البشر حتماً ستكون أسهل عندما يختفي ذلك الشعور المجهول بالمسئولية تجاه البقية أياً كانت هذه البقية.

إدمانه الأكبر كان شيماء, أو جسد شيماء. وكأن رغبته القوية في تدمير نفسه تزول عندما يحتضنها, حينما يتلامسا تجعله يشعر ببقايا الإنسان بداخله. التقيا من خلال جلسات كان يحضرها بعض أصدقائهما في النادي وكانت هذه الجلسات تمتلئ بالتفاهات الفلسفية كما ظن روماني أنها ستكون لكنه خرج منها بشيماء. جمعهما الإيمان بعدم وجود إله بدايةً وأن الإنسان لابد وأن يعيش جامحاً ليقتنص اللحظات التي تمر عليه... كما جمعهما ذلك الانجذاب السحري الغير مبرر تجاه بعضهما البعض... اقتربا من بعضهما أكثر حتى أحيا اللقاء وكرها ساعات البعد فأدركا أنهما مغرمان.

استفاق روماني من شروده على صوت شيماء.

شيماء: أنت متنح كده ليه يا روما عامل زى الزومبي.

روماني: الديلر بتاعك يعرف يجيبلي علبتين أوما كمان يومين كدة؟!

شيماء: ليه علبتين يخرب بيتك؟!

روماني: عشان أخدهم معايا و أنا رايح الجيش. ولا عايز اني أتعامل مع أبويا على أرضه و أنا على لحم دماغي؟

شيماء: هسأله الصبح وأما أشوفك هقولك الدنيا فيها إيه.

روماني: أنا حاسس أن أبويا هيدفني في الصحرا مش عارف ليه.

شيماء: متأفورش بقي يا روما أبوك بيحبك والله هو بس ابن مجنونة و أنت لو ركزت هتلاقي نفسك طالعله.

ضحكا لكن ضحكات روماني لم تكن إلا قناعاً يختفي وراءه خوف خام خالص لا أمل معه بأن يشعر روماني بالأمان خلال الخمس وأربعون يوماً التالية التي سيقضيها في مركز التدريب عندما يبدأ حياته العسكرية تحت قيادة والده.... لم يكن يعرف أن هناك أموراً ستحدث أولي بخوفه من والده بكثير...

★★★

# «الفصل الخامس»

كان الوقت مبكراً جداً للصعود إلي الجبل, قامت جنة من سرير أمين مما أقلقه ثم بعد أن غسلت وجهها أعدت فنجاناً من القهوة ولفت سيجارة حشيش وجلست أمام التلفاز تفكر بهدوء وهي تشرب سيجارتها. قام أمين من نومه ثم نام على الأريكة واضعاً رأسه على فخذ جنة فناولته جنة السيجارة ومع التهام أمين للسيجارة فاتحته في فكرتها قائلةً:

- «بقلك إيه يا مزتي»

- فنظر إليها أمين قائلاً «قولي إيه.»

- فقالت بحزم «أنا قررت أعمل مشروع.»

فنظر إليها أمين وهو ينفخ دخان سيجارته في وجهها مستخفاً بها ثم قال بسخرية:

- «إعملي مشروع يا قلبي.»

- فردت عليه متجاهلة سخريته:

- إحنا صحابنا كلهم بيضربوا لو أنا طلعت السحر جبت حاجة كبيرة وطلعت الجرام زيادة خمسين جنية عن فوق هنعمل مصلحة حلوة والزيادة دي هما كده كده بيدفعوها مواصلات أو بنزين وبيدفعوا أكتر كمان.

اعتدل أمين ونظر إلي جنة بتعجب فوجد ملامحها توحي بأنها لا تمزح فقد كانت جنة جادة فيما تقول وعندما لاحظت جنة ملامح الدهشة عليه بادرته قائلة

- غير كدة هنضرب ببلاش وهنجيب مصاريفنا. و أنا هعرف أعيش لو أنت دخلت الجيش.

- فرد عليها أمين بدهشة أكبر:

- إنتي بتتكلمي بجد يا جنة؟! ده إعدام وتعامل مع قوات الاعضاء احنا مش قد القصة دي حتى أبويا مش هينفعنا ده هيبقي أول واحد يبيعني. الواحد بيبقي خايف ميرجعش وهو رايح يشتري عايز انا نبيع؟!»

- ردت جنة بثقة:

- طبعاً بتكلم بجد... إنت مش شايف إنوا حوار حلو؟ وبعدين متخافش احنا هنبيع لصحابنا بس يعني مش هنسيح لنفسنا يعني.

- صمت زياد قليلاً وهو يحك أنفه الثمينة ثم قال لها:

- آه بس هنجيب فلوس منين نجيب حاجة كبيرة كده بروح أمك؟! ده غير أن أنا كمان خمس أيام هسلم نفسي.

- إيه؟! تسلم نفسك؟

- آه ما أنا لبست سنه... مشاة كمان تخيلي أنا طلعت في الكشف الطبي لائق (أ) يعني أنا هبقى قوات خاصة!

- يبقي لازم نعمل كده عشان أنا أعرف أصرف و أنت جوه!

- برده هنجيب فلوس منين؟ أنا كل اللي فجيبي متين جنيه وفلوس شايلها عشان أجيب حاجتي اللي هروح بيها.

- فردت قائلة «ما إحنا هنبيع الموبايل بتاعك واللاب بتاعي والفلوس اللي هتطلع نجيبلك عدة صغنونة والباقي نجيب بيه.»

و افق أمين ومع أذان الظهر كان الحبيبان يرتديان ملابسهما لكي ينفذا خطة جنة. وصلا إلي السحر والجمال مع أذان المغرب, أنتظر أمين في سيارته في صف طويل من السيارات المنتظرة وأطفأ أنوارها وترك جنة كعادته تعبر وحدها لتدخل على قدميها في الصحراء ما يقرب من المائتي مترثم إنعطفت يساراً عند تل صغير لتجد طابوراً طويلاً من المدمنين, وفي أول الطابور يجلس

«العرباوي» في مؤخرة سيارة «لاند كروزر» يحمل على كتفة بندقيته وعلي الكتف الآخر حقيبة الأموال وبجانبه ميزان حساس وحقيبة أخري بها الهروين وحوله الرجال بالبنادق ينظمون الطابور يسبون الو اقفين بأبشع الألفاظ والجميع يعرف أنه لا سعر له في السحر والجمال فكل الأمر طلقة واحدة ثم يرمون جسدك على الطريق السريع. كانت جنة تعرف ذلك وكانت تبتلع كل الشتائم والسباب الذي تسمعه دون أن تبدي أي امتعاض.

بعد ساعة ونصف وصلت جنة إلي العرباوي فقامت بشراء مائة جرام وأخذت «المسا» من العرباوي الذي بدا عليه أنه أعجب بها أو بجسدها فقال لها

- «إنتي واخدة الحاجة دي كلها ليه يا مرة؟»

- فقالت له وهي خائفة «باكل فيها عيش»

وهنا رأي العرباوي الفرصة سانحة أمامه فقال لها:

- خلصي الشغل اللي معاكي ولما تعودي كلميني على رقمي وقوليلي أنا سليم بدل ما تيجي وتقفي في الطابور وقت طويل.

- فردت جنة بدلع:

- هو كل اللي بياخد ميت جرام بتعمل معاه كده؟!

- فرد عليها العرباوي وقد بدأت علامات الإثارة تظهر على وجهه:

- لا الكلام ده للنسوان الجامدة بس!

- فردت علية جنة بمكر بعدما شعرت أن الفريسة وقعت في فخها:

_ ممكن أطلب منك طلب؟

- بدأنا؟!

- فردت محاولة إغراء الرجل:

- ينفع تيجي معايا أضرب لاينين ورا الجبل عشان هخاف أبقي لوحدي؟

كان ذلك عرضاً صريحاً من جنة لسلعتها حيث أنها رأت أن ذلك العرباوي

سيعطيها ما تريد فقررت إعطاؤه ما يريد. فهم العرباوي العرض ونادي على أحد الرجال ليتابع البيع بدلاً منه ثم أخذ جنة من يدها بعنف وأختفيا وراء الجبل لربع ساعة ثم عادت جنة مع العرباوي الذي قال لها بلهجة غير مكترثة:

- «لما تخلصي الشغل اللي معاكي إبقي كلميني. ومتنسيش قوليلي أنا سليم عشان أعرفك»

ضحكت جنة قائلة:

- ليه «سليم» أنا أسمي جنة على فكرة!

رد عليها العرباوي وقد بدا التأفف على وجهه وكأنه مل من حديثها:

- في الجبل أنتي تبقي اللي أنا عايزه مش اللي أنتي عايزاه!

ابتسمت جنة مغادرة المكان بعدما حصلت على أطنان من الألم النفسي والشعور بالدونية قد تكفيها طوال حياتها لكن الأمر أننا عندما نألف شعوراً لن نصمد طويلاً قبل أن ندمنه.

***

أثناء انتظار أمين في السيارة لاحظ أن هناك رجلاً يمشي بجوار السيارات فتتبعه بنظرة فوجد أنه يستخدم قلماً فسفورياً ليقوم بترك علامة واضحة على كل السيارات فخرج زياد مسرعاً من السيارة فوجد أن الرجل بالفعل ترك علامة على سيارته, حاول مسحها ولكن بلا طائل. كانت جنة وصلت إلي السيارة فلم تجد أمين فنادت عليه فظهر من خلف السيارة ثم ركبا فسألها

- جبتي الحاجة؟!

- أيوة يعني كنت بعمل إيه كل ده؟ دا إنت عيل غبي!

فقال لها بلهفة لم يحاول أن يخفيها:

- فين المسا؟ عايز أضرب!

مدت جنة يدها في شعرها المرفوع ثم أخرجت منه لفافة صغيرة الحجم

وقامت هي وأمين «بضرب لاينين» فسألها أمين

- أمال الحاجة نفسها فين؟

فردت بثقة:

- أنا مكمراها إطلع بس عشان الوقفة هنا مش حلوة.

أدار أمين السيارة وحكي لجنة وهو يخرج من الصف عن تلك العلامة على مؤخرة السيارة فقالت له جنة:

- هتلاقيه مبرشم ولا حاجة فكك يا عم وإمشي من أم المكان ده هتحبسنا!

- فرد عليها بعصبية وتوتر:

- إفرضي دي علامة عشان لما نعدي من الكمين نتعرف إننا كنا في السحر, هنعمل إيه بقي ساعتها مش هيحلونا.

وهنا إقتنعت جنة و إتفقا على أن يغيرا مسارهما حتى لا يمروا على كمائن الشرطة. قامت جنة بالاتصال بصديقتها «أيه» التي تسكن في العاشر من رمضان بالطبع لم تو افق أيه على استضافتها هي وعشيقها ولكن عندما أخبرتها جنه إن معاها «ضربايه» و افقت على الفور.

★★★

# «الفصل السادس»

وقف رشد أمام طريق طويل يبدو في آخره قرص الشمس متوهجاً وكأن الشمس بين قرني ثور عظيم, ثم مشي في طريق آخر لا شمس فيه ليجد نفسه في أرض قفراء مخيفة حافي القدمين يسير مرغماً بالرغم من الأشواك وكلما سار كلما زادت الأشواك وزاد معها الألم لكنه لم يكن ألماً جسدياً بل كان روحياً... بل كان عذاباً بكل ما يعنيه العذاب من معني... سقط على ظهره لتخترق الأشواك ظهره... حاول أن يخرج الأشواك من قدماه فلم يستطع الوصول إليها وكأنها تبتعد ومع ابتعادها يزداد الألم... استسلم للأمر وظل الألم يزداد ليظهر فجأة ابن عمه «جبريل» الذي نظر إليه وكأنه يلومنه على استسلامه ثم نزع شوكة واحدة وكأنه اقتلع روحه.

استيقظ رشد صارخاً ومازال الألم موجوداً. بدا له الأمر كما لو كان حقيقة حتى الألم الذي عاناه في الحلم ظل موجوداً حتى عندما أفاق من نومه. مكث في سريره لدقائق يحاول أن يغير هذا الشعور الرهيب الذي يعتريه. أخرج بخاخ الأفيوكين من تحت الوسادة ثم بدأ يمتص مرارته حتى شعر بجسده ينتفض وكأن روحه استفاقت من غفوتها وكأن جسده يرحب بهذا الضيف العزيز الذي دخل إليه. أشعل سيجارة وجلس ليستمتع بهذا الهدوء الرهيب. كان يعشق الهدوء والوحدة. بدأ يستوعب ما يجري حوله ثم نظر إلي هاتفه فوجد الساعة مازالت الخامسة صباحاً. أمر جيد فهو كان سيستيقظ في السادسة على أي حال لكي يذهب إلي مركز التجنيد. سيذهب ليجري الكشف الطبي الأخير وليعرف يوم ترحيله إلي مركز التدريب. اليوم الذي سيتذوق فيه طعم الحياة العسكرية.. تم اختياره لسلاح «المشاة» في قسم القوات الخاصة

المحلية. لقد كان والده ضابط صف «معلم» في نفس السلاح. كان رشد يري أن الحياة العسكرية جزء فطري في طبيعة الرجال لا يكتمل الرجل إلا حينما يتذوقه. قام ببطء ذهب إلي المطبخ ليعد كوباً من الشاي ليسرع من مفعول «الأفيوكين» ثم وقفت ليحتسيه في شرفة غرفته. كم أحب رشد هذا الوقت الذي يختفي فيه البشر. لولا نباح الكلاب المتزايد لكان الأمر مثالياً. أنهى كوب الشاي وبدأ المفعول يسري والنشاط يجري في عروقه ثم سمع صوتاً يأتي من المطبخ. توجه رشد إلي والدته فليس هناك في البيت غيرها ليصدر هذا الصوت ولابد وأنها استيقظت.

- صباح الخير يا ست أميرة!

- صباح الخير يا رشد. فطرت؟

- هفطر أزاي ومفيش فطار يعني... هخترع الفطار أنا؟

- لأ هتعمله وحياة أمك... حتى الفطار إختراع بالنسبالك؟! نازل إمتي؟

- على ستة ونص كده... عشان ألحق قبل الزحمة ده مصر كلها بتبقي في المركز. أنتي عارفه أنا حاسس كأني رايح أقابل بابا معرفش ليه... بقول يمكن عشان هعيش حاجات هو عاشها وهمشي فأماكن مشي فيها... كده يعني.

- الله يرحمه لو كان لسه عايش كان هيبقي فخور بيك أوي يا رشد.

قبل رأس أمه التي إنفلتت من عيناها اليمني دمعة وحيدة فحاول أن يمسح هذه الدمعة.

- سيبها دي دمعة فرحة ياولا حاسة إني مخذلتش أبوك وكبرتك لحد أما بقيت راجل.

قالت تلك الجملة وهي مبتسمة ودموعها تتزايد وصوتها يتذبذب من الفرح أو على الأرجح من فرط المشاعر.

- ربنا يخليكي ليا يا أميرة يا عسل

ضحكنا معاً ثم هم رشد بالانصراف ليرتدي ملابسه لكنه تذكر ذلك الحلم فتسمر مكانه.

- مالك يا رشد إنت أتهبلت يا ولا! رجعت وقفت قدامي زي الصنم كده ليه؟

- إنتي هتكلمي مرات عمي منصور النهاردة؟

- أنهي واحدة فيهم يا أخويا؟

- إلهام؟

- معرفش بس ليه يعني؟

- أصلي حلمت حلم وعايزك تقوليهولها تشوفلي تفسيره.

- ضحكت ثم قامت وتحسست جبهتي قائلةً... مالك أنت سخن يا ولا؟ من أمتي الكلام ده مش كنت بتقول إنوا تخاريف؟

- أصلي حسيت الحلم ده مش عادي...

صمتّ قليلاً وهو يتذكر ذلك الشعور المخيف ثم نظر إليها قائلاً.

- كأنوا كان حقيقة!

بدأت تأخذ الأمر بجدية إن لم يكن بقلق بدا عليها وإن حاولت أن تخفيه.

- طيب أحكيلي الحلم و أنا هبقي أكلمها عالضهر وأسألها. خير إن شاء الله.

- مفيش شفت إن أنا فطريق اخره شمس منورة جامد بعد كدة لقيت نفسي فطريق تاني ورجلي حافية وعمال أدوس على شوك فوقعت على ضهري حاولت أطلع الشوك من رجلي معرفتش لحد ما يأست فجه الواد جبريل شال الشوك... بس كدة.

رأيت القلق يزداد في عينيها وهي تقول «ربنا يجعله خير يا رب... هبقي أكلمها حاضر.

إتجه رشد ناحية غرفته ثم تذكر أمراً اخر فعاد إليها قائلاً:

- في حاجة تاني صحيح.

- أيه؟!

- أنا لما كنت بمشي عالشوك ده مكانتش رجلي هي اللي بتوجعني... كنت حاسس بألم نفسي كأن في.... مش عارف أوصفها أزاي بس كأن في كورة نار جوايا بتحرق أحشائي مثلاً.

ضحكت أمه ثم نظرت إليه بإعجاب فقال رشد ببعض الخجل:

- مالك يا وليه في إيه؟ بتبصيلي كدة ليه؟

- عادي يا عم مبصلكش؟

- لأ بجد والله إيه اللي ضحكك؟

- عشان طريقة كلامك ووصفك مختلفة عن أي حد... ساعات بحسك عبقري بس ساعات بتبقي حيوان.

- أنا مش عبقري يا حاجة أنا واحد تايه مش عارف أنا أيه بس مثقف فعارف اللي حواليا عبارة عن أيه

- وبالنسبة لموضوع إنك حيوان.

- لأ ده صح... كلنا حيوانات في الحقيقة.

- أهو شفت... الحيوان بدأ يظهر أهو.

ضحكا ثم وقعت عين رشد على ساعة الحائط المواجهة له. كانت الساعة قاربت على السادسة, فهم رشد وارتدي ملابسه مسرعاً بتأفف فرشد لا يحب العجلة في الأمور, يشعر وكأن الوقت يلاحقه ويختنق وتزداد عصبيته عندما يفرض عليه الواقع سرعة في الإيقاع يراها سرعة إيقاع مناسبة للآلات أكثر من البشر, فليحترق العصر الحديث و إيقاعه الملعون. نزل رشد مسرعاً ووصل في السابعة تماماً كما خطط.

★★★

# «الفصل السابع»

تلألأت شوارع الكربة بحبات المطر في يوم الجمعة الثالث من سبتمبر غابت الشمس وكأنها لم تشرق أبداً, وكأن الليل في ذلك اليوم أستمر, غمرت المياه أوراق الشجر في حديقة صغيرة تقع أمام بناية من تلك الأبنية التاريخية التي يقشعر لجمالها البدن. نزل رجلاً مسرعاً من تلك البناية في أواخر الثلاثينات من عمره أصلع الشعر بدين إلي حد ما لكنه خفيف الحركة جري مسرعاً فاتسخت بذلته الرمادية التي كانت تضيف وقاراً إلي وقاره, يزين وجهه شارباً ظهر عليه بعض الشيب ويرتدي نظارة طبية من نوع فار فاتوا. كان يسمي ذلك الرجل دكتور ماضي. وصل إلي سيارته الألفا روميو الفارهة ثم دلف إليها بسرعة محاولاً تفادي الأمطار الغزيرة, فهو لا يحب الأمطار أو الحر, لا يحب الصيف أو الشتاء, يحب ما يسميه الاعتدال والسؤال الذي يدور في ذهنه دائماً: هل هناك في ثقافتنا ما نسميه اعتدال؟

جلس الدكتور ماضي وأسند ظهره إلي مقعد السيارة بارتياح وجلس يستمتع بأغنية «كوكب تاني» التي يقول دائماً عنها أنها «بالرغم من أن عمرها يفوق القرنين من الزمان إلا أنها أكثر أغنية معبره عن إنسان العصر الحديث.» ثم نظر إلي زجاج السيارة الذي تسيل عليه حبات المطر وغاص في التفكير, هل من الممكن أن تقبل به امرأة ما وتتزوجه؟ ثم قفز بذهنه إلي محاضرة الأمس, كانت المحاضرة عن قصيدة الشاعر الإنجليزي «تي. إس. إليوت» «الأرض الخراب» تذكر أنه قال لطلابه:

- «لقد قفزت الإنسانية إلي بحر مظلم وهي لا تستطيع السباحة, سكنت بيتاً متهاوياً, ملكت كل شيء وخسرت أهم شيء ذاتها»

ظل يؤرقه نفس السؤال «هل يمكن لهذه المعاني أن تسكن عقلاً ضحلاً مسطحاً؟» فهو يري الطلاب يضحكون منه عندما يحاول أن يخبرهم بمصيبتهم. ثم تذكر أنه حين يتأخر يوم الجمعة عن ميعاد الإفطار في بيت العائلة تغضب أمه منه, فتذكر أن البيت الآن أصبح خاوياً من يوم أن مات أباه وعمه الذي كان له صديقاً زرع فيه أهتمامه بالأدب ولعب الشطرنج, كان أحياناً يشعر أنه يفتقده أكثر من والده حتي, لم يعد لشيء معني فلقد مات من كان حيهم صادقاً بلا مطامع. لم يتبقى إلا أمه وذكرى أباه الذي مات وهو يحلم بأن يري الدكتور ماضي متزوجاً وله ولد, مات ولم يعرف ما يخفيه ماضي عنه.

طرد الدكتور ماضي هذه الأفكار من رأسه ثم أخرج قنينة فضية من جيب سترته ونظر لها وتنهد ثم قال وكأنه يخاطب الزجاجة

- «أنا بقيت محبوس جواكي عشان مشوفش الو اقع على حقيقته, عشان الحقيقة اللي أنا شايفها أصعب من حبستي فيكي من عبوديتي ليكي يا أيتها الساحرة الشريرة, قبليني قبلة الصباح.»

ثم أرتشف منها بعض الرشفات ووضعها بجانبه و أنطلق. ظل ينظر إلي المباني كعادته وهو يقود سيارته ببطء بالرغم من عدم وجود زحام فهو يعشق الجمال ويري أنه من مقومات الحياة, كان يشترك مع أخاه فاروق في عشق التاريخ حين يحتضن الجمال ويعتنقه فيصبح دليلاً على أن من بناه كان يري للحياة معني يترجمه إلي قصة مرسومة على الجدران أو منحنيات وأشكال هندسية معقدة في البناء أو في توزيع الألوان على لوحة فنية أو في قصيدة شعر ذات معني يجتث القلب من الجذور فيعبر به من ظلام الو اقع إلي نور الخيال. أخذ القنينة في يده ثم شرب منها حتى توشحت روحه بالخمر فتهادت وتمايلت وحلقت بعيداً عن الأرض الخراب تبحث عن أرض أخري,

أرض مثالية لا يتصرف فيها البشر كأنهم حيوانات. ألم الدكتور ماضي عميق فوحدته لا يعالجها قراءة الكتب فنحن بشر وفي النهاية نحتاج إلي عشق يعالج صمتنا، صديق يقف إلي جوارنا، نحتاج إلي لغة حوار بيننا وبين الآخرين لكن ماضي أصبح لا يفهم لغة الآخرين كما يفهموها هم أصبح غريباً لا يفهم أحد ولا يفهمه أحد. أقترب من شارع أحمد عصمت بعين شمس حيث ولد وتربي وعاش أحلي أيام حياته، رأي مكاناً كان في الماضي حديقة يقطف منها أزهار البنفسج للبنت الوحيدة التي أحبها، هو لم يصرح لها يوماً بحبه كان فقط يرمي الأزهار التي يقطفها في شرفة غرفتها، لكنه عرف بعد ذلك أنه لا يصلح للحب.

أوقف سيارته وأشتري الإفطار ثم صعد السلم، أصبح السلم الآن يتعبه ويرهقه ككل الأشياء وكأن الكون يعاديه بالرغم من ثرائه الفاحش فهو لم يعرف طعم السعادة قط فأحياناً العلم يكون لعنه حين تعجز عن العمل به. بريق النقود يختفي بعد فترة، فالاعتياد على وجودها الدائم يفقدها القدرة على رسم البسمة على الوجوه. دق جرس الباب فجاء صوت أمه من بعيد أن أنتظر فوقف ماضي ينتظر خطوات أمه البطيئة وقد بدأت الخمر تداعب رأسه. فتح الباب ليجد أمه عابسة الوجه تنظر إليه بغضب فقال لها ماضي محاولاً تفادي غضبها

- «صباح الخير يا أحلي أم في الدنيا.»

- فردت عليه وقد خفت حدة غضبها قليلاً:

- أنت كل يوم جمعة تتأخر عليا يا أبني. مش عارفه أعتمد عليك حتى تجيبلي فطار جتك القرف فخلفتك.

- رد ماضي مدافعاً عن نفسه كطفل صغير:

- يا أمي الساعة تسعة لسه بدري، وبعدين أنتي عارفه إني بنام يوم الخميس

متأخر شوية فمبعرفش أصحي بدري زي ما أنتي عايزه.

- فردت أمه وقد زال غضبها:

- أنت عارف إني بصحي أصلي الفجر وبفضل قاعدة وعارف إني مقدرش أنزل السلم لوحدي وإن الوسخ أخوك مبيصحاش غير على المغرب, أهون عليك أفضل قاعدة من الفجر لحد الساعة تسعة من غير ما أفطر عشان إنت صاحي متأخر, أنا يوم الجمعة لو مفطرناش مع بعض الأكل مبيبقاش ليه طعم فبوقي يا ماضي والله. الله يرحموا أبوك مكانش بيحوجني لأشكالكوا!

أقترب منها ماضي وقبل رأسها ثم قال:

- متزعليش يا أمي والله بعد كدة هجيلك من بدري حتى لو مش هنام خالص.

- دفعته أمه بعيداً عنها ونظرت إليه باشمئزاز ثم قالت:

- أنت ريحتك سبرتوا عالصبح يا مقرف,يا ربي حتى الواد اللي نفع هو كمان سكري ولادي الأتنين بايظين, عوض عليا يا رب.

ثم دخلت وهي غاضبة فدخل ماضي وأغلق الباب ثم نادي بصوت عال:

- يا فاروق! أنت يلا يا فاروق!

جاءه صوت أمه من غرفتها:

- أخوك قافل عليه أوضته من جوه ونايم زي البقرة! خش إنت إعمل الفطار.

-رد ماضي وهو يخلع حذائه:

- حاضر يا أمي!

- فقالت أمه وكأنها تذكرت:

- أنت يا ولا شارب والنهارده الجمعة, هو أنت مش ناوي تصلي الجمعة يا زبالة أنت؟!

لم يرد ماضي ودخل إلي المطبخ ليعد الإفطار وهو في عالم آخر فنشوة الخمر تغرق روحه وهو يسمع صوت أمه تقول:

- والله ماهتنفعك الدكترة بتاعتك يوم القيامة و إنت مش بتصلي كدة, يا واد رد عليا عيب أنا بكلمك!

رد ماضي عليها ياغتياظ:

- يا أمي بلاش تفصليني وخليكي حلوة مش لازم محاضرة دينية دلوقتي ورحمة علام يا شيخه سيبيني رايق زى ما أنا.

- طب خلص الفطار بسرعة عشان أنا جعانة, وأعملي بيض عيون مع الفول بلاش كل مرة بيض مسلوق.

لم يرد ماضي لكنه بدأ في عمل ما تريد. أصبح الآن الإفطار جاهزاً, أنتهي الدكتور ماضي من طعامه ثم ذهب إلي سيارته ليخرج زجاجة أخري غير التي أنهاها وشرب منها ما يقرب من نصفها ثم خرج من السيارة وذهب ليجلس على مقهى «الأسيوطي» التي كان يجلس عليها أبيه. جلس قليلاً ودخن الشيشة وأستمع إلي أحاديث الجالسين كان البعض يتحدث عن كرة القدم وشابان كانا يتحدثان عن النساء. أنقضي نصف اليوم مثلما أنقضت نصف حياة ماضي. أحياناً يتمني ماضي لو كان جاهلاً أو تافهاً فهو حتى وهو مخمور لم يستطع تحمل تفاهة مرتادي القهوة, دائماً ما يشعر بالتقزز من الناس ينفر منهم ويتحاشى الحديث معهم. دائماً كلامه مقتضب, حياته الحقيقية تحدث داخله, تقع على الأوراق التي يكتب فيها خواطره و أفكاره, وكما يقول هو حياته حياة افتراضية, أما الحياة الحقيقية فلا وجود له فيها.

عاد ماضي إلي البيت ليقضي بعض الوقت مع أخيه الصغير فاروق كما اعتادا كل جمعة أن يسهرا معاً. دق جرس الباب ففتحت له أمه فسألها مباشرة:

- هو الواد فاروق لسه مصحيش؟

فقالت له بضجر:

- يا إبني بقلك مبيصحاش غير على المغرب يعني إنت مش عارف أخوك. دققت النظر في وجهه ليتبين لها أنه مخمور ثم قالت:

- اه ما إنت سكران تلاقيك مش عارف إنت فين أصلاً جتك نيله, خش إشربلك فنجان قهوة يفوقك شوية عشان متفضلش تسألني كل شوية على نفس الحاجة.

ضحك ماضي هو وأمه التي كانت تمازحه ثم قام بالفعل ليعد فنجاناً من القهوة ليجد أخيه فاروق قد إستيقظ من نومه هو وكلبه سمبا الذي يكرهه ماضي ويخاف منه فهو من نوع الروت و ايلر الضخم الذي تبدو عليه الشراسة وماضي لا يحب ذلك النوع من المخلوقات. سلم عليه فاروق ثم قال له:

- إعملي معاك قهوة وحياة أمك على ما أخد دش.

- حاضر بس لفيلنا سجارتين من بتوعك.

- هيا ملفوفة جاهزة عندك جنب السرير.

دخل ماضي إلي غرفة فاروق وبالرغم من إعتراض سمبا الواضح على وجوده في الغرفة أخذ يبحث عن تلك السيجارة حتى وجد أكثر من عشر سجائر ملفوفة وقطعة حشيش كبيرة,فأخذ السيجارة و انصرف مسرعاً قبل أن يغضب سمبا. أشعل ماضي السيجارة ووقف يعد القهوة في المطبخ وهو يغني «رافضك يا زماني.. يا أو اني... يا مكاني... أنا عايز أعيش في كوكب تاني.» فدخل عليه فاروق وسمبا يقف وراؤه ينظر إلي ماضي بتعجب فضحك فاروق قائلاً:

- السيجارة مخلياك فاكر إن صوتك حلو و إنت صوتك سمبا نفسوا مش مستحملوا.

- إنت فاهم إني بغني مع إني بندب.

صب القهوة ثم قال لفاروق:

- إمسك قهوتك وإمشي قدامي عالأوضه, أنا شايف بتاع عشر سجاير ولا حاجة و أنا محتاج أوقف دماغي شوية!

فرد فاروق وهو يأخذ قهوته:

- دا الحشيشة دي مش هتوقف دماغك بس دي هتوقف الساعة والتاريخ وهتوديك كوكب زحل كمان.

شربوا القهوة وضحكوا ثم ظلوا صامتين لما يقرب من الساعة يستمعون إلي أغاني الشيخ حمد الملَوي كما كان يفعل والدهم ؛ فقد كانوا يشاهدونه كل يوم خميس يجتمع مع أصدقائه في المنزل كان ممنوع عليهم الدخول إلي الغرفة التي يجلس بها أباهم مع أصدقاؤه لكنهم كانوا يستمعون إلي ضحكاتهم العالية وسبابهم, يشتمون رائحة الحشيش الزكية تحاربها رائحة المسك القوية التي كان يتعطر بها والدهم. كان ماضي هو الأخ الأكبر فهو يكبر فاروق بتسعة أعوام فكانوا أحياناً يرسلونه ليشتري لهم السجائر أو مزيداً من البيرة؛ تذكر الدكتور ماضي خوفه الطفولي حين كان يحمل تلك الزجاجات؛ صوت ارتطامها ببعضها كان يفزعه, يخشي أن يسمع الناس صوتها فينظروا إليه نظرة دونية. كبر ماضي وكبر الخوف معه لم يفارقه والخوف يشوه النفس لكن ماضي كان يري أن بعض التشوه لا يضر بل قد يفيد مثل البكتريا الضارة والنافعة فبعض البكتيريا يمرض وبعضها لا غني عنه في حياتنا كان يري أن ذلك التشوه جزء منه. استفاق ماضي على سؤال فاروق:

- تفتكر أنا هشوف زاهر تاني يا ماضي؟

نظر ماضي إلي عينا فاروق ليري دموعاً قد حبسها الكبر في عينيه فقال له مازحاً:

- «ما إنت لو فقت شويه صغيره بس كنا رفعنا قضية رؤيا أو حتى طلبنا من أمه و خلانه إنك تشوفه حتى لو مرة كل شهر. ده أنت رحت الجلسة سكران يا فاروق يا أبن المجنونة.

ضحكا ثم قال فاروق:

- يعني أنا بشكيلك همي عشان تقطمني يا أخويا؟

- لأ أنا مش بقطمك أنا بحاول أفوقك كل اللي أنت فيه صنع أيدك أنت مش حد تاني وزاهر ملوش ذنب يشوف أبوه سكران على طول. الولد صغير بس بيفهم أحسن مني ومنك غالباً طالع لأمه ابن الكلب!

- ضحك فاروق ثم غير الموضوع قائلاً:

- بفكر أفتح مشروع جديد, أنت عارف أن كل الشغل اللي عندي ومفهوش شركاء هو محلات السلاح و انا عايز حاجة اقعد فيها طول اليوم أنت فاهم تبقي زي مقركده استقبل فيها ضيوفي أعزم ناس كده يعني!

تبسم ماضي الذي يفهم أخاه ثم قال ساخراً:

- المشروع الوحيد اللي أنت تنفع فيه وتعرف تشغله إنك تعمل خمارة عشان تشرب ببلاش.

ثم ضحك لكن فاروق بدت على ملامحه الجدية قائلاً:

- أنا كنت بفكر فنفس الموضوع على فكرة بس كنت متردد عشان البارات تخص العمارنة

- شفت مش قلتلك, هتنجح والله صدقني محدش كان هياخد حاجة لو أنت مكنتش سايبها من الأول.

مر اليوم وعاد ماضي إلي بيته وقد هزمه النوم؛ أما فاروق فظل مستيقظاً طوال الليل يقلب الفكرة في عقله ويدرسها ويرسمها في خياله, أصبح مفتوناً بها.

بالرغم من الفقر الشديد الذي ولدوا فيه لكن القدر ابتسم لهم فقبل موت أبيه بعامين خرج على المعاش وكانت وظيفته كفراش في شركة تأمين لا تؤمن له حياته بعد الهرم فقد كان معاشه لا يكفيهم حتى ليعيشوا كمساكين.

يذكر فاروق ذلك اليوم الذي غير قدرهم جيداً, كان عمره حينها يتجاوز الثامنة عشرة بشهور قليلة في فترة سيادة «العمارنة». جاء الحاج علام ذلك اليوم ومعه شيخ ومعاول وأدوات حفر, ظل الشيخ يتمتم بكلمات غير مسموعة يخالطها بعض آيات من القران وفاروق يشاهد من بعيد ثم نادي عليه أباه فقال له الشيخ أن يحفر في غرفة ماضي, كان ماضي حينها في إنجلترا يفصل بينه وبين شهادة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي عدة شهور فقد كان ماضي على عكسه متفوقاً في دراسته لدرجة حصوله على منحة مدفوعة التكاليف في إنجلترا أما هو فتخرج من الثانوية قسم الدراسات الأدبية بمعاناة شديدة بالرغم عن حبه للقراءة والتاريخ. تذكر فاروق خوفه الشديد وهو يحفر و أباه والشيخ الذي معه ير اقبانه باهتمام شديد, كان الجميع يفهم بدون أن يصرح أحد بذلك أنهم يبحثون عن كنز ما. ظلوا كذلك لأسبوع كامل: فاروق يحفر كما يوجهه الشيخ و أباه يتابع باهتمام ولولا خوف فاروق من أبيه لصرخ في وجههم من شدة التعب فقد كان أبيه يعطيه أربعة ساعات فقط للنوم حتى الطعام كان يتناوله بداخل السرداب الذي حفره. كان اليأس يمزق قلب فاروق و أباه فهم ينقبون عن ذلك الكنز المزعوم لأسبوع كامل لكن الشيخ لم يفقد الأمل حتى وجد فاروق تمثالاً صغيراً من الحجر فصرخ الشيخ:

- الله أكبر! الهدية. كمل حفر فنفس الاتجاه اللي لقيت فيه التمثال ده.

سال اللعاب وزال اليأس والتعب وظل فاروق يحفر طوال الليل حتى ضربت فأسه حجراً صلباً فأزال عنه التراب فإذا بحجر مهيب الجمال رسمت عليه نقوش فرعونية زاهية وكأنها نقشت بالأمس. نادي على أبيه وهو في حالة هستيرية من الفرح ليبكي والده من الفرح ويهلل الشيخ ويكبر ثم صمتوا ونظروا لبعضهم ثم كسر فاروق ذلك الصمت قائلاً:

- «هنعمل إيه دلوقتي؟»

- فرد أباه «سيب كل حاجة زي ما هيا وروح هات كاميرا من أي حد من صحابك بسرعة: قلوا عيد ميلاد أمي وعايزين نتصور قلوا أي حاجة بس متجيبش سيرة الباب ده لحد أبداً.»

تحرك فاروق ليخرج من السرداب فناداه أباه قائلاً بلهجة صارمة أوقفت الدم في عروقه:

- لو جبت سيرة لحد يا فاروق هدبحك بأيدي!

صعقت الكلمات فاروق وظل واقفاً لم يتحرك ورافقته تلك الكلمات طوال حياته كما رافقه ذلك الخوف الناتج عنها. لم يكن خوفه من أباه بل من طبيعة البشر التي اقترحتها كلماته وعرتها أمام فاروق.

- أضاف والده بعدما أدرك فجاعة ما قال:

- وكمان أتشطف وغير هدومك قبل ما تخرج كده عشان هدومك كلها تراب.

أحضر فاروق الكاميرا فأمره والده أن يصور الباب ذو النقوش الفرعونية ويضعه على فلاشة ففعل فاروق كما أمره أباه. أخذ الحاج علام الفلاشة ثم دخل إلي حجرته وعاد ومعه بندقيته الآلية وأعطاها لفاروق قائلاً له:

- أمك في البلد ومش هتيجي إلا لما أكلمها, أي حد ييجي هنا من غيري أنت متعرفوش إضربوا بالنار! إحمي مستقبلك ومستقبل أخوك يا فاروق.

ظل فاروق طوال النهار يتحرك حيناً ويجلس حيناً ممسكاً بالبندقية بقبضته والخوف والقلق يعتصرانه والعرق ينهمر من كفا يديه وحين جن الليل أتي والده منفرداً ثم جاءت ثلاث سيارات في عقبه نزل منهم أكثر من عشرة رجال منهم رجلان يبدو على أحدهم أنه قائدهم والآخر يبدو مثل العلماء في هيئته. أرشد الحاج علام الرجلان إلي السرداب وظل فاروق واقفاً كل ما يشغل تفكيره أنهم سيقتلون. بعد ما يقرب من النصف ساعة خرجوا وأمر القائد أحد رجاله بإحضار عقد الإيجار. وقع الحاج علام على عقد إيجار

للبيت لثلاث شهور فدخل رجلان يحمل كل منهم حقيبتين من حقائب السفر الضخمة ووضعوها أمامهم. كانت هذه الحقائب يملؤها الذهب؛ مائتي مليون كيلوجرام من الذهب مقابل التاريخ صفقة رابحة!!

تذكر فاروق كم ظل والده متواضعاً حتى بعد تخلصه من الفقر كان يقول:

- أنا محبش أعيش في قصر, القصور بتبقي مخيفة وكئيبة والوسع ساعات يبقي مسافات بين أهل البيت, مهما كان القصر جميل لمتكوا حواليا أجمل.

ظل فاروق في البيت تلك الليلة لم يخرج لأصحابه ظل يحتسي الفودكا التي يعشقها ويدخن الحشيش ويفكر في المكان المناسب ليفتتح فيه خمارته: كانت هناك قهوة كبيرة في أحمد عصمت _تلك التي بنيت مكان الحديقة_ وكان موقعها متميزا وقريباً من بيت فاروق وكانت مساحتها كافية فقام فاروق بعرض مبلغ كبير على صاحب القهوة فو افق على بيعها والآن أصبحت الجنة الغناء التي كانت تملؤها زهور البنفسج خمارة.

★★★

# «الفصل الثامن»

هل رأيت أحداً يتمني الموت أكثر من الحياة؟ أعد النظر! فهناك ملايين البشر من كل البلدان والأعراق لا يحركهم شيء سوي كره الذات وجنة واحدة من هؤلاء. الحكمة الرائجة تقول أنه من أراد شيئاً وسعي له سعيه حازه. دعنا نراقب, نشعر, نعانق بؤس جنة وشقاء المختبئ وراء الشهوات الجامحة والاندفاع ناحية المجهول. كيف ستصل جنة إلي عجلات القطار وقضبانه؟ بعدما انتهت الليلة الماجنة التي قضاها أمين وجنة عند الصديقة ايه استيقظا بعد الظهيرة ليزيلا العلامات التي وسمت سيارة أمين الزرقاء بوسام الإدمان مستخدمين «التنر» ثم عادا إلي بيتهما وبمجرد وصولهم أخرج أمين الميزان الحساس وقام هو وجنة بتقسيم «الحاجة» إلي جرامات ثم اتصلا بالأصدقاء «الضريبة» ليخبروهم أن بحوزتهم «اصطف فاجر» والجرام صحراوي «حصو» بمائة وخمسين جنية فقط وفي غضون يومان باع حبيبا الفراش المائة جرام كاملة وبهامش ربح مائة بالمائة بالإضافة إلي ثمن «الموبايل واللاب توب» اللذان باعاهما. اشترت جنة مائة وخمسين جراماً أخري أخذ منهم أمين ثلاثين جراماً وزاد عليهم ثلاثين أخري من ماله ليأخذهم معه إلي مركز التدريب. اتفق أمين وجنة على أن يعطيها مفاتيح السيارة والمنزل وأن تستمر في البيع حتى تنفق على نفسها كان أمين يحب جنة حباً شديداً وبالرغم من ذلك لم يؤذي أحداً في حياته مثل جنة فهي القطب الضعيف في حياته, أو هكذا تبدو ولذا كانت علاقتهم معقدة إلي ابعد حد: فلقد كان لأمين أن يسب ويلعن وأحياناً يضرب لكن جنة كانت تعرف كيف يكون القرار الأخير لها دائماً وهكذا كانت هناك شعره تضفي التوازن على حياتهم.

***

نامت جنة على مستلقية على ظهرها, مغمضة عيناها من شدة النشوة تشعر بتدفق الهروين في عروقها تظن أنها أخيراً ستملك قدرها عندما يغيب أمين بالطبع كانت جنة حزينة لأن حبيبها سيفارقها لفترة طويلة فرغبتها في الانفصال بحياتها لم تعني لها أن تترك أمين وبالرغم من ذلك كانت فرحتها بغيابه أكبر. سرحت بخيالها في خطتها التي ترسمها لكي تنفصل بحياتها عن أمين. فتحت عيناها في تذمر ثم أغلقتهما بعد ذلك بتراخي عندما سمعت صوت المصعد تبعه صوت مفتاح أمين وهو يخترق الباب ظلت جنة كما هي ودلف أمين إلي الشقة مبتهجاً نتيجة تعاطيه الزائد فاليوم هو آخر يوم له كمدني وغداً سيصبح جندياً في سلاح المشاة. صاح أمين عند دخوله قائلاً:

- جبتلك بيرة يا بنت الشيخ.

لم ترد جنة وتعكر مزاجها بعدما ذكرها أمين بأبيها. دخل أمين إلي الغرفة وهو يترنح ليجد جنة مستلقية على ظهرها تلبس قميص أبيض يفضح سمرة بشرتها الملساء فصاح أمين بصوت عالٍ:

- جنتي! إنتي نايمة ولا مأفورة؟

نظرت إليه جنة باستنكار قائلة بصوت تفوح منه رائحة التأفف:

- صوتك عالي أوي يا عم أنت في إيه؟

اتجه أمين ناحيتها بخطوات ثقيلة والابتسامة تملأ وجهه ثم جلس بجانبها على السرير ووضع يده على نهاية بطنها قائلاً ونبراته تفيض منها حيوانيته ويده اليمني تداعب خصلات شعر جنة:

- أنا اللي في إيه بردوا؟ دا أنتي اللي في إيه؟

- ورحمة أمك يا أمين ما تفصلني, أنا مش طالبة معايا دلوقتي خالص غير حبة هدوء. تعرف تديني ساعة هدوء؟

بدأت مشاعر أمين المشحونة بالهروين والخمر يتخللها الغضب. فحاول رسم

ابتسامة على وجهه ويده تمتد لتلمس صدرها فضربت يده بغضب وصاحت فيه قائلةً:

- متخلينيش أنكد على أهلك بقي وسيبني في حالي دلوقتي.

- أنتي بتتكلمي كده ليه يا بنت الكلب أنتي؟

- ده اللي عندي!

- اه. طيب بصي بالعقل كدة. أنتي عمرك جيتي قلتيلي أنا عايزة اكل ولا عايزة أضرب و أنا قلتلك سيبيني فحالي دلوقتي؟

نظرت إليه جنة باحتقار دون أن ترد عليه فتابع كلامه قائلاً:

- لأ! مش كدة؟ يبقي أنا وقت أما أعوزك متقليش أنا عايزه هدوء وعايزة محن عشان مش بمزاجك هيا.

لاكت جنة لسانها بهدوء في فمها وكأنها تتمالك غضبها ثم قالت:

- أنا مش هنام معاك دلوقتي واه هيا بمزاجي ولا أنت أبوك قبل ما يسافر قالك أشتري جارية من سوق العبيد فأنت نزلت جبتني؟!

- جنتي! متخلنيش أربطك وأعمل اللي أنا عايزه غصب عنك.

أعتدلت جنة في غضب واضح قائلة بصوت مرتفع حاد:

- نعم يا روح...

لطمها أمين لطمة قوية منعت سيل السباب المتدفق من فم جنة من الخروج ثم أحضر حبلاً وجنة تر اقبة منكمشة في السرير في ذهول وخوف وكأنها لا تصدق أنه سيفعل ما قال. اندفع أمين ناحيتها بجنون وانهال عليها بالضرب. حاولت الهروب منه فسقطت على الأرض فوضع أمين ركبته على بطنها وقام بتقييد يدها متجاهلاً صراخها الهيستيري وبكائها. بدأت أنفاس جنة في التسارع وتحول بكائها نواحاً وعويلاً وأمين يحاول تكميم فمها الذي تتعالي منه الصرخات وهو يضربها فبالت جنة على نفسها من شدة الخوف. ابتعد عنها أمين مسرعاً عندما رأي ما فعل فقام بفك يدها مسرعاً ثم حاول أن يحتضنها فنفرت منه جنة صارخة فيه بشكل هيستيري:

- ابعد عني يا حيوان. أنت حيوان. كلكوا ولاد كلب حيو انات. سيبني لوحدي.
قام أمين وقد خالط دهشته الضيق والضجر تحسراً على يومه المنفلت من بين يدي رغباته. خرج إلي الصالة وفتح زجاجة بيرة ثم قام بالاتصال بايه صديقة جنة ودعاها لتأتي لتمضي يومها معه. كان يعرف أن ايه لن ترفض ولن تهتم حتي بما ستشعر به صديقتها لأنها تعرف أن أمين «ديلر» مما يعني «ضرب ببلاش» مقابل ليلة ظريفة تقدمها له, أما جنة فلا أهمية لما ستشعر به فليس هناك شيء تستطيع فعله وقد كان.
وفي غرفتها جلست جنة والدموع تكسي خديها الحمراوان والدم يسيل من فمها. قامت من ذاك الركن الذي انكمشت فيه لتغتسل لعل الماء يزيل آثارما حدث لها. ظلت تفكر فيما حدث متعجبة من هذا الذعر الذي فتك بروحها خاصة وهي لم تعتد الشعور بالخوف من قبل فبالنسبة لامرأة تصعد الجبل وحيدةً؛ أن يتم تقييدها ببعض الحبال فهذا أمر تافه مقارنة بما تراه وتمر به في حياتها العادية وخاصة أن من قيدها هو أمين وهنا تذكرت والدها الشيخ أسامة وكيف كان يعاملهم, تذكرت عندما قام بتقييدها وهي صغيرة وأوقد النار على سكينا ليحرق بها كف يديها لأنها أخذت عشرون جنيهاً لتشتري بها دمية أعجبتها بدون علمه, اتهمها بالسرقة وجعل يقول لها «لازم تعرفي ان السرقة حرام يا بنتي. لما احرقك بالسكينة هتعرفي ان عذاب ربنا شديد فعمرك ما هتسرقي تاني.». تذكرت حينما رأته يضرب أمها وهي عارية تماماً لأنها أعطت جنة وأخيها قطعة دجاج كان من المفترض أن يأكلها. نعم قد كان الشيخ أسامة دمث الأخلاق مع الناس لكنه كان حيو اناً همجياً في بيته. الآن أدركت جنة أن الشيخ أسامة قد حفر خندقاً حول روحها سيحاصرها إلي الأبد, إلي الموت.

★★★

# «الفصل التاسع»

قد يكون الشعور جامحاً لدرجة قد تجعله فوق الفهم وخارج حدود المنطق. وقف رشد أمام باب عظيم نقش على جانبه رمز العسكرية المصرية «يد تبني ويد تحمل السلاح.» تسمر أمام البوابة وهو يفكر في والده... كان يشعر وكأن ذلك الباب معبراً بين الأحياء والأموات أو كما نقول «معدية». إن شئت فقل أن رشد مغرم بالرمزية. بالطبع كان يعرف أن الموت هو النهاية وهذا ما كان يؤلمه لكنه كان يبرر هذا الشعور بأن عقله يعلم أنه سيعيش في مكان مكث فيه والده وقت طويل فلم يكن والده مقاتلاً عادياً بل كان معلماً لكثير من المقاتلين ومصدر فخر لرشد كذلك... لم يشعر بقدماه أو بالوقت وصورة والد تتمثل أمام عينه وهو يقف بالزي العسكري يملأ عيناه الفخر وكلماته التي قالها له قبل أن يذهب للحرب تداعب أذنه:

- أنا رايح أحارب عشان أحافظ على حقك لأن الحياة ممكن تقف أحياناً من غير الموت.

تقدم إليه شاب نحيل لدرجة مخيفة إذا جمعت نحافته مع طوله تحيط عيناه الضيقتان هالتان سوداوان أقترب من رشد وطلب قداحة متعللاً بأن قداحته قد فرغت لكن رشد علم حينها أن أمين يبحث عن مؤنس لينسيه خوفه أو ليمر وقته أسرع. أخرج قداحته وأعطاها له في صمت مصحوباً بابتسامة متبادلة. أشعل سيجارته غالية الثمن ثم أخرج سيجارة ومد يده بها ناحية رشد مبتسماً... كان واثقاً في نفسه وكأنه ملك أو كشخص مصاب بجنون العظمة أضف إلي ذلك ملابسه الفخمة ولكنته التي لا توحي بأنه ينتمي لذات العالم الذي ينتمي رشد إليه, عالم العوام. فأجابه رشد بهدوء:

- شكراً يا صاحبي مبغيرش.

ابتسم أمين ليقترب من رشد أكثر وهو يمد يده بالسيجارة قائلاً:

- عيب أنا ماددلك إيدي يا بابا وبعدين أنت داخل الجيش يعني هتغير حاجات كتير مش السجاير بس!

أخذها منه إذ شعر بتلك الرغبة ملحة في عيناه لكي يشعر بنوع من التواصل مع رشد, أي أنها لم تكن «عزومة مراكبية» ورشد أيضاً شاركه نفس الاحتياج. وهنا أدرك رشد أن خدمته في الجيش ستعطيه شيئاً لم يملكه طوال حياته: الخلطة الحقيقية بالبشر في إطار منفعة غير مادية, فكل النفع العائد منها نفسي. أشعل رشد السيجارة ونظر ناحية الباب مرة أخري ليتحرك أمين قائلاً:

- تعالي يا بابا نقف في الطابور نسلم موبايلاتنا... لو فضلنا و اقفين كده الطابور هيطلع على الطريق بره.

وقفا في طابور طويل لساعة كاملة تقريباً وتبادلا أطراف الحديث. بادر رشد قائلاً:

- إنت سلاح إيه يا معلم.

- أنا سلاح مشاة للأسف

- للأسف... ده سلاح الرجالة يا ابني

- يا عم أنا مش عايز أبقي راجل أنا عايز أروح أقعد في البيت وأضرب السيجارتين مع صاحبتي

ضحكا فقال له أمين:

- و أنت سلاح إيه؟

- سلاح الرجالة بردوا!

- هنتنفخ مع بعض يعني!

- غالباً اه!

- بما اننا هنبقي في سلاح واحد المفروض نعرف أسامي بعض.

- أنا أخوك رشد!

- و أنا أمين!

- حبيبي يا أخويا ربنا يسهلها عليك وعلينا!

- حبيبي يا مان!

وصلا أخيراً إلي النافذة وسلما الهواتف ثم عبرا البوابة. تذكر رشد أول مرة جاء بها إلي مركز التجنيد, كان تائهاً يسئل الجميع عن الاتجاهات وما الذي يجب أن يفعله وما الذي سيحدث أما هذه المرة فهو يعلم تماماً أين سيذهب وما الذي سيحدث. هذه المرة سيتم إجراء كشف طبي أخير ليعرف الجميع يوم ترحيلهم... كان رشد يشعر أحياناً أنه لا يطيق الانتظار لكي يذهب إلي دهشور: مدينة الأهرامات التي زاد جمالها التاريخي ولعه بالذهاب إليها وأحياناً أخري يشعر بأنه مقبل على أمر جلل لن يطيقه. اتجه وأمين إلي المنصة التي أصبحا يعرفاها جيداً. كانت المنصة عبارة عن أرض واسعة جداً مرتفعة عن الأرض بنصف متر تقريباً تمتلئ بالمقاعد المثبتة في الأرض وتظلها مظلة حديدية زرقاء اللون وأمامها شرفة على ارتفاع ما يقرب من ثلاثة أمتار يقف بها الضباط المسئولون تارة ليلقوا بالتعليمات تارة وتارة أخري ليخطروا الجميع بأسلحتهم وهكذا وفي آخر المنصة من الخلف «كانتين» يقف به اثنان من الجنود. وقف رشد وأمين ليحتسيا الشاي الذي ابتاعه أمين. أخبره رشد بأمر والده و أنه مات شهيداً في حرب الأفيون الثانية و أنه كان معلماً في سلاح المشاة, ثم أخبره أمين أن والدته ماتت وهي تلده وأن أباه يعمل في الإسكندرية وربته جدته حتى ماتت منذ أربعة أعوام. أثناء حديثهما لاحظ رشد أن هناك شاب يقف مسنداً ظهره إلي الحائط ويمسك رأسه بيده ويده الأخرى تقبض

على سيجارة يبدو وكأنه نسي أنه أشعلها بل وكأنه لا يشعر أنها بين أصابعه وأن النار اقتربت من تقبيل سبابته ووسطاه لتخبره بوجودها. أيقن رشد أنه يعاني من شيء ما وتوقع أن تكون جرعة زائدة من المخدرات... لفت رشد نظر أمين إليه قائلاً:

- بص الجدع ده كدة... مش شكله مأفور؟

- اه ده شكله في اللا لا لاند خالص!

تحرك رشد ناحيته وتبعه أمين... اقترب رشد منه ووضع يده على كتف الشاب قائلاً:

- مالك يا معلم. إنت واخد إيه؟!

نظر الشاب إليه بعينان بنيتان يبدو أنه يقاتل ليبقيهما مفتوحتين ثم رد عليه قائلاً:

- مفيش يا معلم مطبق من امبارح بس وعايز أنام!

- يا صاحبي قلي عشان أنت شكلك مأفور... واخد كيميا؟

- يا عم كيمية ايه وبتاع ايه أنت تعرفني؟

- خلاص يا.....

سكت رشد إذ أن هذا الشاب وبدون مقدمات سقط على الأرض مغشياً عليه كالدمية التي ألقاها طفل صغير. نظر أمين إلي رشد في ذهول وبدأ الجميع في التحلق حولهم و تعالت الأصوات وتداخلت الكلمات مع بعضها فقال رشد بصوت مرتفع:

- وسعوا كده يا رجالة عشان يبقي في هوا الواد يتنفس!

نزل على الأرض بجانبه وجعل يضغط على أنفه بأصبعه بعنف وكذا جانبي رأسه. ناوله أمين زجاجة مياه هرع لكي يشتريها فجعل يصب بعض الماء في يده ليغسل به وجهه فأخذ أمين الزجاجة من يد ثم صبها على رأس الشاب كاملة.

شهق الشاب وقام مفزوعاً وجعل ينظر حوله. فقال أمين في خوف شديد:
- في ظابط جاي ناحيتنا يا جدعان! قوم يا بابا وفوق كده و أنا هروح أجيبلك قهوة.
ساعده رشد على الوقوف ونظف ملابسه من التراب فوصل الضابط إليهم متسائلاً في حزم هادئ:
- إيه اللي بيحصل هنا؟
رد أحدهم – مفيش حاجة يا باشا ده في واحد أغمي عليه
- باشا! باشا إيه يا عسكري؟ في العسكرية في يا فندم مفهوم؟!
أقترب من صاحبنا المنتشي الذي كان يبدو عليه الإرهاق والتعب وسأله:
- أسمك إيه يا عسكري؟!
- روماني يا فندم!
- لما أسألك عن أسمك تقولي أسمك ثلاثي يا عسكري. مفهوم؟!
- روماني مايكل ماجد يا فندم!
- أنت ابن العقيد مايكل ماجد؟
- آه يا فندم أنا ابنوا!
- سيادة العقيد من أحسن العسكريين اللي قابلتهم في حياتي. أنت أبوك كلنا بنتعلم منوا. قلي أنت أغمي عليك ليه أنت عندك حاجة؟
- لأ دى أول مرة يغمي عليا فيها في حياتي.
- روح للأوضه اللي فوشك هناك دي اللي جنب السلم وقول للظابط اللي جوة الرائد هيثم بيقول لحضرتك تكشف عليا وفهموا على اللي حصلك.... أنت كلت؟
- آه يا فندم فطرت قبل أما آجي
- خلاص روح يلا ولو لقيت ضغطك فيه حاجة أو تعبان خلي الظابط اللي موجود يكلمني

- ماشي يا فندم

وصل أمين وهو يحمل كوب القهوة فقال روماني للرائد هيثم وهو يحاول أن يروض تعابير وجهه لتخرج طبيعية:

- هشرب القهوة عشان أفوق وهروح على طول.

فنظر إليه الضابط بمكر قائلاً:

- أهم حاجة تبقي كويس... وخد بالك ساعات القهوة بتطين الدنيا زيادة!

أنصرف الضابط مبتسماً فضحكا بعدما تأكدا أنه ابتعد فقال أمين متعجباً:

- بتضحكوا على ايه يا جدعان ده احنا كنا هنتسوح الظابط ده شكله خد باله.

روماني: متخافش يا عم أوي كدة... الدنيا حلوة متقلقش!

رشد: أيوة صح الواد أمين عنده حق يا روماني إحنا كنا هنتسوح وأمين كان بيجيب القهوة.

ضحك رشد وروماني مجدداً وتذمر أمين من تلميح رشد وبقي الحال هكذا في هذه الصداقة الثلاثية: أمين يهرب بمجرد شعوره بالخطر ورشد وروماني يضحكا منه.

مرت ثلاثة أشهر قضي روماني معظمها في السجن بسبب عنده ورفضه للأنصياع لأبيه وقضاها أمين متصنعاً المرض بين حين واخر حتى أدرك عدم جدوى حيله لكنهم تعلموا الكثير, أصبحوا مقاتلين من الدرجة الأولي. ومع ذلك بدأت تحدث لرشد أشياء غريبة فمنذ أول يوم في دهشور يحلم بذات الحلم وظل هذا الحلم معه طوال خدمته في الجيش... لعام كامل يتكرر ويتكرر حتى أصبح يخشي النوم حرفياً.

في هذا الحلم يري نفسه و اقفاً أمام صرح وكأنه معبد فرعوني أعمدته ضخمة وحوائطه تمتلئ رسوماً وكتابات هيروغليفية وفي منتصف المعبد وضع ميزاناً

ضخماً في إحدى كفتيه ريشة بيضاء وفي الكفة الأخرى قلب إنسان ينبض وعلي يمين الميزان يقف رجل برأس ابن آوى ويجلس وراءه قرد برأس كلب يبدو مخيفاً جداً وعلي يسار الميزان يقف رجل بحلة فرعونية بيضاء زاهية ووراءه طائر عظيم برأس إنسان وامر أتان في حلة فرعونية زرقاء يقفان بجوار بعضهما. يقف رشد من بعيد ترتعد قدماه وتتز ايد أنفاسه وتتسارع ضربات قلبه وبالرغم من ذلك أقترب أكثر وأكثر ببطء ثم أدرك أنهم لا يرونه فاطمئن قلب و أقترب أكثر وعندما تتلاشي المسافة وتضمر ينظر إلي رشد ذاك الطائر الذي يمتلك رأس إنسان ويشير بأحد أجنحته التي تشبه أجنحة الصقر إلي أحد الحوائط المكتوب عليها كتابات هيروغليفيه وكأنه يريده أن يقرأها فيقول له «بس ده هيروغليفي أنا مش هعرف أقراه!» فيشير إلي الحائط مرة أخري... أقترب رشد من الحائط ليلمسه وهو ينظر إلي النقش الذي أشار إليه فيخيل إلي أن معناه «ولدي الحبيب لقد أهديتك نعمة مر افقة الإله حكا... لأنك تقدر قد أخترتك من كل أبنائي... مجد الإله حكا وستصبح عظيماً» تملك رشد الهلع حين فهم الكلام فنظر لذاك الطائر وكأنه يريد تفسيراً فإذا بالجميع يرونه بعد أن كانوا لا يشعرون بوجوده... ينظرون إليه نظرة مطمئنة وكأنهم يقولون «أفعل ذلك ولا تخف!»

استمر هذا الحلم معه بلا تغيير وبمجرد أن خرج من مركز التدريب في أول أجازة ظل يبحث على الإنترنت وبين صفحات الكتب عما رأى بحث عن طائر برأس إنسان ورجل برأس ابن آوي ولم يكن البحث صعباً ولكن نتائج هذا البحث كادت أن تصيبه بالجنون فلقد كان الحلم الذي يراه مرسوم بحذافيره في ما يسمي «بكتاب الموتى» وكان ما أراه هو محاكمة الميت والريشة في كفة الميزان ترمز للعدل والحق أما القلب فهو قلب من تتم محاكمته. لكن ما كان يهم رشد أمران أولهما هو ذلك الطائر الذي يشير إليه وهو روح الكاتب «آني»

كاتب «كتاب الموتى» نفسه أما الآخر فكان الإله «حكا» الذي كان يأمره «آني» بتمجيده وبعد أن بحث عنه كثيراً وجد أنه الإله الذي يهب السحر حتى أن السحر الفرعوني يسمي بالحكا. وأن الكلمة باللغة المصرية القديمة تعني قوة الكلمة.

لم يجد رشد تفسيراً لهذا الحلم فصرف الأمر عن تفكيره ظناً منه أن ولعه بالفراعنة ووجوده في دهشور أرض الإهرامات الكثيرة ألهم عقله الباطن هذا الحلم الذي لا معني له.

روى رشد القصة على روماني وأمين فضحكا منه ثم قال روماني عابثاً:

- خلاص بقي كفاية ضحك كده نتكلم جد... ما يمكن أنت الفرعون ده يبقي جدك مش تعرفه انك ملحد بدل ما الراجل قاعد ينبح في صوته بقاله شهر ونص بيقلك مجد الإله حكا مجد الإله حكا!

ضحكوا حتى كادا أن يغشي عليهم من الضحك بالطبع كان للحشيش الذي يدخنوه تأثير لكن في أعماق رشد كان يظن أن الأمر ليس موضوعاً للضحك بل كان يوقن أنه سينجلي الغبار عن معناه وسيفهمه يوماً ما.

توطدت صداقتهم أكثر وتعرف رشد إلي خليلاتهم جنة الفاتنة المكتئبة وشيماء التي لا تحفل بأي شيء في الدنيا ما عدا روماني والضرب بالطبع. واكتشف أن روماني أيضاً ملحد ومن سخرية القدر كان أمين لا أدرياً!

مر العام وحصل رشد على شهادة التجنيد الخاصة بي ثم توقف الحلم ولمدة يومين استطاع رشد أن ينام كباقي البشر لكن في اليوم الثالث رأي نفسه يقف أمام نفس المعبد لكن الليل كان قد حل لينشر ظلاماً دامساً لم يبدده إلا تلك نار في قصعة ذهبية التي جلس امامها الكاتب «آني» وهو يشير إلي رشد بأن يظل مكانه فشعر بأنه ممنوع من الدخول. يقف وراء آني زوجته التي كما يبدو من لباسها أنها من الكهنة تضع يديها على كتفي آني وتشير إلي رشد

بأن ينصت لآني كأن ما سيقوله سيكون له أهمية عظيمة. مرت فترة صمت تأمل خلالها «آني» ألسنة اللهب في تلك القصعة الذهبية ثم أشار إلي رشد لكي يقترب. جلس رشد أمامه على الأرض وقصعة النار بينهما ثم قال «آني» مبتسماً:

«ها أنا ذا يا ولدي المختار أقول لك ستجمع بين راحتيك كل شيء وسيجتمع حولك كل الآلهة سيكون لك ما لم يكن لأحد منا من قبلك... مجد «حكا» هكذا فقط ستصبح عظيماً!»

لم يراوده هذا الحلم مرة أخري لكن الغريب في الأمر أنه كان يشعر بشعور غريب بالانتماء لشيء أكبر منه لم يشعر به خارج أحلامه. كاد عقله أن يتحلل من كثرة التفكير في هذا اللغز... هذا اللغز الذي لم يجد له حلاً بل هو الذي وجده.

★★★

# «الفصل العاشر»

بينما كان أمين في الجيش يتعلم كبت رغباته بل حتى غرائزه لكن بالنسبة لجنة كانت تلك السنة التي قضاها أمين في الجيش مليئة بالمغامرات. ظلت جنة تبيع الهروين واستمر الحال على هذا المنوال ستة أشهر كونت جنه فيها شبكة علاقات قوية في الجبل حيث ارتبطت معم بالكثير من المصالح فلقد عرفتها «البيسة» على أبناء سفراء وأعضاء مجلس شعب واسعي النفوذ. بالرغم من صغر سن جنة أدركت أن أقوي رابط يربط البشر ببعضهم هو تبادل المصالح ليس القرابة أو الصداقة أو الحب والجميع في الجبل يعرفون جنة ويحبونها لمدة ربع ساعة أو نصف ساعة على الأكثر فجنة و افقت على أن تصبح دميتهم الجنسية التي يستخدمونها وقتما يريدون كل ما عليهم هو الاتصال بها فتذهب إليهم ولم يكن أمين ليسأل عن شيء طالما يحصل على ما يرد عندما يخرج في اجازته الربع سنوية. أصبحت جنة لا تفكر الآن إلا في الاستقلال بحياتها والابتعاد عن أمين الذي رأت فيه عبئاً على كاهلها لم تنس جنة أبداً أن أمين رفض الجلوس مع والدها أو الزواج بها وو افق على قتل جنينها. كل هذه الأسباب جعلت جنة تنفذ ما تفكر فيه فقامت بشراء شقة صغيرة أخفت أمرها عن أمين وجعلتها مخزناً لبضاعتها حيث تقسمها وتغلفها وأحياناً مكان تطارح فيها الغرام من تختار من الرجال. أشترت جنة سيارة وبدا لها أنها بدأت تمتلك زمام الأمور في حياتها حتى طرق باب شقتها العميد زياد الأقرع كما يلقبه الجميع. العميد زياد رجل في نهاية العقد الخامس من عمره لكنه كان يحب الفتيات الصغيرات. فتحت جنة الباب ليدخل العميد بدون أن ينطق كلمة واحدة. أغلقت جنة الباب لتوحي لهذا الرجل المجهول

بالنسبة لها حتى الآن أنها ليست خائفة على غير الحقيقة. وقف العميد زياد وطبنجته تحتضن خصره الهزيل ينظر إلي جنة التي وقفت أمامه مباشرة ثم بدأ بالكلام وهو يتجه إلي أحد الكراسي الثلاثة الموجودة أمامه قائلاً:

- أنا العميد زياد الأقرع رئيس مكافحة المخدرات في الإقليم, بيتك مقرف أوي يا جنة بالمقارنة بالفلوس اللي بتكسبها من الهروين.

بدت جنة كالذي رأي الموت أمامه وأدرك أن هذه هي نهايته فأشار إليها العميد أن تأتي إليه قائلاً:

- تعالي اقعدي هنا!

مشيراً إلي الأرض تحت قدمه. بدأت دموع جنة تنهمر وهي تتحرك لتجلس تحت قدم العميد الذي قال:

- أنتي أكيد عارفه أن تجارة الهروين فيها إعدام و أكيد بردوا بتسألي نفسك أنا ليه جاي لوحدي من غير قوة عشان أقبض عليكي. أنا لما شفت صورتك قولت البت دي خسارة في أوضة الغاز بصراحة. قومي يا جنة تعالي.

وقفت جنة التي كانت ترتدي قميصاً أبيض اللون _لونها المفضل_ أمسك العميد بيدها ليجلسها على ركبتيه لتفهم جنة شكل الصفقة التي ستعقد مما هدأ من روعها قليلاً. جلست جنة بدون مقاومة ليمسك العميد بذقنها حتي تنظر إليه قائلاً:

- شوفي اللي أنتي بتعمليه غلط؟! طبعاً مش محتاجة كلام! لكن أنا عشت كتير عشان أميز اللي بيعمل غلط عشان بس يعرف يعيش واللي بيعمله عشان يحس أنوا مماتش لسه! لكن الغلط لازم يبقي في قدامه عقاب لأن انا لو سبت كل واحد يعمل اللي في دماغه كل حاجه هتخرب وعشان كده أنتي من اللحظة دي بتاعتي الوقت اللي تشوفي رقمي فيه بيرن عليكي تبقي قدامي سواء كنت أنا عايزك لنفسي أو هيادي بيكي حد حبيبي. نطقت جنة بتردد:

- يعني لو عملت كدة مش هتحبسني؟!
- لأ هحبسك طبعاً! لو فضلتي شغاله هحبسك!
- أعتبرني وقفت شغل من امبارح يا باشا.

ابتسم العميد زياد ثم مد يده ليزيح شعر جنة من على وجهها ثم خلع قميصها ليعري السلعة الوحيدة التي تملكها جنة: جمالها.

***

عاشت جنة ثلاثة أشهر شعرت فيهم بلذة العزلة بالطبع في البداية كان الأمر مؤلماً خاصة وأن العقيد زياد استغلها ليهادي تقريباً كل من يعرف من كبار رجال الدولة ثم بعد فترة مل منها ولم يعد يحتاج إلي خدماتها. باعت جنة الشقة واحتفظت بالبضاعة التي كانت تخزنها _ما يقرب من خمسة كيلو من الهروين_ وعادت لبيت أمين. بدأت تفتقد أمين وحضنه الدافئ أن تستيقظ ولا تجد أمين بجانبها أن لا تشم رائحته في سريرها, أن لا تجد أحداً تكلمه بعدما غيرت أرقامها واختفت عن ذلك العالم الذي خلقته. تألمت كثيراً كانت دائماً تتذكر أسرتها وتدمع عيناها حين تتذكر الدفء والسكينة التي كانت تشعر بهم في أحضان والدتها كم ودت أن تعود إلي أمها وترمي نفسها في أحضانها لكن الموت مرض لا علاج له. بعد فترة اعتادت جنة على العزلة بل أدمنتها ولم يكن هناك ما يضايقها إلا احتياجها الدائم لوجود رجل بجانبها ليس ليشبع رغبتها الجنسية ولكن لتشعر بالأمان بالحب الذي لم تتذوق طعمه منذ غادرت بيت أبيها. لكن بعد مرور الوقت استهلكتها الوحدة وأصابتها بتبلد شديد في المشاعر حتى أنها أصبحت لا تشعر بالرغبة الجنسية على الإطلاق بعدما كانت امرأة شبقه حتى النشوة التي كانت تشعر بها عند تعاطي المخدرات ضاعت حلاوتها وأصبحت المخدرات كالمسكن الذي يجب تعاطيه لتجنب الألم.

إلي أن قابلت جنة صبري وهو شاب في الثالثة والعشرين من العمر يعمل في

احدي المقاهي سيقلب حياة جنة رأساً على عقب ولكنهما لم يعرفا أن مصيرهما الاجتماع. عند مرور جنة بالمقهى قررت أن تدخل لكي «تضرب اللاينين» حيث كان ميعاد الجرعة كل ثلاثة ساعات وقررت أن تأخذ فنجاناً من القهوة. كان عمل صبري في المقهى يقتصر على تنظيف الحمامات والأرضية وعند دخول جنة إلي الحمام كان صبري قد أنهي لتوه تنظيفه فقال لها بلهجة مهذبة «أتفضلي يا فندم!» فابتسمت جنة في وجهه ودخلت إلي الحمام وتعاطت جرعتها ثم خرجت وطلبت قهوتها وأشعلت سيجارتها وجلست في هدوء.

اعتادت جنة على أن البشر لا يسعون إلا إلي شهواتهم وأن الكرامة لا تأتي إلا مع المال لكن صبري اصطدم بتلك المعتقدات عندما وجدته يصيح في وجه مديره قائلاً بعصبية شديدة شوهت حتي مخارج حروفه:

- أقسم بالله ما هكمل شغل إلا لما تجيبلي حقي حضرتك!

اهتمت جنة بالحوار وظلت تر اقب ما يحدث في صمت. رد رجل في حلة أنيقة على صبري باستنكار قائلاً:

- كرامتك وجعتك أوي يعني يا صبري! ده زبون مهم وتلاقيه شارب كاسين ولا حاجة ومبسوط وراجل الطربيزة بتاعته مبتقلش عن ألفين جنية كل يوم. طول لسانه عليك؟ الشتيمة مش هتلزق يعني! مشي الشيفت وركز في شغلك ومتتكلمش مع زباين تاني. وهنا خلع صبري «الأبرون» ليلقي به في وجه مديره بعصبية قائلاً:

- يبقي أنا هجيب حقي بنفسي.

ثم جري ناحية طاولة يجلس عليها رجل بدين طويل الشعر كثيف اللحية وعندما وصل صبري إليه صفعه على وجهه قائلاً:

- أنا مفيش حد إتخلق ممكن يهيني وأسكتله!

سادت الفوضي وتشابكت الأيدي وتعالت الأصوات وقام زملاء مختار بأوامر من مديرهم بحمله ورميه خارج المقهى وخرج المدير ورائه قائلاً بصوت مرتفع وعصبية مصطنعة لكي يرضي غرور «الزبون المهم»:

«احمد ربنا إن الباشا متصلش بقوات المقاطعة أو بالأمن الحكومي كان زمانك مرمي في الحجز زي الكلب أو رجالة المقاطعة مقطعالك وشك الجميل ده, لو شفت وشك هنا تاني هخليهم يربطوك في الباك إريا وملكش ورق عندي ولا فلوس, ويلا غور من هنا.

***

دفعت جنة حساب قهوتها قبل أن تشربها وخرجت لتجد صبري وقد أسند ظهره إلي الحائط وأشعل سيجارة لينفس عن غضبه. فتوجهت جنة ناحيته وقالت بعصبيه يخالطها الفضول:

- أنت إيه اللي خلاك تعمل كده؟!

فرد عليها مختار بعصبية:

- متخليكي فحالك وسيبيني فحالي, عشان أنا زي ما أنتي شايفه كده فوضع ميسمحليش إني أهري مع حد معرفهوش أصلاً. تابعت جنة حديثها بإصرار:

- أنت خسرت أكل عيشك عشان واحد شتمك؟!

فرد عليها وكأنه بركان ثائر:

- أنا مش عبد عند أبوهم, زي ما أنا بعامله باحترام هو كمان يعاملني باحترام غصب عنه يعاملني باحترام وبعدين هو لما يشتمني و أنا أسكت تفتكري هعرف أنام بليل؟!

اغرورقت عينا صبري بالدموع وأختنق صوته في حنجرته فهم بالانصراف حتى لا تري جنة دموعه فلحقت به جنة وقد أسرها صبري ثم وقفت أمامه ومسحت دموعه فازداد بكاؤه فأخذته جنة إلي أحضانها, بكي صبري حتى

أدرك أنه في موقف غيرلائق فأعتدل ومسح دموعه فسألته جنة بفضول غير مبرر تشفع له ابتسامتها الطفولية:

- أنت ساكن فين؟

رد عليها صبري بتعجب:

- ليه يعني؟

لترد عليه جنة بمرح وتلقائية:

- متبقاش سخيف أكيد مش هاجي أتقدملك يعني, أنا بسألك عشان أوصلك معايا.

ولأن جنة لها أسلوب لا يقاوم و افق صبري وفي الطريق تعارفا, أخبرها صبري أنه خريج كلية الهندسة قسم عمارة عن طريق المنحة لكن بسبب فقره لم يستطع أن يجد «العلاقات» التي تجعل العمل في مجاله ممكناً و أنه كان يعمل في المقهى لكي يوفر المال الكافي ليساعد أباه في إعالة أمه وأخوته. قالت له جنة:

- بس أنت شكلك مكنتش مبسوط في الشغل ده, أزاي تبقي مهندس وتنظف حمامات؟

رد عليها صبري بحسرة:

- ساعات الدنيا بتجبرنا إننا نقلل من نفسنا عشان نقدر نعلي أو إحنا بنقنع نفسنا بكده وبنبقي متحمسين أوي لحد أما الدنيا تدينا قلم يفوقنا ويعرفنا إن إحنا أصلاً قليلين, أتولدنا قليلين وهنموت قليلين مهما عملنا.

بعد أن قامت جنة بتوصيل صبري تبادلا أرقام الهاتف ثم وصلت جنة إلي بيتها. ظلت كلمات صبري تتردد في أذنها, لقد نبش صبري جرحاً عميقاً في نفس جنة. ظلت تفكر في صبري, ما هذه القوة الجبارة التي جعلته يتغاضي عن فقره ويتخلي عن الأمل الذي يتعلق به لكي ينقذ فقط كرامته؟

الآن أصبح صوت صبري هو أول شيء تسمعه في الصباح وآخر صوت تسمعه قبل أن تخلد إلي النوم. ظلا يتكلما لمدة أسبوعين أشعلا الشعور في نفس جنة مرة أخري. أحبت جنة صبري لأنه كان على عكس كل الرجال الذين عرفتهم لم يكن ينظر إليها كمصدر لإشباع غرائزه بل كان يتعامل معها كامرأة, كإنسان. أما صبري فكان متردداً فمن ناحية هو معجب بها وبقوة شخصيتها فقد أخبرته جنة أن والداها ماتا في حادثة وأنها بنت نفسها بنفسها وعملت في تجارة الملابس «الحريمي» كما أنها في غاية الجمال, لكنها من ناحية أخري مدمنة لا يعرف هل سيستطيع الوثوق بها أم لا وهي على هذا الحال.

***

مرت شهور رأت فيها جنة مواقف صبري معها من رفضه لمالها وهو لا يملك مالاً, من رفضه أن يخرج معها وهي ترتدي ملابس كاشفة, من أنه لم يحاول مرة لمسها بطريقة شهوانية, كثير من المواقف جعلت جنة تنظر إلي صبري كرجل حقيقي لم تقابل له مثيل من قبل والرجل الذي يملأ عقل امرأة يحتل قلبها فأصبحت جنة لا تريد شيئاً في هذه الدنيا إلا صبري تريده كزوج تعيش معه حتى تشيخ لذا قررت أن تصارح صبري بحقيقتها فرتبت يوماً لكي يتقابلا, شاهدا فيلماً في أحد سينيمات «وسط البلد» ثم جلسا في أحدي المقاهي ليحتسوا القهوة ليخطفا وقتاً يكونان فيه معاً ليتبادلا أطراف الحديث. كانت الحديث سلساً مرحاً تتخلله نظرات الحب البريئة حتى قالت جنة بحذر:

- أنا في حاجة عايزة أقلهالك.

فرد عليها صبري والابتسامة ما زالت على وجهه

- قولهالي! أنتي مش محتاجه مقدمات يعني!

فنظرت جنة إليه وأستجمعت قواها ثم قالت:

- أنا عارفه أن الموضوع ده مبقاش يهم معظم الناس بس أنا حاسه أني لازم أصارحك بأن أنا مش بنت!

فعبس صبري قائلاً وكأنه لم يفهم مقصدها أو لم يرد أن يفهمه:

- إنتي ست البنات يا روح قلبي!

فدمعت عينا جنة قائلة:

- أنا مش بنت, كنت بحب ولد إسموا أمين و أنا عندي تمنتاشر سنة وحملت منوا وسقطت الجنين, وكمان أبويا وأمي مش ميتين ومكنتش بتاجر في ملابس حريمي من زمان أنا الأول كنت ببيع بودرة لحد أما وقفت على رجلي وبقيت أتاجر في الهدوم الحريمي.

بدا على صبري الصدمة والحيرة وساد الصمت وظل صبري ناظراً إلي الأرض فأزداد بكاء جنة وأصبحت خائفة من هذا الصمت وحتى خائفة من أن يتكلم صبري فقالت بصوت يختلط به الاستعطاف:

- والنبي يا صبري متسيبني لوحدي أنا بجد بتغير عشانك وبسببك.

ساد الصمت مرة أخري ولكنه هذه المرة كان طويلاً شعرت جنة كأن هذه الدقائق القصيرة أطول من عمرها الذي انقضي ثم أشعل صبري سيجارة وكسر ذلك الصمت قائلاً:

- إذا كان ربنا أداكي فرصة تانية أنا اللي هقف قدامك؟! أنتي بالرغم من إني معرفكيش بقالي كتير بس حركتي مشاعري أنا شايفك بت جدعة وحنينة كدة, أقلك قومي إغسلي وشك وبطلي عياط, متعيطيش كدة تاني أبداً ومتخافيش من حاجة طول ما أنا جنبك

ابتسمت جنة برغم الدموع التي بللت وجهها الخمري وقامت لتغسل وجهها وهي تشعر وكأنها امتلكت الدنيا بعدما أزاحت سراً من على عاتقها, ثم «عملت لاينين»وكل ما تفكر به أنها ستتزوجه لتؤسس بيتاً وتبعد عن نفسها ذلك الهاجس الذي لا يفارقها بأنها ستموت وحيدة لأنه لن يقبل أحداً الزواج بها بعد ما فعلته بحياتها.

خرجت جنة لتجلس مع صبري ولكنها الآن تشعر بأنها تمتلكه. ظلت جنة مع صبري وقتاً يقل عن الثلاثة أشهر بعض أسابيع حاولت جنة فيهم أن تجعله يقع في غرامها كانت صادقة معه في كل شيء, حكت له أدق تفاصيل حياتها قبل أن تلقاه, رسمت نفسها كضحية افترستها الذئاب وبالفعل هذا ما حدث. أحبها صبري وقدر صدقها وأمانتها معه لكن في يوم تخلت جنة عن حذرها وضعفت وغلبتها طبيعتها و أثناء حديثها معه على الهاتف قالت والهوى يقودها:

- يا صبري أنا عايزاك!

رد عليها الرجل بعدما ابتلع حياءه:

- ما أنا كمان عايزك!

فقالت له جنة وصوتها يشي بتلك الابتسامة العريضة على وجهها

- أنا قصدي أنا نفسي فيك... هتجنن وأخدك فحضني.

فهم صبري مقصدها فصمت فبادرته جنة قائلة:

- مش إنت بتحبني يا صبري؟!

فرد صبري:

- آه طبعاً بحبك.

فقالت له:

- يعني لو أنا نفسي أشوفك دلوقتي تجيلي البيت؟!

ليرد صبري بعفوية:

- آه طبعاً أجيلك!

هنا ظنت جنة أن صبري وقع في فخها ستشاطره الفراش حتى تحمل في ولده فيكون حينها مجبراً على الزواج منها فهو ليس من النوع الذي قد يرضي بقتل روحاً لم تقترف أي ذنب إلا أنها في رحم خاطئ.

مرت ساعة تزينت فيها جنة وتعطرت ثم ارتدت أكثر ملابسها إثارة كانت ترتدي قميصاً أحمر اللون شفاف يري ما خلفه ثم لفت سيجارة حشيش بعدما «ضربت لاينين» وجلست تستمع إلي الموسيقي الهادئة ثم بعد فترة دق جرس الباب فقامت لتجد صبري الذي دخل إلي الشقة بهدوء بدون أن يسلم على جنة و أتجه ناحية الكرسي وجلس فأغلقت جنة الباب وعادت لتجلس على يد الكرسي الذي يجلس عليه صبري ثم مالت على أذنه وقالت و أنفاسها الساخنة تداعب رقبته:

- وحشتني أوي!

فأجابها صبري دون أن ينظر إليها قائلاً:

- دي حاجة جميلة

تعجبت جنة من الرد فسألته وأصابعها تداعب شعره وهي تسند رأسها على صدره:

- هو أنا موحشتكش؟!

فأبتسم صبري ابتسامة حسرة وقال:

- لأ وحشتيني وعشان كدة جيتلك بس مكنتش متوقع إني هاجي ألاقيكي لابسة كدة بصراحة!

فقامت جنة الشبقه ووقفت أمامه مبرزة مفاتنها ثم قالت:

- لو القميص مش عاجبك ممكن أغيره!

فقال لها صبري ساخراً:

- معرفش العيب في القميص ولا في اللي لابسة القميص.

ردت جنة مستنكرةً ما يقول:

- قصدك إن جسمي مش عاجبك؟! على فكرة أنت بتكدب أنا شايفه فعينك نفس المشاعر اللي أنا حاسة بيها, شكلك محتاج تشجيع.

ثم خلعت جنة القميص وأصبحت تقف أمام صبري عارية تماماً. نظر إلي جسدها العاري نظرة احتقار ثم نظر في عينيها بحدة قائلاً:

- أنتي جميلة أوي يا جنة!

فابتسمت جنة وكأنها لم تشعر بنبرة التقريع في كلامه و أقبلت عليه فأستبقها قائلاً وهو يشير إليها بأن تتوقف:

- بس أنتي جميلة من بره بس... من جواكي أنتي حقيقي زبالة, رخيصة أوي, و أنا متربي عالغالي فمنفعكيش. أنا أديتلك فرصة أنك تخرجي الجزء الحلو اللي جواكي بس أنتي مبسوطه كده!

صمت صبري للحظة ثم تابع حديثة وهو يهز رأسه مستنكراً:

- مجرد إنك بتعملي كدة معايا تبقي بتعملي كدة مع غيري, يا خسارة يا جنة, والله أنتي أكتر إنسانة مقرفة عرفتها فحياتي ومعتقدش إني هعرف حد أقذر منك.

سالت دموع جنة حتى بللت نهديها وقالت بتذلل شديد:

- والله من ساعة ما عرفتك ما لمست حد غيرك ولا حتى كلمت حد غيرك!

فقال لها وقد فقد الأمل فيها تماماً:

- « يا خسارة يا جنة! تعرفي أنتي هتفضلي طول عمرك سليم عمرك ما هتعرفي تبقي جنة تاني, إنتي على قد ما أنا قرفان منك لدرجة إنك بجمالك ده كله و اقفه قدامي عريانه لكن ما قدرتيش تغريني على قد ما إنتي صعبانة عليا بجد.

قال صبري هذه الكلمات خرج من الباب ثم أغلقه بقوة.

ظلت جنة على ركبتيها على الأرض تبكي دموعاً كالنهر وهي تبدو كمن رأي شبحاً لا تتكلم ولا تتحرك, في هذه اللحظة ماتت آخر نقطة بيضاء داخل جنة, ماتت كل أمالها في الحياة فلقد رفض صبري السلعة مع أنها كانت بدون ثمن. نظرت

جنة حولها فارتعبت لقد عادت إليها وحدتها مرة أخري لكنها عادت لتجد امرأة محطمة لا حياة فيها. ظلت على حالها تبكي ثم قامت وارتدت ملابسها وهي تشعر بدونية شديدة ثم جففت دموعها وأمسكت بهاتفها لكي «تضرب لاينين» فدمعت عينا جنة مرة أخري وأطاحت بهاتفها بعيداً, انهارت أعصابها وظلت تصرخ أمام المرآة «يعني يوم ما أرتاح لواحد يطلع زيك, شيخ تاني, يعني أعمل أيه أكتر من كدة..... إنتوا عايزين مني إيه.... أنا وحشة و إنتوا ملايكة كلكوا زبالة... كلكوا ممثلين بتمثلوا إنكوا نضاف وعشان تبان نضافتكوا لازم تبينوا وساخة ناس تانية.... أنا بقيت كدة بسببكوا... إنتوا عايزني كده إنتوا شايفني كده.»

مرت الأيام واهالت جنة الهروين على جراحها وتلاشت صورة صبري من ذاكرتها لتظل صفحة من حياتها لم يعرفها أحد غيرها لكنها لم تختلف عن باقي الصفحات.

★★★

# «الفصل الحادي عشر»

- «أنا مش هصحيك تاني يا أبني الساعة ستة قوم يلا عشان تلحق شغلك» بهذه الجملة بدأ يوم رشد الأول في العمل بعدما أنهى عاماً شاقاً في خدمة الوطن.

- «أنا نازلة عشان أتأخرت, الفطار عندك في المطبخ. قوم يلا عشان تلحق الطابور من أوله مينفعش يا رشد تتأخر.»

هكذا أضافت الأستاذة أميرة (كما يلقبها زملاؤها في السنترال) التي يبدو عليها علامات التعب ثم خرجت إلي ذلك العالم الذي لا يرحم الضعفاء. نظرة واحدة إلي تلك المرأة تجعلك تدرك أن الحياة ليست عادلة, تجعلك تشعر بالحزن الشديد والأسى على تلك المرأة التي يبدو من تجاعيد وجهها أنها لم تعرف طعم السعادة قط فلقد توفي زوجها في حرب الأفيون وترك لها رشد وهو أبن عشرة أعوام , (سماه أباه رشد تيمنا بالفيلسوف العظيم ابن رشد) فوهبت حياتها من أجله,حاولت جاهدة أن تربيه على المحبة والخلق القويم لكن العالم حمل إليه نوعاً آخر من التربية وها هو وقد أصبح شاباً وسيماً يشبه أباه شكلاً لكنه يختلف عنه في تمرده على الو اقع وشعوره بالنفور من الناس لجهلهم أو حيو انيتهم دائماً ما كان يري أن اهتمامه بالفكر والعلم قد يقوده إلي العزلة لذا كان يدفع نفسه دفعاً لمخالطة الناس وإن كان لا يحب ذلك وعلي هذا المنوال أصبح رشد شاباً مليء بالتناقضات التي تعيش بداخله جنباً إلي جنب بدون أن تمحي أحدها الأخرى.

أستيقظ رشد على صوت الباب وبمجرد أن فتح عيناه حتى امتدت يده تحت وسادته ليخرج سجائره لينفس فيها عن توتره وخوفه فهو لم يستطع النوم

إلا سويعات قليلة فبالرغم من حماسة الشديد لكي يبدأ مسيرته ورسالته كمعلم إلا أن هناك بداخله خوف شديد غير مبرر وصوت يخبره بأن اليوم لن يسير كما يشتهي. أنهي رشد سيجارته وهو ما يزال في سريره ثم أغتسل وأرتدي أبهي حلله قميصاً أبيض اللون وبنطالاً من نوع الجينز وحذاء أسود اللون ذو لمعه زاهية. أعد رشد لنفسه كوباً من الشاي وأخرج من درج صغير في مكتبه بخاخ «الأفيوكين» ثم دسه في جيبه بعد أن استنشق مرارته وجلس ليحتسي الشاي على أنغام موسيقي الجاز الهادئة التي يحبها.

خيم على رشد شعور قوي بالخوف لكنه ظن أنه ناتج عن إقباله على أمر جديد عليه. على أي حال نفض رشد الخوف عن كاهليه ولم يستمع إلي شعورة الغامر بالقلق ثم بدأ رحلته إلي «مدرسة الحرية الثانوية الخاصة المشتركة». تقع هذه المدرسة في منطقة عشوائية حيث يعيش المهمشون الذين تم نسيانهم فنسوا أنفسهم وكان رشد يري أن الفلسفة هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تحل مشكلات البشر فعلاج الجهل العلم ولذا أراد رشد أن يعلم أبنائهم حتى يشعر بأنه أضاف شيئاً للمجتمع.

لكي يصل رشد إلي مدرسة «الحرية» لابد وأن يعبر المعدية وهي عبارة عن جسر يمتد فوق الرشاح ووسيلة المواصلات الوحيدة التي تعبر المعدية عبارة عن سيارة نصف نقل كتلك التي تنقل البضائع ولكن بدلاً من البضائع يتم تكديس البشر فيها في الصندوق الخلفي ويقود سائقها (العرباوي) الذي لا يستطيع أي من الركاب أن يغالطه في الحساب أو يتذمر من طريقة قيادته وكأنه يحمل بعض البهائم, يصمت الجميع فالصمت هنالك منجاة.

عند عبور المعدية لم يستطع رشد أن يتنفس من قذارة الرائحة فبالإضافة إلي وجود الرشاح (نهر صغير من مياه المجارير) تتراكم أكوام القمامة (التي يرميها أهل المنطقة) على جانبي المعدية كما ألقي أحدهم بحصان ميت

على قارعة الطريق فوجدت فيه الكلاب الضالّة وليمة شهية وفي الحقيقة كان المنظر أبشع من الرائحة. عندما تعبر المعدية وبعد تفتيش صارم من مافيا المقاطعة تصبح في منطقة تعرف بين الناس «بالكفر» يشكل العرب السيناويه معظم قاطنيها حيث يعيشون في مجتمع خاص بهم منغلق عليهم لا يسمح لأحد (الفلاحين كما يسمونهم العرب) بالاقتراب منه فهم لا يتزوجون أو يعملون مع هؤلاء الفلاحين فالعرب لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة.

يقسم الكفر شارع كبير يسمي شارع «الإتحاد» وفي آخره تقع مدرسة «الحرية». أكبير قبيلتان في الكفر هما قبيلة «الطوابين» وقبيلة «الربيضات» يتنافسان على السيطرة على هذا الشارع الحيوي الهام بالطبع لأسباب مادية, كل هذا كان يعلمه رشد , ما لم يكن يعلمه هو أن عبور المعدية ليس مجرد عبور من مكان لآخر فأنت عندما تعبر «المعدية» تتغير الثقافة وتعبيرات الوجوه ومعاني اللغة والقوانين حتى الأغاني تتغير, يتم تجريدك من إنسانيتك لتصبح «فلاحاً» بدلاً من «إنساناً» أي تصبح جسداً لا قيمة له يمكن التضحية به لإسعاد طفل صغير مثلاً... باختصار تصبح في مملكة العرب.

وصل رشد إلي المدرسة وكان طابور الصباح قد بدأ لتوه. وقف رشد في الطابور وأستمع إلي تحية العلم ثم أقترب منه سامح مدرس تربية رياضية (حاصل على دبلوم صنايع) وأدار معه حديثاً عادياً وتعارفا ثم نصحه قائلاً:

- خد بالك أوعي تعمل مشكلة مع طالب عرباوي, لو فلاح عادي ممكن تتلم لكن عرباوي بلاش أنت عارف عندنا هنا مافيتين في الكفر والاتنين عرباوية.

تعجب رشد من هذه النظرة الدونية, هل يعقل أن يتعامل المعلم مع طلبته وفقاً لتصنيفات مثل هذه التصنيفات, بهذا الفكر؟! بالطبع رشد يدرك أن هذه هي فلسفة المجتمع لكن ما أثار دهشته هو أن تمتد هذه الفلسفة إلي داخل أسوار المدرسة. ظل رشد يفكر في ما قاله سامح ولكنه على أي حال بدأ يومه ودخل الحصة الأولي.

عندما دخل رشد إلي الفصل كانت الفوضى تسوده, بضعة طلاب يتعاركون بالأيدي وبعض الطلاب تحلق حول طالب آخر يقص عليهم مغامراته وهم يستمعون إليه باهتمام. طالب واحد فقط أعتدل عندما دخل رشد إلي الفصل أما البقية فلم يعيروه اهتماما. حاول رشد جاهداً أن يرسي النظام في الفصل لكن بلا فائدة وكأن معلماً لم يدخل الفصل. وقف رشد لمدة دقيقة صامتاً, كالحجر لا تبوح ملامحه بشيء ينظر إلي الجميع وكأنه يحفظ وجوههم. بهدوء تام استدار رشد ليواجه السبورة معطياً ظهره للفصل, خلع رشد ساعته وبدأ بفك أزرار قميصه وهو يستدير مجدداً ليواجه الجميع بدت عضلات رشد المرسومة بتناسق فائق حاملة معها كل العناء والحياة الشاقة التي عاشها في أثناء خدمته في الجيش. خلع رشد قميصه تماماً ليخرج الصفير من جميع الطلاب وكأنهم اتفقوا عليه مسبقاً يصم الآذان طوي رشد القميص بعناية واستدار ليضعه على المنضدة وهنا سكت الجميع عندما شاهدوا ظهر رشد الذي رسمت عليه لوحة من الجلدات التي تبوح بوحشية البشر وذاك الوشم الذي يدل على أنه خدم في القوات الخاصة المرسوم على كتفه والذي كان يعني أن هذا ليس الشخص الذي يمكن العبث معه. استدار رشد و ابتسم ابتسامه خفيفة وبكل هدوء قال:

- أنا عارف قوانين الشارع أكتر منكم لأني عشت فيه أكتر منكم ولا أنتوا فاكرين أني من حي الأعضاء؟ ببساطه كدة اللي شايف أن أنا مستحقش احترامه يطلع قدامي هنا يقلي كده فوشي!

صمت جميع الطلاب عدا «عدي» الذي كان متكئاً في جلسته الذي بدأ يصفق بحرارة بوجه يحمل ابتسامة دافئة ونظرة حادة لا تتراجع عن اختراق عينا رشد الذي بادله ذات النظرة بعدما اعتدل ليواجهه وللحظه ساد صمت مخيف مثل ذاك الهدوء الذي يسبق العاصفة حتى خفف «عدي»

وطأة الصمت قائلاً:

- أنت منين يا أستاذ؟

- هتفرق معاك؟

- آه طبعاً, الأصل يا أستاذ أهم حاجة في حياة الراجل. طبعاً الكلام ده مش مهم عندكوا!

- قصدك عشان أنا فلاح و أنت عرباوي؟

- أنا مقلتش كده, أنت شوف نفسك زي ما أنت عايز بس متقولنيش كلام مقلتوش.

- أنت اسمك أيه قلتلي؟

- عدي بن الشيخ مختار!

- أصلك يا عدي مش هينفعك لو أنت نفسك مش أصيل وبعدين افهم من النمرة اللي أنت عاملها دي أنك مش شايف اني استحق احترامك؟

- لو أنا شايف كده كنت طلعت قدامك قلتلك فوشك بس أنت عشان متعرفنيش فهمت غلط. ألبس قميصك يا أستاذ و أبدأ الحصة.

- كويس لأن أحترامك حاجة مهمة أوي بالنسبة لي. الفكرة أن دماغك عاجباني وشكلي كدة هحبك.

- ربنا يجيبها محبه يا أستاذ!

التقط رشد قميصه بنفس الهدوء وبدأ في ارتداءه, عدل رشد من هندامه ليعود أنيقاً كما كان على غير عادة المعلمين. اعتدل رشد ليواجه الفصل ليبدأ حديثه قائلاً:

- أنا أستاذ رشد و أنا اللي هدرسلكوا مادة «فكر وثقافة» السنادي. معظم المدرسين بيختاروا كتاب وبيدرسوه واعتقد أن انتوا متعودين على كده لكن إنا شغلي مختلف , مش بقول أن أنا أحسن من حد بقول أن النظام مختلف.

صاح أحدهم:

- مختلف أزاي يعني يا أستاذ؟!

- يعني أحنا مش هنشتغل في كتاب أحنا هنعمل مناقشات مع بعض هديكوا المواضيع بتاعتها مكتوبة والأمتحان هيبقي عبارة عن أنك تقول رأيك في المواضيع اللي أحنا هنتناقش فيها وبالتالي أي إجابة هتبقى صح.

صاح عدي مستبشراً:

- أقسم بالله أنت أستاذ زي العسل. هنمشيها بالحب يعني؟

- لأ بالعقل!

أمسك رشد بقلمه و اتجه ناحية السبورة ليكتب بخط كبير ثلاثة أسئلة:

- من أنا؟ - أين أنا؟ -لماذا أنا هنا؟

استدار رشد قائلاً:

كل اللي أحنا هنعملة الترم ده أن احنا نجاوب على التلات أسئلة دي. تحسها أسئلة تافهة صح؟

رد عدي قائلاً بسخرية يخالطها فضول:

- أحنا هنقعد ترم كامل في الأسئلة الهبلة دي؟ أنا مش فاهم ده اخرك يعني؟

- أنت قاعد هنا ليه يا عدي؟ شكلك مش محتاج تدرس عشان تلاقي شغل؟

- أنا قاعد هنا عشان لو مقعدتش هنا أبويا هيضربني بالنار!

- ليه؟!

- عشان هو عايزني اخد شهاده عشان أمسك شغل العيله عشان يكبره. بيقول لازم ابقي بفهم عشان اعرف ادور الدنيا يعني!

- أبوك صح. وعشان تبقي بتفهم مينفعش تبص للحاجة بسطحية.

بدأ رشد يتحرك بين الطلاب متابعاً حديثه.

- أول حاجه هعلمهالكوا أن كل حاجة في الدنيا تحتها فكرة, كل حاجة بمعني

كل حاجة. العربية اللي أنت بتيجي بيها المدرسة دي تحتها أفكار ونظريات فيزيائية وتفكير اقتصادي وتسويق. أن أنت تيجي سايق عربيتك وواحد تاني ييجي فعربية البهايم اللي على أول الكفر ده شيء تحته فكرة, لما حد بيحب حد حبوا بيبقي تحتوا فكرة ولما حد بيكره أو بيخاف أو بياخد كلب متعور يعالجه أو بيضرب واحد تاني بالنار كل ده تحته فكره. لما تفكر بالطريقة دي هتبدأ تفكر فكل حاجة وبالتالي هتبدأ تفهم.

رد خالد الطالب الذي أعتدل في جلسته عند دخول رشد الفصل بفضول وحماس شديد للمعرفة قائلاً:

- طيب أنا أعرف منين أن أنا لما أفكر اللي هوصلوا هيبقي صح؟

- سؤال جميل, جميل جداً كمان. بص المهم أنك تبقي بتفكر عشان توصل للحقيقة والحقيقة هي اللي هتوصلك بعد سنة اتنين مش مهم الوقت. لو أنت مت و أنت بتدور على الحقيقة يبقي شرف ليك لأن الأنسان لما بيدور على الحقيقة بيبقي هو نفسوا حقيقي مش مزيف. فهمت؟

- تمام يا أستاذ!

- نرجع للتلات أسئلة. عشان نعرف نجاوب على الأسئلة دي هحكيلكوا قصة ممكن يبقي ناس فيكم عارفينها وناس لأ بس هو مهم أن أحنا نحكيها: هنرجع بالزمن شوية, شوية كتير في الحقيقة. في سنة ٢٠٢٠ اجتاح العالم كله فيرس اسمه «كورونا» وحصل بسببه وفيات كتير جداً وأضطرت كل الدول انها تقفل المصانع والمدارس ودور العبادة كل حاجة اتقفلت ودول كتير عملت حظر تجول والناس كلها في العالم كله فضلت في بيتها تقريباً سنة كاملة وبالرغم من كدة مات اكتر من تلاتة مليون بني ادم. الفكرة ان ساعتها ناس كتير ماتت من الجوع مش من الوباء لأن اقتصاد الدول كلها تقريباً اتدمر لدرجة أن دول زي اليابان وروسيا و ايطاليا واوكرانيا ومعظم دول امريكا الجنوبية وبالذات

المكسيك المافيا هي اللي ساعدت الناس وحسب الدراسات اللي اتعملت وقتها المافيا في الدول دي أنقذت أكتر من تلاتة مليون تانين من الموت.

تحرك رشد ناحية مقعد عدي ليقف مستنداً إلي المقعد قائلاً:

- المفكر دايماً بيسأل نفسه ايه السبب وزي ما الراجل المحترم ده قال أن احنا ممكن لما نفكر نوصل لنتيجة غلط ودي حاجة واردة جداً المفكرة الأناركية إيرينا إيفاشينكو سألت سؤال مهم:

هل النظام العالمي هو السبب في كل الوفيات والخوف ده؟ لأنوا فعلاً فشل فإنه حتى يطمن الناس أو يلحق اللي بيموتوا من الجوع. الأغنياء بس هما اللي كانوا فأمان. ساعتها الوباء ده بين ضعف الدول في مقابل الأفراد سواء كانوا رجال أعمال شرعية اتبرعوا لأنقاذ الناس ومنهم اللي خصص مبالغ كبيرة جداً عشان يتوصلوا لدوا وهما فعلاً اللي لقوه في الاخر أو المافيا اللي أنقذت ناس كتير من الجوع ونظمت الحياة وفدول كتير المافيا هي اللي عملت حظر تجول. ساعتها سؤالها عمل ضجة كبيرة بس أنا مشفتش حد سألني يعني أيه مفكرة «أناركية» يعني. أنتوا عارفين يعني إيه؟

صمت الجميع ليحصل رشد على نظرات تدل على عدم الاستيعاب ابتسم رشد قائلاً:

- مينفعش متفهمش وتسكت. لازم تفهم. أناركيه يعني لا سلطوية. يعني إيه بردوا؟ يعني ببساطة شايفة أن المفروض ميبقاش في دولة أصلاً وأن المفروض الناس تدير الحياة من خلال منظمات وهيئات مجتمعية هو فكر متطرف شوية وممكن تحس أنوا غبي بس في الاخر هو فكر.

نظر رشد للطلاب الذين يبدو عليهم وكأنهم يستمعون لقصة ما قبل النوم لينتاب رشد شعوراً طفيفاً بالخيبة.

- أنتوا فاهمين اللي أنا بقوله؟!

رد طالباً يحتل مقعده وكأنه دباً هارباً من أحد الغابات بضخامته وشعر لحيته الكثيف يسمي «رضوان» قائلاً:

- والله فاهمين يا أستاذ كمل أنت بس!

- جميل بعد خمس سنينن كان الوباء انتهي ومبقاش فيه مشكلة لكن المشكلة بقت في الاقتصاد لأن دول كتير اقتصادها وقع ودول طمعت في مكان دول فحصلت الحرب العالمية التالتة. مات فيها كام واحد بقي؟ سبعمية وخمسين مليون وبسبب الجوع انتشر أكل لحوم البشر في العالم لدرجة أن كان في ناس بتخلف عشان تاكل الطفل اللي خلفته. بعد الحرب بقي الحاجة «إيرينا» تسكت؟! لأ كتبت كتاب أسمه «شركة الهند الشرقية والعالم الجديد» ملخص الكتاب أن الشعوب لازم يبقى ليها سلطة من خلال شركات زي شركة الهند الشرقية تشتغل مع الدولة وتخليها أقوي.

قاطع خالد رشد متسائلاً:

- ايه شركة الهند الشرقية دي يا أستاذ؟

- أنت اسمك ايه يا ابن الناس؟

- خالد يا أستاذ

- أنت دماغك نضيفه يا ولا. بصوا يا جدعان دي شركة أنجليزية اتأسست في القرن الستاشر وكان في شركات زيها بالظبط بنفس الاسم بس فرنسية وبرتغالية وهولندية كلهم كانوا بينافسوا بعض على احتكار التجارة اللي جاية من الهند والصين غالباً وبعد قرن واحد كانت الشركة الانجليزية قضت على كل المنافسين وسيطرت على الهند عسكرياً مش اقتصادياً بس وكان عندها جيش فيه متين وستين ألف جندي وساعتها كان ضعف عدد الجيش الانجليزي نفسه وبعد كدة اعلنت انجلترا ان الهند تابعة للتاج البريطاني الفكرة أن الشركة دي كانت من الاسباب الرئيسية في قوة انجلترا لفترة كبيرة جداً.

نرجع بقي للوليه اللي اسمها «إيرينا» دي, «إيرينا» قالتلك إن لازم كل دولة يبقي فيها شركة أو أكتر زي شركة الهند دي وقالتلك إن المافيا هي أحسن منظمة تقدر تعمل الشركات دي وده فعلاً كان حقيقي. الفكرة بقي أن الست دي تبقي بنت إيفاشينكو زاجوردونيك زعيم المافيا الأوكرانية.

رد أحد الطلاب مازحاً

- بتمحر لأبوها يعني!

- سواء كانت بتعمل كده أو لأ فهي غيرت معالم العالم وخلت أوكرانيا من أقوي الدول في العالم لأن أبوها أول واحد عمل برأيها.

كل الدول بعد الحرب كانت متدشملة والدول اللي كانت فيها مافيا بدأت تقلد الحاج إيفاشينكو وبعد خمس سنين حصل نوع من الاستقرار وبدأت الدول اللي فيها النوع ده من الشركات تستهدف الدول اللي معندهاش يعني نوع جديد من الحروب مفيهوش تدخل من الدولة وفنفس الوقت كل حاجة فيه بتحصل ورا الستارة يعني مش معلنة لأن أنت كدة مش بتتعامل مع جيوش دي جريمة منظمة. الدول العربية بتاعتنا بدأت تقلق ومصر كانت هيا الرائدة في أن هيا جابت العائلات الكبيرة اللي شغالة في المخدرات أو الاثار أو السلاح وعملوا اتفاق كان ساعتها غير معلن أنهم هيسيبوهم يشتغلوا ويسلحوا رجالتهم من غير ما الحكومة تطاردهم في مقابل أن مفيش أي منظمة أجنبية تحط رجلها في مصر.

رد عدي قائلاً وقد بدا أن صبره أصبح هزيلاً:

- بص يا عمنا هو كلام جميل و انا مكنتش أعرفه بس ايه علاقته بالأسئلة اللي أنت كاتبها؟

تخلل كلام عدي ذاك الجرس الذي يعني نفاذ الوقت المخصص للحصة فأجابه رشد وهو يجمع أشياءه استعداداً للرحيل:

- اللي أنا قلته ده إجابة سؤال: «أين أنا؟» والحصة الجاية أنتوا هنحاولوا تدولي أجابة على السؤال الأول «من أنا؟»

خرج رشد من الفصل منتشياً بعدما استطاع أن يتسلل إلي عقول هؤلاء الشباب بدون حوادث مؤسفة. لم يكن يعلم أن السعادة لا تدوم بل وأنها تحمل في طياتها غفلة عما هو قادم.

«الفصل الثاني عشر»

كانت من عادة الحاج منصور أن يتناول كل يوم إفطاره بعد أن يصلي صلاة الصبح ويدعو لأخاة الشهيد «محمد وهبي» أوكما اعتادوا أن يطلقوا عليه «أبو رشد» كان الحاج منصور يعشق أخاه لذا بعد موته ألزم نفسه بأن يقرأ له الفاتحة ويدعو له بعد صلاة الصبح كل يوم.

ينهي الحاج منصور إفطاره ثم يشرب كوباً كبيراً من القهوة بعد أن يمتص «سنة الأفيون» الذي كان يأخذه لكي يستطيع مباشرة أعمالة الكثيرة في القاهرة وفي بلده الأصلي سوهاج الذي تركه عندما كان لا يزال فقيراً مع والده ووالدته وإخوته السبعة.

في ذلك اليوم لم يتناول إفطاره بل عندما أستيقظ من نومه أمر بقهوته لتأتيه وهو يشاهد النشرة. تذكر الحاج منصور نفسه عندما كان صبياً كم كان يود أن يغلق عليه باباً لكي لا يري أحد دموعه لكن الأسرة كلها كانت تعيش في غرفة واحدة وكان غالباً ما يسمع أباه يقول لأخيه الصغير مثلما كان يقول له حينما يبكي وهو في مثل عمره:

- «الراجل يا ولدي مش زيما الناس ما بيقولوا مبيبكيش لا الراجل الصح بيبكي لكن مش قدام الناس دمعتك ميشوفهاش غير عينك.»

استفاق من شروده وأرتشف رشفة من كوب القهوة ثم عاوده الأمر الذي يشغل باله مرة أخري «جبريل» ولده يراه دائماً حزيناً يغلق على نفسه غرفته,

هو يسمع صوت بكائه من خلف الباب فيخون أبوته حتى لا يجعل من جبريل رجلاً ضعيفاً, فالرجل القوي يواجه مشاكله بمفرده حتى يحلها, هذا ما تربي عليه وامن به طوال حياته.

لم يستمع الحاج منصور إلي النشرة, كانت المذيعة تعلن خبر إذاعة حلقة فريدة من نوعها في المساء عن رجل يطارح بناته الأربعة الفراش و أنجب منهم جميعاً وكيف أن هذا أمراً غريباً وأن الحلقة ستكون شيقة للغاية. أما الحاج منصورفكان يفكر في جبريل ثم تذكر رشد أبن أخيه الذي رفض أن يعمل معه بالرغم من الإغراءات من المرتب والمركز وقلة عدد ساعات العمل التي حاول بها الحاج منصور أن يغري رشد قائلاً له:

- «يا أبني مرتبات المدارس وحشة وملهاش لازمة و أنا عايز أطمن عليك أنت زيك زي ولادي بالظبط يا رشد ونفسي أشوفك و اقف على رجلك كده ومستقر فبيتك.»

لكن رشد أصر على موقفه قائلاً:

- «يا عمي أنا حاسس أني هلاقي نفسي في التدريس, أنا عارف أنك صح بس أنا بحاول أفهم أنا هنا ليه... بص سيبني أجرب ولو لقيت نفسي مش مبسوط هسمع كلامك.»

ظل هذا الأمر يؤرقه لكن على أي حال قام الحاج منصور إلي الشرفة ليجد الفحم الذي أوصي به وقد أشتعل فجلس بعد أن قام بوضع الفحم فوق «حجر الشيشة» لينفخ دخان التجاذب الذي يمزق روحه. كان الحاج منصور من كبار تجار المعدات الثقيلة فكان ميسور الحال كثير الزيجات وكثير العيال لكن «جبريل» كان أحب أولاده إليه كما كان أكثرهم تميزاً. كان جبريل صبياً في مقتبل العمر لم يكمل عامه الثاني عشر بعد لكن ما كان يميزه هو ذكاءه المتقد وإحساسه المرهف وإن كنت تصدق أم لا فالشعور لغة لا يفهمها إلا

البشر فقط. كان صبياً هادئ الطباع, مطيعاً لوالده باراً به أحبه إخوته الخمسة عشر وأحبته زوجات أبيه والجيران لخلقة الحسن ونجدته للصغير والكبير فقد كان جبريل يساعد الجميع.

كان حب الحاج منصور الشديد لجبريل يعود لأن جبريل يشبه أمه كثيراً, أخلاقه, هدوءه, رقة مشاعره. كان لأم جبريل دوراً كبيراً في حفظ جبريل القران. حفظ جبريل القران في سن السابعة قبل أن تموت أمه بعامين جراء صراع طويل مع اللوكيميا. حينها بكي الحاج منصور بكاءً شديداً على قبرها. كان جبريل مداوماً على الصلاة ولعب الرياضة, زرعت فيه أمه حب العلم والتعلم فأراد أن يصبح عالماً في الفيزياء الكونية.

أنهي الحاج منصور «حجره» ثم تغلبت أبوته على عقله وقرر أن يدخل ليتكلم مع جبريل. كان جبريل معتاداً على الذهاب إلي المكتبة العامة في مركز المقاطعة ليقرأ مرتين على الأقل في الأسبوع لكنه لم يذهب إلي المكتبة بل كان يظل في الشارع لوقت طويل على غير عادته وعند عودته يحبس نفسه في غرفته.

قرع الحاج منصور الباب الذي يفصل بينه وبين ولده فجاءه صوت جبريل من وراء الباب:

- «أتفضل أدخل.»

دخل الحاج منصور مبتسماً ثم قال:

- «إيه يلا يا جبريل بقالك يومين تلاته مبتجيش تصبح عليا وتبوس أيدي فقلت أجي أنا لحضرتك.»

- فرد جبريل قائلاً وهو يبدو عليه الحزن

- أنا آسف يا حاج والله مقصدش حاجة.

فقال الحاج منصور الذي لم تعجبه نظرات جبريل ولا صوته بصوت يملؤه الحنان

- أنت مالك يا أبني في حاجة مضايقاك؟.... طيب في حد في البيت مضايقك؟

صمت جبريل قليلاً ليرد قائلاً:

- أنا كتبت قصيدة على فكرة... تسمعها؟

- فأبتسم الحاج منصور قائلاً:

- آه طبعا يا سيدي أسمعها.... بس من أمتي و أنت بتكتب شعر؟

- فرد جبريل والحزن يحتل عينيه:

- من يومين تلاته يا حاج.... من يومين تلاته.

- فقال له الحاج منصور بفضول:

- فين القصيدة يا عم جبريل بقي؟

فمد جبريل يده تحت وسادته ليخرج دفتراً فتحه باحثاً عن صفحة معينة وعندما وجدها بدأ بالقراءة:

مين كان خلقنا بألف وش؟

مين اللي ركب أقنعة؟

قناع يغش.... وقناع يحش

مين اللي صبح الكدب منجاته؟

مين اللي نسج الزيف ستارة لحياتوا؟

ومين اللي لأجل ما يبني عش

هدم قصاده ألف عش؟

ساد الصمت للحظه بدت فيها الدهشة على وجه الحاج منصور ثم قال جبريل:

- إيه رأيك يا حاج؟!

كان الحاج منصور يتساءل «ما سبب ذلك الألم الهائل الذي تسلل إلي قلب صغيره؟» فمثل هذا الألم قد يفتت الروح ويحولها إلي أشلاء مثل قطع المرآة

المكسورة. دفعت هذه الأفكار الدموع إلي عيني الحاج منصور وبالرغم من قوته وشدته عاني لكي يروض تلك الدموع ويمنعها من لمس خديه. قاوم حزنه وسأل جبريل:

- ما شاء الله عليك أنت اللي كاتب الكلام ده؟

- فرد جبريل بفخر:

- أيوة أنا اللي كاتبها. حلوة؟!

- قصيدة جميلة وكلها معاني بس تحس إن اللي كاتبها راجل كبير مش شاب صغير زيك.

- فقال جبريل بسعادة:

- على فكرة أنا عقلي أكبر من سني.

- أنت روحك هي اللي كبيرة مش عقلك.

رسم على وجهه ابتسامه وكأنه يجبرها على افتراش وجهه الذي بدأ الحزن يسيطر عليه ثم قال:

- بس قولي يا واد يا جبريل! أنت إيه اللي خلاك تكتب الكلام ده؟

- مش فاهم يا حاج قصدك إيه؟

- كنت ممكن تكتب قصيدة حب مثلاً أشمعنا الفكرة دي بالذات؟

ترك السؤال جبريل فارغ الذهن صمت للحظه جبريل ثم قال:

- والله مش عارف يا حاج... عادي يعني.

- لأ مش عادي! أكيد في حاجة حصلت خلتك تتأثر لدرجة إنك تكتب عنها شعر.

أبتسم جبريل متعجباً من إصرار والده على معرفة ما يضايقه فقرر الاستسلام وأعتدل في جلسته ثم قال:

- هو الحاجة اللي مضايقاني ملهاش علاقة بحد تعرفوا خالص.

فأقترب الحاج منصور من جبريل ثم وضع يده على كتفة وقال بلهجة حانية:

- أزاي يا جبريل ملهاش علاقة بحد أعرفه؟؟ مش أنت نضايق بسببها تبقي مش حاجة عادية بالنسبة ليا خالص.

صمت قليلاً ثم مازحه قائلاً:

- ده أنا هعلن حالة الطوارئ في البيت عشان أنت مضايق!

أبتسم جبريل وشعر بارتياح وكأنه أراد أن يزيل عن عاتقه هماً يحمله ثم قال:

- أنا هحكيلك يا حاج بس هيا حكاية طويلة شوية. أنت عندك وقت؟

رد عليه الحاج منصور معاتباً:

- يا جبريل أنا لو قعدت عمري كله بسمعك مش هبقي مضايق ولا هفكر في الوقت... ده أنت أبني يلا!

ظل جبريل هائم النظر للحظات ثم بدأ يقص على والده ما حدث.

★★★

# «الفصل الثالث عشر»

ممتلئاً بالحماس انطلق رشد في يومه الثاني كمعلم كالرصاصة التي لكي تدمر ما في طريقها لابد وأن تدمر جزءاً كبيراً منها في سبيل ذلك أولاً. عبر رشد المعدية ليجد عراكاً في الأفق و أناس قد تجمعوا بغرض المشاهدة فلن تضر جرعة من الأدرينالين في طريقك للعمل. اقترب رشد ليري عدي ممسكاً بامرأة في منتصف العقد الثالث من عمرها لينهال عليها باللطمات واللكمات حتى أصبحت غير قادرة حتى على الوقوف وهي تصرخ من الخوف قبل الألم بدافع من الأمل عل أحد الناس يغيثها. جري رشد ناحية عدي ليسمع أحد أصدقاء عدي الذين وقفوا على مقربة منه يقول:

- أقطع قميصها دة يا عدي خلينا نتفرج!

نظر رشد إلي كل المحيطين بعدي الذين تعالت ضحكاتهم ليجد أن جميعهم من العرباويه فاستنتج أنهم من أقرباءه. أقترب رشد من عدي بهدوء قائلاً:

- أنت بتعمل أيه يا عدي حرام عليك سيب الست هتموت فأيدك!

رد عدي بصوت يملؤه العجرفة والكبر:

- ميخصكش! خش على مدرستك ومتنساش أنك في الشارع يعني قانوني أنا اللي ماشي هنا.

أنهي عدي حديثه وهو ما زال يمسك بالسيدة تعيسة الحظ ثم لطمها لطمه أنت لها أنين المحتضر فاقتلعت قلب رشد من مكانه. قفز رشد على عدي ليمسك به بكل حزم فانفلتت السيدة من قبضة عدي لتسقط على الأرض مغشياً عليها. وبمجرد أن امسك رشد بعدي حتى هجم عليه أقارب عدي وانهالوا على ظهره ورأسه ضرباً من الخلف وهنا استدار رشد الذي وقف

صامداً أمام الضربات ليضرب كل منهم ضربة واحدة ليسقطوا على الأرض مثل أوراق الشجر. وعندما رأي الجميع ما يواجهونه هم أحدهم بإخراج سلاحه ليردي رشد قتيلاً فأمسك عدي سلاح ابن عمه في إشارة إلي عدم مو افقته صارخاً في الجميع بأن يتوقفوا عن القتال. توجه ناحية رشد وهو يمسك الطبنجة بيده بارتخاء قائلاً بمكر:

- حصل خير يا أستاذ خلاص دول قر ايبي!

نظر رشد لعدي بغضب قائلاً بصوت جهوري سمعه كل أشباه البشر من المتفرجين:

- خد قر ايبك وغور من وشي.

ابتسم عدي ابتسامة استهزاء قائلاً:

- وماله أنت أستاذي بردوا مش عيب.

بدأ عدي ومن تبقي من أقاربه على أرجلهم في حمل من سقطوا وهموا بالرحيل لينظر رشد إلي تلك السيدة التي دهستها الأقدام بالرغم من محاولاته المستميتة لينقل العراك بعيداً عنها. جري رشد إلي حانوت قبالة المدرسة ليشتري بعض الماء والعصير والمناديل ثم عاد إلي السيدة ليجدها تأن ألماً. حملها رشد ليضعها مستلقية على ظهر سيارة ما كانت متوقفة بجوار المدرسة ليغسل وجهها بالماء البارد فاستفاقت السيدة والذعر ما زال محفوراً في قسمات وجهها ليهدئ رشد من صراخها. اعتدلت السيدة جالسة والدماء تسيل على وجهها من جرح كبير في حاجبها الأيمن. بدأ رشد في تجفيف الدماء المنهمرة من حاجبها متسائلاً بصوت هادئ:

- إيه اللي حصل يا ست الكل؟!

بكت السيدة بحرقه ليربت عدي على كتفها مطمئناً إياها قائلاً:

- اهدي بس واحكيلي, أنا الأستاذ بتاعه وهعرف أجيبلك حقك متخافيش.

نظرت إليه السيدة بتعجب يخالطه بعض الشفقة على نقاءه الزائد عن الحد قائلةً:

- ده عدي يا أستاذ أنت متعرفش ده مين و أبن مين وممكن يعملوا أيه؟

- أنا بقلك أنا الأستاذ بتاعه مش هتخسري حاجه لو قلتي أيه اللي حصل.

ثقة رشد الزائدة جعلت السيدة تظن أن القدر قد يأتي بعكس المتوقع فتكلمت وكأن الكلام يشفيها قائلة:

- بص يا أستاذ أنا بنتي في مدرسة ابتدائي اللي جنبكوا وكل يوم و أنا جايباها الصبح عدي بيبقى و اقف مع قرايبه زي ما أنت شفت كده ويفضلوا يعاكسوا فيا قدام البت وكنت ببلع الكلام و اقول اسكت لحد أما البت ما خدت بالها وبقت تقولي أنا عايزه أروح المدرسة لوحدي لحد أما النهاردة مد أيده عليا.

توقفت السيدة عن الكلام بعدما امتلأ حلقها غصة وفاضت دموعها لتكمل حديثها مخلوطاً بالبكاء قائلةً:

- بنتي شافتني وهو بيتحرش بيا مقدرتش أمسك نفسي قلتلها يا صفيه روحي ادخلي المدرسة أنتي وأول ما وصلت عند الباب محستش بنفسي غير و أنا بضربة بالألم على وشه بعزم ما فيا, مكنتش حاسه أنا بعمل أيه, مفكرتش! صمتت قليلاً لتزداد سخونة دموعها وارتعاش يديها ثم نظرت إلي الأرض بأسي يكاد يخرج من بين جنباتها ليصب اللعنة على هذا العالم الذي أصبح بلا معني ولا قيم ثم قالت:

- يا ريتني كنت سيبته ومشيت ممكن يقتلوني أنا وبنتي وجوزي, يا ريتني كنت حطيت جزمة فبوقي, هعمل أيه أنا دلوقتي بس هعمل أيه؟

رد رشد بثقة قائلاً:

- متخافيش من حد محدش هيعملك حاجة ولا أنتي ولا بنتك ولا جوزك هما

دلوقتي هيبقوا عايزني أنا لأني ضربتهم ومحدش هيفتكرك أصلاً. روحي أنتي دلوقتي وارجعي خدي بنتك عادي ولا كأن حاجة حصلت, عدي بس على أي صيدلية خليه يخيطلك حاجبك ومتخافيش.

- يا أستاذ أنت مش عارف.....

قاطعها رشد بحزم:

- لأ أنا عارف وقلتلك متخافيش خلاص لو عايزه تبعتي حد ياخد البنت النهاردة أو حتى ممكن تدخلي تاخديها دلوقتي لو عايزه بس خيطي حاجبك الأول.

مد رشد يده ليساعد السيدة على النزول من فوق السيارة لتمشي السيدة كما لو كانت بلا روح وبلا هدف. أخذ رشد نفساً عميقاً بعد أن أسند ظهره إلي السيارة ذاتها. أخرج سيجارة ليلاحظ الدماء التي ما زالت على يده غير مكترثاً بها. أشعل رشد سيجارته بهدوء وهو يفكر كيف سيغلق باب جهنم الذي فتحه على نفسه. لقد ضرب رشد رجالاً من قبيلة الربيضات منهم ابن شيخ القبيلة ذاته. هذه القبيلة التي تقتسم مقاطعة كبيرة مع قبيلة الطوابين لتحتكر تجارة الأفيوكين والسلاح وبيوت الدعارة والحانات والمقاهي من الكفر حتى حدود عين شمس. رمى رشد سيجارته ليدخل إلي المدرسة بهدوء لكي يرى بأم عينه أن القاعدة الأولي فوق هذا الكوكب الملعون هي أن البقاء للأقوى حتى وإن لم يكن محقاً, حتى وإن كان ضبعاً يفضل التهام فريسته وهي ما زالت على قيد الحياة.

وفي طريق رشد إلي غرفة المعلمين نادي عليه الأستاذ «توفيق» وأخبره بأن المدير يطلبه. بالطبع كان رشد يعرف بأنه سيتم توبيخه لما حدث لذا في طريقة إلي غرفة المدير جهز أدلته وبراهينه بأنه لم يخطئ لكي يقنع الأستاذ سيد بصواب موقفة.

أما الأستاذ سيد وهو رجل بدين يرتدي نظارة سميكة وطوال العام لا يرتدي إلا بذلة واحدة لونها كموني وقميص بني, كان الأستاذ سيد لا يعرف شيئاً في هذا العالم إلا المال فقط فالمال عنده هو المنطق وهو الحق والعدل. دخل رشد على مدير المدرسة الأستاذ سيد ليري ماذا أراد منه وقد كان الأستاذ سيد يبتلع آخر قطعة من طعام ما كان أمامه ثم أرتشف كوباً من الماء جرعة واحدة. طرق رشد الباب المفتوح طرقتين خفيفتين ثم قال:

- «صباح الخير يا أستاذ سيد, حضرتك عايزني؟»

نظر الأستاذ سيد لرشد من وراء نظارته السميكة نظرة متفحصة ثم قال له:

- «حضرتك أول سنة ليك في المدرسة مش كده؟»

فرد رشد قائلاً:

- «أيوة.....»

قاطعة الأستاذ سيد بهدوء:

- «وفأول يوم ليك قلعت القميص في الفصل وهددت العيال انك كنت قوات خاصة, صح بردوا؟»

فرد رشد قائلاً:

- «حضرتك عرفت الموقف اللي حصل؟...

وهنا ظهرت ملامح الغضب على الأستاذ سيد ثم قال بصوت مرتفع سمعه كل من في الردهة:

- أنت ضربت طالب هو وقر ايبه بره المدرسة وكأنك واحد من عصابة مش مدرس؟ آه ولا لأ؟

فرد رشد بغيظ شديد:

- آه ضربته ولو أتكرر الموقف ألف مرة هضربه, الأولاد دول جزء من مجتمع مبقاش بيؤمن بحاجة غير الثروة والسلطة والقوة و أنا كمعلم قيمتي مش في

الحاجات دي وعشان كده حتة العيل ده هو وقر ابيه إتعدوا على ست محترمة في الشارع و»عدي» مد ايده عليها ولما اعترضت ضربها من غير ميحس لحظة إنوا غلط وعشان كده أنت كمان مش شايف حاجة في الموقف كله غير إني ضربت الواد يا عيني, بقي هو الضحية عشان هو اللي بيدفع لكن أنا... أنا حتة مدرس ده غير إني مش بدفع ده أنا باخد فلوس... مش كده يا... مستر سيد؟»

رد المدير بصوت يملؤه السخرية والتهكم:

- آه ما أنت بتاع فلسفة وشكلك كده هتقرفني.

صمت المدير قليلاً بشكل يوحي بأنه يتخذ قراراً ثم نظر إلي رشد قائلاً:

- على فكرة حضرتك إنسان مش محترم بالمرة! أقلك روح لأستاذة نوران في شئون العاملين دلوقتي!

استدار رشد ورفع الأستاذ سيد سماعة الهاتف وأجري اتصالا بالأستاذة نوران.

كانت الحسرة تملأ قلب رشد لكن الجيش علمه الصمود والثبات والتفكير السليم في المو اقف الصعبة ظل يفكر في ذلك الرجل الوضيع في أي مستنقع ولد لكي يصبح بهذا الغباء بهذه الخسة والوضاعة؟ كيف يمكن لإنسان أن يغض الطرف عن الحق الماثل أمامه بهذه الطريقة الهمجية والتلقائية في نفس الوقت؟

دخل رشد إلي مكتب شئون العاملين دون أن يطرق الباب فوجد الأستاذة نوارن تضع ورقه على المكتب التي بدورها رأته فقالت له بمهنية شديدة و إبتسامة عريضة:

- «أتفضل أستريح يا أستاذ رشد دقيقتين بالضبط وهخلصلك حاجتك.»

فتعجب رشد متسائلاً:

- حاجة إيه؟!

- الاستقالة بتاعة حضرتك.

وهنا أدرك رشد البريء النقي أن المدير قد تخلي عنه فزهور الليلاكس لا تنمو في أرض ميتة خربة. وقد يري البعض أن موقف الأستاذ سيد صحيحاً لأن «الزبون دايماً على حق.» لكن ما كان يقتل رشد ألماً أن تسود هذه القاعدة في قلعة من قلاع العلم وحرمه, تبدلت أحلامه إلي ألم ودموع. «هل هكذا تتم معاملة المعلم؟!» ليس هذا ما كان يتمناه ويحلم به... كان يحلم بأن يرتقي بعقول طلبته ليخرج منهم جيلاً يغير المجتمع يحيله إلي مجتمع بلا جهل ولا فقر ولا جريمة... تمني أن يمكنهم من فهم العالم من حولهم... وإذا بهم يطئون آماله بأحذيتهم... تبين لرشد أنه هو من لا يدرك حجم المأساة... وفي النهاية تغلب المال والجاه على العلم. استفاق رشد من تفكيره على صوت الأستاذة نوران و هي تقول له:

- أتفضل أمضي هنا يا أستاذ رشد.

نظر إليها رشد للحظة ثم أمسك بالقلم الذي يبدو أنه صديقة الوحيد في هذه الدنيا ووقع على الاستقالة ثم ناولته أور اقة وقالت له بابتسامة باردة:

- فرصة سعيدة يا أستاذ رشد!

لم يرد عليها رشد وعندما خرج من مكتبها وجد الأستاذ سامح ينتظره بالخارج. أقبل عليه وهو يبدو عليه القلق قائلاً:

- «إيه اللي حصل يا أبني طمني عليك؟»

فرد رشد واليأس ينخر عظامه:

- أدوني ورقي ومضوني على استقالة.

- فقال سامح بحرقة شديدة وكأنه يهتم لأمر رشد:

- مش أنا قلتلك متعملش مشاكل مع العرب مبتسمعش الكلام ليه؟

فرد رشد وهو يبدو عليه أنه يستثقل الحديث:

- أهو اللي حصل يا مستر سامح.

أبتسم سامح وربت على كتف رشد قائلا:

- خير محدش عارف الخير فين. إنت معاك عربية؟

أومأ رشد برأسه نافياً ليرد سامح:

- تعالي معايا أعديك المعدية بالعربية بدل ما تركب العربية بتاعة البهايم دي أصل أنا واخد إذن عشان النهاردة عيد ميلاد ابني.

و افق رشد وهنأه بعيد ميلاد أبنه وعندما ركبا السيارة قال له سامح:

- أنا هستأذنك بس هاخد فلوس ليا عند واحد هنا ونمشي بعدها على طول؟

- براحتك يا مستر!

قاد سامح السيارة بمحاذاة سور المدرسة ثم إنعطف يساراً. حاول سامح أن يكسر الصمت السائد فقال لرشد:

- على فكرة الواد عدي ده عيلته غنية جداً.

نظر إليه رشد بعدم اكتراث فكل ما كان يفكر فيه رشد أنه يريد أن يذهب إلي بيته ويغلق عليه غرفته كان يقتله الندم لأنه لم يستمع إلي ذلك الصوت الذي أخبره أن يبقي بالمنزل. ارتبك سامح قليلاً ثم قال:

- أنا هديلك نصيحة لله نظام المدرس القديم ده مبقاش يأكل عيش يا أبني و أنت لسه صغير وعايز تبني نفسك, تفتكر إن مرتب المدرسة هيأكلك عيش؟

نظر إليه رشد باهتمام قائلاً:

- والنظام الجديد بقي إيه؟!

فقال له سامح بفخر:

- إعمل زيي, صاحب العيال, خروجه مع نسوان أشرب معاهم سيجارتين كده يعني. أنا بعمل كده والعيال بتعشق حاجة إسمها مستر سامح, فهمت؟

- فضحك رشد بسخرية قائلاً:

- للأسف!

وهنا أوقف سامح سيارته بجانب مجموعة بيوت هي في الحقيقة مملوكة لقبيلة الربيضات «قبيلة عدي». أخرج سامح هاتفة وأجري إتصالاً:

- «ألو.... أيوة أنا على أول الحارة أهو..... اه كلوا تمام.»

أغلق هاتفه وخرج من السيارة قائلاً لرشد:

- ثو اني وجيلك!

مشي سامح حتى وصل إلي أول الحارة ثم ظهر له شاب أعطاه ظرفاً فأخذه سامح ودسه في جيبه بتوتر ثم أصطحب الرجل و اتجها ناحية السيارة وفي هذه اللحظة ظهر عدي على أول الحارة ففهم رشد أنه وقع في فخ قذروأدرك أن المال تغلب حتى على الإنسانية ليس فقط على العلم. خرج رشد مسرعاً من السيارة ولكن عدي وأخاه استطاعا أن يمسكا به في النهاية فهم يعرفون شوارعهم وحواريهم المتداخلة مثل المتاهة اللعينة وكأنها تمثل فوضي عقول الذين يقطنون فيها. قام أخو عدي بضرب رشد بقوة عدة مرات على مؤخرة رأسه بيد «الطبنجة التسعة ملي» ثم جرة هو وأخاه إلي أباهم.

خرجت النساء وبعض الرجال من نو افذ البيوت القديمة المتهالكة على صوت صياح رشد وسباب عدي وأخاه وشاهدوا في صمت لم يفعلوا شيئاً. رفع رشد رأسه المصاب بدوار شديد من أثر الضرب أو من أثر الإهانة التي خلفها الضرب ليجد رجلاً قد ارتسم على وجهه الوقار فقال متوسماً فيه الخير والرحمة:

- أنا مدرس الفكر بتاع أبنك يا حاج وعدي ضرب ست محترمة و اتحرش بها في الشارع قدام بنتها, ده يرضيك يا حاج؟

- صمت الرجل قليلاً وهو ينظر في عيني رشد بحدة ثم قال:

- إنت على حق... لكن الحق لو هيكسر ولدي مش عايزينه!

ثم استدار ليمشي داخل الحارة وقام عدي وأخاه بجر رشد وهم يكيلون له اللكمات والشتائم, دخل الجميع إلي الحارة واختفوا داخلها وكأنها ثقب أسود أبتلع الجميع.

أخرج سامح الظرف ونظر إليه كنظرة المتيم لمحبوبته, جلس في سيارته وذهب ليستكمل يومه وكأن شيئاً لم يكن وعندما عبر سامح المعدية شعر بالندم على ما فعله للحظة ثم أكمل طريقة وطرد بقايا الضمير العالقة داخل روحة فهو بخير على أي حال ومعه مبلغ جيد من النقود لا يهم ما حدث لرشد ولا يهم ماذا يعني ذلك المهم هو أنه بخير و أنه استفاد من الموقف أقصي استفادة. كم هو رائع الإنسان يستطيع أن يصبح عملاقاً أو قزماً لكنه غالباً ما يختار التقزم. لكل رجل رحلة تصنعه ويصنعها ومن حظ رشد أنه في رحلته سيغير الكثير.

★★★

# «الفصل الرابع عشر»

ظل جبريل هائم النظر للحظات ثم قال بصوت هادئ
- حضرتك طبعاً عارف المسجد اللي أنا بصلي فيه, اللي هو»عباد الله»
فأومأ الحاج منصور الذي يبدو عليه الفضول برأسة ثم قال:
- عارفه طبعاً! مش اللي فيه الشيخ أحمد؟
- أيوة لما الشيخ أحمد إتنقل جامع «الصحابة» قلت أنا وصحابي نروح نصلي هناك عشان نفضل معاه لأنه زي ما أنت عارف راجل كبير وإحنا بنساعده لما بنبقي معاه, المهم إني لاحظت إن في راجل قدام الجامع كل أما أروح ألاقيه هناك, ساعات بيبقي بيزعق في الناس اللي ماشيه وساعات بحسه بيكلم حد هو بس اللي شايفه ويقعد يضحك بس أنا مكنتش مركز في كلامه. كل اللي كان شاددني كان شكله وطريقة كلامة الغريبة: بيتكلم كأنه بيقول شعر أو خطبه ومتخيل ناس و اقفة بتسمعه بس في الحقيقة الناس اللي ماشية في الشارع بتبعد عنه لأن فعلاً شكله يخوف, شعره طويل جداً وقذر كأنه مستحماش من سنين وهدومه مقطعه ومبهدلة وشكلها متوسخ, المهم أنا مكنتش بهتم لحد أما فيوم من أربع أيام كده كنت رايح أصلي العصر لقيت العيال الصغيرة بيحدفوة بالطوب وهو بيجري منهم لحد أما وصل لأوضة خشب جواها حفرة محفورة في الأرض دخل جواها وفضل يبكي بصوت عالي جداً ويترعش من الخوف والعيال بتضحك عليه, أنا حسيت ساعتها إن قلبي وجعني من كتر ما الراجل صعب عليا, لقيت نفسي بزعق للعيال بعصبية فطلعوا يجروا فأنا قربت من الأوضة اللي هو فيها قلت أطيب خاطرة لقيته بيقول كلام غريب أوي يا حاج.

- فرد الحاج منصور متسائلاً:

- كان بيقول إيه؟!

- كان بيقول: «أنا حسنين... عايش فوسط إكوام صور... ويا ريتني بنسي ويا ريت بيخلص الخطر..... فريسه سهله للذئاب... إرموا الحجارة.... و إفتكروا قتلكم ليا شطارة... أنا حسنين... سيبوني أموت و أنا حزين.... من غير كسور.... مش كفاية الضلمة قتلت كل نور؟.... مش كفاية أخدوا روحي؟؟.... مش كفاية الجوع بينخر كل يوم في حيطان جروحي؟؟... مش كفاية ذل السؤال؟؟... وعدتني إني هموت... وعدك سراب؟... يا ريتني ما كنت فتحت باب... النار طالتني و أنا اللي بأديا أذيتني... يا رب خدني! يا رب خدني! يا رب خدني» معرفش ليه يا والدي أتجمدت فمكاني و أنا بسمع كلامه. مقدرتش أروح أكلمه ودخلت أصلي ومفيش حاجة في دماغي غير كلامه وصوته وهو بيبكي وشكله وهو خايف ومنكمش جوه الحفرة والعيال بتضحك عليه. تعرف يا حاج أنا عيطت و أنا بصلي ودعتله مع إني معرفوش.

خرجت من الصلاة لقيته بيكلم نفسه ولسه قاعد في الأوضة, تفتكر يا حاج الكلام ده يخرج من واحد محنون؟

- ساعات يا جبريل المجنون بيبقي أعقل مننا.

- هو مجنون عشان إحنا إعتبرناه مجنون حتي لو مكانش فعلاً مريض. إحنا بنحكم على البشر ونضيع عمرهم عشان بس مختلفين عننا. صح؟! الناس مبتحبش المختلف عنهم يا والدي زيي كده!

صمت الحاج منصور الذي لم يجد جواباً للسؤال فقال جبريل:

- إحنا وحشين أوي يا والدي! مكنتش أتخيل إن الناس ممكن تبقي وحشة أوي كدة.

- ربنا خلق الخير والشر يا إبني وإحنا اللي بنختار.

- يبقي لازمتها إيه لو أنا إخترت الخير ومعظم الناس بتختار الشر؟ هتفرق في أيه؟؟ و أنا هعيش ساعتها إزاي؟

رد الحاج منصور رداً يسمعه كل جبريل:

- ربنا هيحاسبك إنت يا إبني على اللي إنت إخترته مش هيحاسبك على اللي الناس إختارته.

بدا جبريل غير مقتنع بإجابة والده أو انها غير كافية لكنه أكمل الحكاية:

- المهم يا حاج رجعت في اليوم ده بعدد ما صليت حاسس إني من كتر ما أنا مضايق خطوتي تقيلة ومش قادر أمشي. فضلت أفكر إزاي أساعد الراجل ده وملقتش حاجة غير إني أساعده باللي أقدر عليه, فقررت إني و أنا نازل أصلي المغرب أخدلوا معايا أكل.

قبل وقت الصلاة بشوية أخدت معايا أكل ونزلت ورحتلوا لقيته قاعد زي ما هو بس سرحان مبيتحركش كأنه ميت بالظبط, بصراحة كان شكله يخوف. حطيت الأكل قدامه و وقفت ساكت كل اللي عرفت أقوله «إتفضل ياعم حسنين!» فبصلي وبص للأكل وسكت, فضل زي ما هو فقلتله «أنا كنت جعان فقلت أجيب أكل وناكل مع بعض لقمة عشان يبقي بينا عيش وملح.» فبصلي بإستغراب وقالي

- «إنت هتقعد تاكل معايا؟!»

وكأنه مش مصدق فقمت قاعد جنبه على الأرض وبدأت أفتح علب الأكل وهو بيتفرج عليا فطلعت رغيف عيش وإديتهولوا وبدأنا ناكل. كان بياكل كأنه مكلش من زمن و أنا برغم شكله وبرغم ريحة الأوضة الصعبة كلت معاه عشان ياكل. بعد أما خلصنا أكل لقيته بيبصلي وبيقولي

- «إسمك إيه؟»

- «جبريل يا عم حسنين.»

- «اه جبريل ملك من السما. أنا إبني إسموا فاروق بس هو شيطان. هو

أكبرمنك بكتيريا جبريل.... كبرلحد أما بقي أكبرمني والكبيرفي الدنيا دي بياكل الصغير... وإحنا لما بنعجزبنصغر... فكلني... ربيته ولما كبرخذلني..... وقفت جنبه وهو طفل ولما كبروعودوا شد رفض يشيلني.... بس أنت شكلك أحن منه. أول مرة أكل مع حد من زمن.... دايماً ببقي لوحدي... أنت اسمك رحيم, ليه سايبني هنا بقالك كتير أنا مستنيك من زمن.»

- «أنا جبريل يا عم حسنين مش رحيم.»

- «مش مهم الإسم يا إبني... المهم الفعل... المهم الروح.. و أنا روحي إتسرقت.... وإتهرست تحت رجلين الكلاب... فبقيت صنم... لا بقول اه ولا نعم... بنام وبصحي في الحفرة دي.... وبحلم عليا تتردم.»

بعد أما خلص كلامه بصلي بصة غريبة وكأنه بيتفحصني لدرجة إني خفت فلقيته مره واحدة بيقلي:

- «ينفع تردم الحفرة دي عليا و أنا حي؟!»

- فرديت عليه بسرعة «لأ طبعاً إزاي يا عم حسنين؟!»

- «الحفرة إتردمت عليا من زمان بس أنا لسة بتنفس معرفش ليه.»

- سكت شوية وبعدين قال كأنه بيكلم نفسه «إمتي هييجي اليوم اللي نفسي هيقف فيه وهبقي حر؟»

المغرب أذنت وهو بيتكلم فقمت وقلتله:

- «أنا هقوم أصلي المغرب يا عم حسنين ما تيجي معايا.»

- لقيته فضل يزعق ويقول بصوت عالي «أنا مش بشر... أنا حجر... عايش فوسطكوا يا غجر.»

فضل يزعق في الناس اللي ماشية في الشارع كأنه بيلومهم فسيبتوا ودخلت الجامع صليت وطلعت لقيته نايم جوة الحفرة فسيبتوا وروحت.»

صمت جبريل قليلاً ليسأله والده:

- مالك يا جبريل سكت ليه؟

- هو مش ربنا موجود يا والدي وشايفنا كلنا؟

رد الحاج منصور منزعجاً:

- اه طبعاً يا جبريل إنت عندك شك فكدة؟!

رد جبريل كأنه لم يسمع السؤال:

- أمال إزاي ربنا يرضي إن راجل كبير زي عم حسنين كدة ينام فحفرة زي الحيوانات؟!

صمت جبريل وإمتلأت عيناه بالدموع ثم إستطرد قائلاً:

- مينفعش حد يعيش كده أبداً يا والدي!

فأحتضنه والده وقال له:

- ربنا هو العالم بكل واحد فينا وهو أرحم واحد بينا. إوعاك يا جبريل تشك فده للحظه. هتشوف في الدنيا حاجات كتير ويمكن أصعب من كده. هتشوف مجاعات وأطفال صغيره بتموت من الجوع عشان ناس تانية تكسب فلوس. هتشوف حروب وملايين الناس بتتقتل عشان ناس تانية تبيع سلاح أو مخدرات وتكسب. بس هي دي الدنيا وده الواقع وهي دي أفعالنا إحنا مش حد غيرنا يا ولدي.

- وهو ربنا مش قادر يصلح الدنيا ويغيرها بكلمة؟

- وإحنا تبقي لازمتنا إيه؟ مش لازم إمتحان؟ مش لازم ربنا يشوفك أنت هتختار الخير ولا الشر؟ صح يا ولدي؟

هدأت نفس جبريل التي كانت تبحث عن إجابة قائلاً:

- صح يا والدي... كلامك صح!

فقال الحاج منصور بصوت بشوش غير المناخ الكئيب الذي تسيد اللحظه:

- هتكمل القصة ولا إيه؟ أنا نفسي بصراحة أعرف بقيتها!

ابتسم جبريل ليجفف دموعه ثم استطرد في حديثه.....

★★★

# «الفصل الخامس عشر»

جرعدي وأخاه رشد حتى غاصوا بداخل الحارة وتبعهم أباهم الشيخ مختار ثم انعطفا في أخر الحارة إلي اليمين وقام فهد بإخراج مفاتيح كثيرة من جيب جلبابه الرمادي الجميل. اختار منهم مفتاحاً ثم فتح قفل الباب الأخضر المعدني لتظهر ساحة كبيرة يقف في أرضها الرملية في اخرها ناحية اليمين سيارتا نقل من الحجم الكبير يقابلهما في الناحية الأخرى غرفة صغيرة مبنية بالطوب هي غرفة الغفير.

صاح الشيخ مختار بصوت عالٍ:

- يا عواد!

خرج عواد من الغرفة ونظر لرشد وفهد يمسك بشعرة وهو جالس على ركبتيه والدماء الطازجة تلطخ قميصه الأبيض نظرة سريعة عابرة ثم نظر للشيخ مختار قائلاً:

- أيوة يا شيخ!

أخرج الشيخ محفظته ليخرج منها مائة جنية أعطاها لعواد مبتسماً ثم قال:

- روح هاتلي علبة معسل وتعالي ولع فحم عشان عايز أشرب حجرين.

- من عيني يا حاج.

- أقفل باب الجراج وراك بس.

خرج عواد وأغلق الباب الكبير وراءه فنظر الشيخ مختار لرشد وكأنه لا يدري أي الطرق أفضل لتعذيبه قائلاً:

إنت عارف إن الحكومة متقدرش تدخل الجراج ده. أنا ممكن أضربك بالنار وأدفنك هنا ومحدش هيدري بيك.

رفع رشد رأسه ببطء وظهرت عينه تنظر إلي الشيخ مختار لكن نظرة الخوف التي كانت في عينيه تلاشت لقد تبدل الخوف غضباً وصار جسد رشد يرتعش فضربه عدي على مؤخرة رأسه بعصا خشبية سميكة وجدها على الأرض وقال بغضب شديد:

_ الشيخ ميتبصلوش كدة يلا.

أقدم عدي ولطم رشد لطمة قوية ثم أمسك بذقن رشد فوجد بؤبؤا عيناه يرتفعان لأعلي ضاماً قبضتاه بغضب و أنفاسه تتزايد. تعجب الشيخ مختار مما يراه ليسأل عدي ساخراً:

- الأستاذ عنده صرع يا عدي ولا أيه؟!

ضحك عدي باستهتار قائلاً:

- هو شكل أمه مجنون أصلاً يا شيخ!

تزايدت أنفاس رشد بطريقة غير طبيعية تشبه أنفاس القطط أنفاس سريعة لكنها قصيرة ثم بدأ يأن بصوت مرتفع كأنه يبكي من الألم. تعجب الشيخ مختار و أبناءه وجعلوا ينظرون لبعضهم في تعجب فضرب فهد رشد على رأسه بيد الطبنجة لكن في هذه المرة كان فهد خائفاً تتزايد نبضات قلبه. انقلبت عينا رشد ليصبح لونها أبيض صافي وتحول الأنين الذي يشبه البكاء إلي زمجرة. ترك فهد رأس رشد وقادته ساقاه ناحية والدة وخاف الجميع ما عدا عدي الذي لم يخف بل أصابه الهلع فلقد بدا رشد وكأن عضلات وجهه كلها مشدودة لتعطي ملامح تقطر غضباً. اعتدل رشد ووقف على قدميه وهو يقول كلمة واحدة:

- هقتلكوا!

تحول صوت رشد ليصبح خشناً جداً بطريقة غير آدميه. بلغت القلوب الحناجر فشد فهد أجزاء الطبنجة بيدان ترتعشان وصوبها ناحية رشد الذي

لم يتزعزع فقام الشيخ مختاربوضع يده على الطبنجة ليخفضها بهدوء قائلاً:
- ده شيطان يا ولدي! سيبوا هوا بيتعذب لوحده.
زاد غضب رشد وتحرك ناحيتهم ليصرخ فيه الشيخ:
- أخرج من هنا ولاهنأذيك ولا هنبعت حد وراك.
تسمر رشد في مكانه بعدما شعر بالقوة في صوت الشيخ مختار الذي أكمل تهديده:
- هيا طلقة واحدة في راسك وهتقع أخرج أحسن!
بكي رشد لكن بكاء مختلفاً , تخيل ذاك الصوت الغريب ذو النبرة الغليظة وهو ينوح من غضب بدا وكأنه من عالم غير عالم البشر وأضطر برغم شرره أن يكتمه وهو يصيح:
- هقتلكوا!
ظل رشد يكررها بغضب شديد, غضب من نار. اتجه ناحية الباب وكأنه سيخرج ثم توقف عند الباب وصك رأسه بالباب فأصدر ارتطام رأسه بالحديد صوتاً عالياً وشجت رأس رشد وسال الدم على وجهه بغزارة لكنه لم يبدو عليه أن هذا الأمر أثر فيه ظل يضرب رأسه في الباب بقوة مراراً وهو يصرخ بشدة والشيخ مختار وأولاده ير اقبون بذعر من بعيد.
كان رشد بطريقة ما يعرف أنه إن عاد إليهم سيطلقون على رأسه النار لذلك بالرغم من ذعرهم الذي كان يشعر به مع أنه كان يوليهم ظهره لم يعد إليهم لكنه فتح الباب ليخرج.

***

كان عواد يقف في الجهة الأخرى من الباب يسمع صوت الصراخ ويسمع صوت ارتطام رأس رشد بالباب.. ظل و اقفاً كالصنم لم يستطع أن يتجرأ على فتح الباب ولم يساوره حتى ذرة فضول واحدة ليعرف ما الذي يحدث

وراء الباب بل أراد الرحيل بأقصى سرعة يمتلك لكن ساقه وكأنها لم تكن موجودة.

فتح رشد الباب ليري عواد رشد يقف وأزرار قميصه ممزقة والدم يغطي وجهه وعيناه اللتان لا تجفلان لا لون لهما إلا الأبيض. أسقط عواد المعسل من يده ونظر خلف رشد ليجد الشيخ و أبناءه يشاهدون بذعر من بعيد. جري رشد لمسافة لا تزيد عن متراً ونصف ثم أستبدل الباب الحديد برأس عواد الذي سقط إما مغشياً عليه وإما ميتاً. وقف رشد خائفاً ينظر إلي الشوارع التي تشبه المتاهات وحتى خوفه امتزج بالغضب. كان جسد عواد يتمدد على الأرض خلف رشد ومصيره يمتد أمامه, قلائل هم من يرتبط مصيرهم بمصائر الجميع ولذا يعذبون ويعذبون.

★★★

# «الفصل السادس عشر»

- «كلمت صحابي كلهم وجمعت منهم فلوس ورحت اشتريت كرسي محترم كده زي الكرسي بتاع حضرتك اللي حضرتك بتقعد عليه و أنت بتسمع النشرة دة ورحت بيه لعم حسنين ومعايا الغدا فأول ما عم حسنين شافني خرج من الأوضه وقالي:

- «مرحب بالغريب.... مرحب بالطبيب.» وبالرغم من إني مش قادر أفهم قصده قلتله

- «عامل إيه يا عم حسنين؟»

- «زي ما أنا حسنين.... لسه حسنين مبتغيرش... مبتقدمش ومبتأخرش. إيه الكرسي ده بتاع مين؟!»

- ده كرسي جبتهولك تقعد عليه بدل قعدة الرصيف المتعبة دي.»

- فرد عليا بسعادة كأني جبتلوا الدنيا كلها «كرسي حسنين؟!»

- «اه كرسي حسنين. إيه رأيك؟»

فمردش وقعد على الكرسي بسعادة فحطيت الأكل على قفص وقعدت أنا على الرصيف وكلنا بعدها سألته عن إبنه قلتله

- «ما تحكيلي عن فاروق يا عم حسنين.»

- فرد عم حسنين بصوت عالي مليان غضب «إبني بعد ما كبرت طردني.... خد فلوسي...خد هدومي... خد حياتي... خد حتي شر اباتي... ده أنا يا واد يا جبريل كان عندي هدوم كتير حلوة وشر ابات وجزم... بس دلوقتي بلبس شبشب جابهولي الواد سيد بتاع الكشك اللي هناك ده.»

- «اه شبشب جميل.»

- «ولا جميل ولا حاجة ده سيد ده عيل إبن كلب... مبيرضاش يديلي سجاير.»
- «يا عم حسنين السجاير حرام وهتتعبلك صحتك, هو بس خايف عليك.»
- فإبتسم وقالي «إنت عيل مؤدب... روح هاتلي سجارة من الواد سيد.»
- «بلاش يا عم حسنين»
- «نفسي أشرب سجارة واحدة بس, هتجيبلي سجارة ولا هتطلع عيل إبن كلب زي سيد؟»
- «لأ على إيه.. هجيب سيجارة.»

رحت جبت السيجارة وجيت إديتهالوا. إتبسط جداً وحط رجل على رجل وفضل يشرب فيها بس من غير ما يولعها ومرة واحدة راح شاخط فيا وقايلي:

- «هات نار... عايز نار.»
- «ليه يا عم حسنين.»
- «عشان أولع سيجارة حسنين.»

رحت جبتلوا كبريت خدوا مني وولع السيجارة وحط رجل على رجل وفضل يشرب السيجارة. كان قاعد كأنه مدير في مكتبه مثلاً حسيته كأنه بيفتكر حاجة, فضل سرحان شويه وبعد كده فضل يولع عيدان الكبريت ويبص للنار والعود بيولع لحد ما النار تلسعه يقوم راميه وموله عود تاني.

المغرب أذنت فإستأذنت منه قلت له:

- «هقوم أصلي أنا يا عم حسنين هتعوز مني حاجة؟»

مبصليش حتي فضل يبص للنار بطريقة غريبة وهو مميل دماغوا كده بصراحه خوفني بس صعب عليا.

«ومن ساعتها كل أما أشوف عم حسنين ألاقيه مبتسم. بيفضل طول النهار قاعد على الكرسي وحاطط رجل على رجل ومبسوط أوي, اه لسه بيكلم نفسه بس مبتسم.»

- تفتكريا والدي الكرسي والأكل , الحاجات البسيطة دي هي اللي بسطت عم حسنين؟

- هو إنبسط أكتر عشان الوقت القصير اللي بين صلاة العصر والمغرب ده. عشان لقي حد يهتم بيه, مع إنها حاجة بسيطة بس غيرت وفرقت.

إستكمل جبريل حديثه قائلاً:

- «تالت يوم قبل المغرب رحت قعدت معاه شوية كالعادة

- «عامل إيه يا عم حسنين؟»

- فرد كالعادة «أنا حسنين... زي ما أنا حسنين... مبتقدمش ومبتأخرشَ!»

فضلنا نتكلم شوية وبعد كدة سألته «إنت ليه على طول كلامك زي الشعر كده ليه يا عم حسنين؟»

- فقالي كلمة هزتني من جو ايا «لو مفيش حاجة حلوة فحياتنا... على الأقل الكلام يبقي ليه طعم يا جبريل... كلامنا مع بعض يفرق كتير لما يبقي جميل. اكتب شعر أنت, أنت تعرف تكتب شعر أحسن من حسنين. حسنين خلاص مبيتسمعش مبينوجعش واللي مبينوجعش يا ولدي عمره ما يكتب شعر عشان شعره بيبقي مسموم وملوث بيبقي كله موت مفيهوش حياة, إكتب إنت!»

- سألته «ليه يا عم حسنين دايماً مبتسم؟ إنت مبسوط؟!» فبصلي لثانية وبعد كده سند ضهره على الكرسي وبص للسما وغمض وقالي

- «اه عارف ليه.»:

لأني أمير... أمير في حته ملهاش وجود

ملهاش حدود

ملهاش تأشيرة وجواز سفر

محرمة على كل البشر, كل الذئاب

خلقتها من كتر العذاب
بين الأوهام والسراب
بروح هناك بخيالي وأسرح... فأبقي أمير
و أنسي إني نايم في كوم خشب
يصبح صباحي لا ألاقي كرسي ولا كنب
ألاقي بس أسفلت تحتي وسما فوقيا
وحفرة حفرها الناس عاملها سرير
و أنا أمير بمسك لجام فرسي... يجري كما الرهوان
فموج الهوا يداعبني.... ويموت الأحزان
بحكم ما بين الناس بالعدل والرحمه
وبشيل مع الشيال وأمشي مع الزحمه
ما هو أصل الناس يا ولدي عندي ما هماش طوب
ما هماش سلعة يتباع الجميل منها ويترمي المعطوب
بمشي دروب... قلوب جفت... حيطان مايلة
بيوت عالية.. لكن كل اللي جواها مخروب
إتصدمت و إتسمرت مكاني.مكنتش مصدق إنوا قال الكلام ده فعلاً. طبطبت عليه و أنا دلوقتي فاهم إنوا بيكلم نفسه وهو واعي شكله كان راجل مثقف قبل ما إبنه يرميه في الشارع كده يا والدي.»
رد الحاج منصوروقد دمعت عيناه:
- إنت نفسك تساعد الراجل ده بجد؟
- جداً والله يا والدي بس معرفش فحالتوا دي أساعدوا إزاي حاسس كأني عاجز.
- طيب أديلي يومين كده وربنا يقدم اللي فيه الخير!

قفز جبريل من مكانه فرحاً وهو يقول:

- بجد يا حاج؟! يعني هنساعده؟

- ربنا يقدرنا على فعل الخير, المهم أنت عايزك تخرج من الإكتئاب اللي أنت فيه ده.

- أنا مبسوط جداً يا والدي, ربنا يباركلنا فيك!

أمسك جبريل الصغير يد والده ليقبلها ثم احتضنه والده وهو يتنهد بعمق وكأنه أراد أن يطرد الألم مع الهواء الهارب من صدره.

★★★

# «الفصل السابع عشر»

كان رشد يقف فوق جبل شاهق الارتفاع أمامه من بعيد هذا المخلوق, بل الكيان أو قد نسميه إلهاً. شعر رشد بحكا يقف خلفه وهو يقول بصوت يسري كالطاقة الكهربية في روحه:

- الظلام ليس ظلاماً حقيقياً, بل هو أبشع. حين تسمح للمنطق أن يواري تحت أكوام من الجهل والجشع والحقد والغوغائية والانتقام فتظل تلك العقلانية المدفونة تصرخ وصراخها يسلخ روحك من هدوئها وكلما زاد الركام هلكت. ذلك الصراخ حينما يبدأ لا ينتهي بل يصيبك الصمم فلا تسمع وحينما يمضي انتقامك على الرقاب يمتلكك التيه فتصبح مثل سفينة لا مرسي لها... كانت المعاني وكأنها تسري في وجدان رشد بلا جهد ولا مشقة وكأن المعني شيء محسوس ثم أرتفع رشد فوق هذا الجبل ينظر إليه فيجد كل من عاداه يوماً أو ظلمه: عدي و أباه وأخاه و أناس آخرون لا يعرفهم لكن بداخله شعور أنه سيقابلهم قريباً. رجل بدين إلي حد ما أصلع الرأس يبكي وآخر يشبهه كثيراً إلا أنه ليس بالبدين ولا بالنحيف... يحتضن صبياً صغيراً وتسيل الدماء من عيناه على الأرض. كان كل هؤلاء جاثين على ركبهم مطأطئين رؤوسهم في خوف وذل.

يقف أمامهم ذلك الرجل أسود الشعر شديد البياض مفتول العضلات معه صولجان من الذهب ينظر إلي هؤلاء القوم وهم على ذلتهم ويبتسم ثم ينظر إلي رشد ثم علا ليصبح بجانب رشد وقال وهو ينظر إليهم:

- أنظر إلي الظلام القابع بداخلك وكن أنت سيد هذا الظلام. فليكن منطقك وعقلانيتك أنك فوق البشر, طبيعتك أسمي منهم. سيتحرر النور فقط عندما تخضع.

ثم ضرب رشد بذلك الصولجان على كتفه فاستيقظ وهو يشعر بذلك الظلام بداخله. لقد نام رشد وهو يشعر بالخوف بعد كل ما عاناه في ذلك اليوم لساعات قليلة ليستيقظ بعدها وهو يشعر بنشوة غريبة وكأنه يملك قوة لم تكن لأحد غيره. أخرج رشد سيجارة وأشعلها وهام بخياله لدقائق وكأنه يتذكر ما حدث له أو قل يتأكد أن ما حدث قد حدث بالفعل. تحسس جبهته فوجد الجرح موجوداً بالفعل وبقعاً من الدماء قد هربت من ذلك الجرح الذي سيشفي مع الوقت وستظل ذكراه باقية تؤرق الجميع. الآن الساعة الخامسة والنصف ولابد وأن يجهز تفسيراً منطقياً يقصه على أمه التي عادت من عملها ثم جال في باله أنه قد يتحول إلي ذلك الكائن مرة أخرى و قد يؤذي أمه.

قفز من مكانه تاركاً هاتفه يتصل برومانى وهو يرتدي ملابسه وكأنه في سباق مع ذاته. رد عليه روماني قائلاً بصوت يحتضن النعاس:

- ألو يا صداقة!

- ايه يا روما أنت نايم؟

- لا يا صاحبي أنا لسه صاحي.

- طيب أنا هجيلك عشان عايزك في حوار مهم.

- مالك في ايه؟

- لما أجيلك مش هعرف أفهمك في التليفون.

- قدامك قد ايه؟

- يعني لو الدنيا ماشيه نص ساعة و أبقي عندك.

- أمين مستنيك بس أطلعلي عالسطح على طول.

- ماشي سلام!

- بيس!

تأكد رشد من أن قبعته تغطي الجرح في رأسه ثم خرج مسرعاً فنادت عليه أمه بتعجب:

- مالك يا ولا؟! رايح فين ومالك بتجري ليه كده؟

لم يلتفت رشد إليها وفتح الباب وصفعه وهو يهرول في خوف. كل لحظة مرت على رشد حتى وصل إلي بيت روماني بدت له وكأنها نعمة إذ أنه كان يخشي أن يؤذي أحداً. وصل رشد ودلف إلي المصعد وفي طريقه إلي السطح نظر في المرآة وكأنه يبحث عن ذلك الكائن في عينه كما رآه في الصباح فلم يجده فاطمئن قلبه قليلاً. وصل المصعد إلي الطابق الأخير وصعد رشد بضعة درجات ولكنه وجد باب السطح مغلقاً فأخرج هاتفه متصلاً بروماني الذي رفض المكالمة و أتي مسرعاً ليفتح الباب قائلاً:

- خش يا صداقة الواد أمين هو كمان هنا.

دخل رشد وسلم على أمين ثم جلس على أحد الكراسي وأشعل سيجارة ونظر إلي السماء وصديقاه يترقبان فعله ينتظرون منه أن يقول شيئاً. كان رشد يفكر كيف يخبرهم بهذا الأمر؟ ثم ماذا لو لم يصدقوه أو لو سخروا منه؟ وماذا عن أمين؟ هو يعلم أن أمين جبان وأول شيء يقفز إلي ذهنه حين يشتم رائحة الخطر هو الهروب. في النهاية اتخذ قراراً أن من لا يصدقه أو يهرب منه خوفاً لن يعده صديقاً. اعتدل رشد ونظر إليهم ثم خلع قبعته التي يخفي بها جرحه قائلاً:

- أنا عاوز اتكلم معاكوا في حوار يا جدعان!

اقترب منه أمين متسائلاً:

- أنت اتخانقت يا بابا ولا ايه؟ مين اللي معورك كده؟

رد رشد بعصبية:

- دي مش خناقة أنا اللي عملت فنفسي كده!

كان روماني يجلس على أريكة تبدو قديمة ومهترئة أمام طاوله خشبية مستطيلة الشكل يطحن بعض حبوب الأوماتريل ثم أستنشق خطاً ونظر لرشد قائلاً بصوت مختنق:

- مش عيب لو أضربت يا صداقة عادي نجيبلك حقك متتكسفش. أحنا عارفين انك أستاذ مش بتاع خناقات بس أحنا مسجلين عادي نجيبلك حقك من الطخين!

نظر رشد إلي أمين وروماني اللذان بدا عليهما الانتشاء فقام وجلس بجانب روماني واستنشق خطين من الأوماتريل ثم مال برأسه للخلف وصمت فقال روماني بقلق:

- يخرب بيت أمك أنت مبتاخدش أوما وخدت خطين دا احنا هنحكيلك باقي اليوم بكره!

رشد: متخافش! سيبني النهاردة عشان أنا....

نظر رشد إليهم وهو يشعل سيجارة أخري وقد انسلت دمعة من عيناه هاربة من الجحيم الذي يشعر به قائلاً:

- فاكرين يا جدعان الحلم اللي كنت بحلمه لما كنا في الجيش؟

رد عليه أمين:

- اه بتاع الفراعنة ده!

صمت رشد مرة أخري والتردد يلجم لسانه فصاح روماني بعصبيه:

- قول يا صداقة, في أيه؟

رشد:فاكرين لما قلتلكوا ان كان في راجل في الحلم وكان بيقولي «مجد هكا»؟!

روماني: أيوه

رشد: أنا النهارده قابلت هكا!

سرت القشعريرة في جسد أمين و اتسعت حدقتا عينه وارتفع حاجباه وكأنهما

يعطيان المساحة لجفونه لتتسع أكثر فقال محاولاً إخفاء خوفه وهو يسأل:
- في الحلم يعني؟ شوفتوا في الحلم؟
أشار رشد إلي قلبه قائلاً:
- أنا مشفتش بعنيا ده كان جو ايا أو لسه جو ايا معرفش, أنا مش فاهم أي حاجة بتحصل جو ايا أكتر من الأول ميت مرة.
بدا على أمين الخوف وروماني عدم التصديق فقص عليهما رشد القصة من بداية اليوم ليسأله أمين:
- أنت كنت مصطبح طيب أو واخد حاجة؟
نظر رشد لأمين الذي يجلس على يساره بطرف عينه بدون أن يحرك رقبته ناحيته وبدأ الغضب يسري في عروقه وهو يقول:
- أنا ممكن أقلك انك بتهزر عشان تخبي خوفك وإن كل اللي بتفكر فيه دلوقتي إنك تقوم تمشي بس مش عارف تجيبها إزاي بس أنا بقلك متخافش أنت صاحبي و أنا عمري ما هأذيك بس خوفك ده بيأذيني أنا.
قفز أمين من كرسيه في رعب قائلاً:
- ده الكلام بجد يا جدعان!
سأله روماني باهتمام:
- بيأذيك ازاي يعني يا رشد؟!
- لما تحس أن صحابك خايفين منك دي حاجة بتوجع بس أنا من ساعة الحوار ده و أنا حاسس أن مشاعري بقت أقوي بأضعاف مضاعفه. أنا دلوقتي أهم حاجة عندي أفهم أيه اللي أنا فيه ده؟ وإزاي إله السحر عند الفراعنة جو ايا؟ و إيه علاقة الأحلام اللي كنت بحلمها بالحوار ده؟ أنا هفضل كده على طول ولا هرجع طبيعي تاني؟
أغرقت الدموع عينا رشد فأخرج روماني سيجارة حشيش من علبة سجائره وأعطاها لرشد قائلاً:

- ولع السيجارة دي يا صاحبي واهدي كده عشان نفكر مع بعض ونشوف حل!

قال أمين في محاولة للمزاح:

- أنت أزاي بارد كده يا بابا ده أنا حاسس اني هشخ على نفسي من الخوف؟!

ضحكوا وأشعل رشد السيجارة بعدما جفف دموعه التي انزلقت على وجنتيه ثم جاءت لرشد فكرة قائلاً:

- ولا يا روماني! إنت مش كنت قايلي ان ليك عيال صحابك عبدة شيطان؟

- اه! بس دول مالهم بالقصة دي؟

- مالهم ازاي يا غبي؟! المفروض ان حكا ده إله السحر و أنا أسمع ان عبدة الشيطان ليهم في السحر وحتى لو صاحبك ده مش ساحر أكيد هيبقي عندوا معلومات أو عارف حد هيفهمنا.

أمين: يا عم دي تخاريف. حكا و امون و إيزيس وأمنحتب دي أساطير فرعونية. أسمها أساطير يعني الفراعنة كانوا بيصطبحوا ويأسطروا.

رد رشد عليه مازحاً:

أمنحتب ماله يا روح خالتك بالكلام ده؟ بصوا يا جدعان ريحوني , خدوني على قد عقلي عشان أنا لو فضلت كدة هقوم أنط من هنا وأرتاح!

كان رشد يتكلم بعصبية وجدية جعلت روماني وأمين يصعقون خوفاً وكأنه سيقفز بالفعل فبادر روماني قائلاً:

- ولا تنط ولا تتشقلب يا صداقة. أنا هنزل بسرعة أجيب الموبايل التاني من الشقة عشان هو اللي فيه رقم البت.

سأله رشد بتعجب:

- هيا بنت؟

فرد عليه روماني ممازحاً:

- لو سمحت العنصرية ممنوعة على السطح عندي وخصوصاً ضد النسوان!
نزل روماني مسرعاً و اتجه رشد ليقف بالقرب من السور ينظر إلي البشر كل منهم أهمته نفسه ومصالحه.لا يشعر به أحد ولا بمأساته. شعر رشد بخوف أمين يتزايد وكأنه يريد أن يقول شيئاً لكن الخوف يمنعه ليباغته رشد قائلاً:
- قول عايز إيه يا أمين متخافش!
انتفض أمين مفزوعاً وقال بصوت مرتعش:
- لا يا بابا مش عايز حاجه! والله ما عايز حاجة!
التفت رشد لينظر إلي أمين فلم يزدد أمين إلا خوفاً فمشي رشد ناحيته قائلاً:
- يا ابن العبيطة قلتلك متخافش أنا بحس بالخوف حواليا وبحس أن كأني بستمتع بيه وكأن الخوف بيظهر حكا جوايا.قلتلك أنت صاحبي وعمري ما هأذيك.
مد رشد يده ليضعها على كتف أمين فانتفض أمين ومال بجسده للخلف فنظر رشد في عينا أمين لبجد خوفه قد انقلب ذعراً فلم يستطع أن يتمالك نفسه و انطلقت الدموع من مدامعه متدافعة وكأنها ماء مغلي ولم يشعر رشد بنفسه إلا وهو جالس على الأرض مسنداً ظهره للحائط ورأسه تتوسد كتف أمين الذي احتضنه قائلاً:
- مالك يا صاحبي يا جدع, أنا عمري ما شفتك ضعيف أبداً. أنا اسف صدقني مقصدش أنت عارف صاحبك دا انا من ساعة ما عرفتك أكتر حاجة بحبها فيك أنك مفيش حاجة بتكسرك يا بابا!
- مش قادر أستحمل أن الناس اللي بحبها تبقي خايفة مني يا أمين, مش قادر افهم اللي بيحصل ولا قادر استحمل حتي مشاعري
- يا بابا أنت أقوي من أي حاجة وبعدين أنا مهما كنت خايف مش هسيبك عليا الطلاق من البت جنه ما هسيبك. وبعدين يا اسطا احنا قعدنا في

الجيش سنة الدفعة كلها عيطت إلا أنت لدرجة إني كنت فاكرك انسان آلي.
دخل روماني من الباب وهو يحمل الهاتف وقد بدل ملابسه استعداداً للخروج فصعقته رؤية رشد يبكي وكأنه لم يصدق فصرخ في أمين مازحاً:
- عملتله ايه يا ابن الجزمه أنا سايب الواد بيصطبح والدنيا حلوة معاه؟!
لم تتغير ملامح رشد الحزينة فجلس روماني بجانبه على الأرض وأحتضنه قائلاً:
- مالك يا أخويا أنا اللي أعرفه أنك أجمد من كده بكتير دا احنا مبنعرفش انت حاسس بأيه إلا لما تقولنا بتفكرني بأدهم صبري.
فقال أمين مازحاً:
- ما انا لسه قايله أنا كنت فاكرك إنسان الي مش مصدقني. شفت يا بابا؟
ابتسم رشد هذه المرة قائلاً:
- أنتوا هتقفشوني يعني؟ أنا إنسان آلي يا ولاد الكلب؟!
قال روماني وقد شعر بارتياح بعدما ابتسم رشد:
- أيوة كدة اضحك يا ابن النكدية. بص يا صاحبي أنا أعرفك بقالي سنة ونص عمري ما شفتك بتطلب مساعدة من حد. كنت أنت اللي بتساعدنا حتى لو مش فأيدك حاجة أنا مش هنسي يوم ما الأمن مسك الموبايل بتاعي في العنبر و أنت قلت أنوا موبايلك. كان زمان أبويا عيدني الخدمة من الأول!
رد رشد والضحكة تملأ وجهه:
- أنا عملت كدة عشان عارف انك هفق ولو دخلت السجن العيال هتتحرش بيك!
ضحكوا والتهمت ضحكاتهم الحزن الذي خيم فوق رؤوسهم ثم مسح رشد دموعه قائلاً لروماني:
- كلمت البت دي؟

رد روماني:

- اه هتستنانا في النادي هنا في المنطقة. هي قاعدة هناك دلوقتي.

فرد رشد:

- يلا بينا... هو بعيد النادي ده؟!

- ربع ساعة بالعربية!

فقال أمين:

- وأحنا معاناش عربية!

روماني: لأ ما انا فتشت المفاتيح من أمي!

كان الطريق قصيراً لكن الزحام جعله يبدو وكأنه سفراً. ظل رشد طوال الطريق هائماً قليل الكلام يلتهم سيجارة الحشيش عندما يناولها له أحد أصدقائه لعلها تسكن الألم الذي يشعر به. انتشله روماني من هذا الضباب الذي يحيط برأسه قائلاً:

- البت دي يا رشد صاحبتي من زمان من أيام ما كنا عيال صغيرة. كنا مع بعض في الكنيسة وهي اللي خلتني ألحد. بصوا من الاخريا جدعان زيها زي أختي يعني قلة أدب مش عايزيا أمين!

أمين: أنت بتكلم رشد ولا بتكلمني ولا السجارتين تعبوك ولا ايه؟!

قال رشد مسرعاً ليقتل الشجار قبل أن بدأ:

- هيا بقالها قد ايه في الحوارده؟

روماني: حوار ايه؟

رشد: عبدة الشيطان؟

روماني: تقريباً خمس سنين

صعدوا إلي الدور العلوي في المبني الاجتماعي وظل روماني يبحث عن صديقته إلي أن وجدها. فتاة في منتهي الجمال, شديدة البياض, عينها الواسعة توحي

بالثقة في النفس ينسدل شعرها الأسود الطويل على عينها اليسرى ليخفيها عن العالم أو ليخفي العالم عنها ترتدي فستاناً أسود اللون يبلغ طوله ما فوق الركبة بكثير تدخن سيجارة «سليمز» وتقرأ شيئاً ما على هاتفها وكأنها ضوء مشعل في وسط الظلام لا يمكن أن تدخل إلي المكان بدون أن يأسرك بريقها. اقترب منها روماني وحده وسلم عليها ثم قال لها شيئاً وهو يشير لرشد. لأول مرة يشعر رشد بهذا الشعور, الانجذاب القاهر الذي يرغمك على التقدم بلا تفكير. تقدم رشد ناحيتها وظل ينظر إليها وهي تنظر إليه في صمت وروماني يكلمها لكن بدا أن كلاهما لم يسمعا ما قاله فابتسم روماني قائلاً:

- جاكلين رشد.. رشد جاكلين... واللي هناك ده أمين!

كان أمين قد جلس على طاولة قد يبدو وكأنها أكثر طاولة أستطاع الحصول عليها بعداً عنهم. ابتسمت جاكلين وهي تمد يدها بالسلام قائلةً:

- ايه الأخبار يا رشد؟!

بادلها رشد الابتسامة ولم تفارق عينه عيناها قائلاً:

- غالباً مش كويس!

اعتدلت جاكلين في جلستها ثم أطفأت سيجارتها وقالت:

- فهمني في ايه عشان روما قالي ان انت اللي هتعرف تفهمني.

أجابها رشد بعفوية قائلاً:

- بصي قبل اما احكي أنا معرفش أنتي تقدري تساعديني ولا لأ!

ثم تغيرت نبرة رشد من الخوف و انعدام الاطمئنان إلي الثقة ونظر في عينا جاكلين قائلاً:

- بس عارف انك عارفه حد يقدر يساعدني!

تعجب روماني وجاكلين والأغرب أن رشد نفسه كان أكثرهم استغراباً فقال رشد في ذهول:

- أنا كنت عايز أقول لو أنتي مش هتعرفي تساعديني ممكن تكوني عارفه حد يقدر.

صمت رشد قليلاً ثم قال:

- أنتي تسمعي عن إله عند الفراعنة إسموا حكا؟

- لأ أنا أعرف أن السحر اللي الفراعنة كانوا بيمارسوه إسموا حكا.

- باختصار عشان هيا حكاية طويلة و انا حكيتها كتير. انا من ساعة ما دخلت الجيش في دهشور و أنا بحلم حلم واحد: المفترض أنوا جد من جدودي الفراعنة بيجيلي في الحلم بيقلي مجد حكا وهتبقي عظيم وطول السنة الحلم هو هو مبيتغيرش.

بدا على جاكلين الاهتمام واعتدلت حتى أصبحت أكثر قرباً من رشد الذي استكمل حديثه قائلاً:

- المهم أنا أول إجازة نزلتها عملت سيرش على حكا ده لقيت مصادر بتقول زى ما أنتي ما قلتي كده ومصدر واحد لقيت فيه أن حكا ده إله السحر عند الفراعنة وان هو اللي كان بيدي بقيت الالهه القدرة على الخلق و أنجاز أعمال عظيمة وبرده هو اللي بيدي الكهنة القدرة على السحر. عدت الدنيا عادي والنهارده اتخانقت مع عرب في المنطقة عندنا وخطفوني فجراج عندهم إتحولت وبقيت واحد تاني وتقريباً قتلت حارس الجراج

خلع رشد الايس كاب ليريها الجرح في جبهته ثم قال لها:

- اللي فراسي ده عشان أنا فضلت أضرب راسي فباب الجراج الحديد... أنا ركبت تاكسي كل اللي انا عملته اني بصيت للسواق بتاع عشر ثواني.. وصلني لحد البيت ومشي من غير ما اقله العنوان ولا حتى طلب مني فلوس وصلني ومشي!

ردت جاكلين في تعجب واضح:

- ده حوار غريب! وزى ما أنت قلت وبالرغم من ان دي أغرب فأنا فعلاً اعرف حد ممكن يساعدنا على الأقل نفهم إيه اللي بيحصلك. خليني أعمل تليفون وأرجعلكوا.

قامت جاكلين وظلت تتحدث في هاتفها لما يقرب من النصف ساعة ورشد تغلي الدماء في رأسه كلما تقع عيناه عليها يشعر في قرارة نفسه أنها ملكه لا يمكن أن يتركها لتكون لأحد غيره. عادت جاكلين ويبدو عليها عدم الارتياح ثم وجهت حديثها لرشد:

- تعالي معايا نتمشى وأجيب سجاير عشان سجايري خلصت.

فقال روماني مازحاً:

- أنا بعرف أمشي بردوا على فكرة بس عادي!

خرج رشد وجاكلين من المبني, مشوا بخطوات بطيئة فلقد كان انجذابهما لبعضهما حتمي و أقوي حتى من إرادتهما. ساد الصمت قليلاً ثم هرب الصمت أمام جرأة جاكلين التي توقفت جانباً وأمسكت يد رشد. بدا أنها أمسكت يده ليتوقف عن السير لكنها كانت تريد ذلك. نظر إليها رشد منتظراً, فمن المنطقي أنها أوقفته لتقول له شيئاً ما له علاقة بتلك المكالمة الهاتفية الطويلة لكن جاكلين لم تقل شيئاً ولم تفلت يد رشد. نظر رشد إلي عيناها وهو ينظر إلي يده التي تعتقلها جاكلين بين أصابعها الرقيقة ولم يعرف ماذا يقول لكن هرب الصمت أمام جرأة جاكلين التي قالت:

- أنت فيك حاجة غريبة!

فقال رشد مازحاً بعد أن هز كتفاه بلا مبالاة:

- آه ما أنا بقول كدة من الصبح!

شعرت جاكلين أن ذلك هروب وأنها تسرعت عندما فعلت ذلك فتصنعت الشعور بالأسى ووضعت يدها على كتف رشد وكأنها تواسيه ثم قالت له:

- وعشان كدة أنا عايزة أساعدك تفهم. بص أنا مش عندي خبرة كبيرة أني أقلك إيه بالظبط اللي بيحصلك ولسه موصلتش لمرحلة أني أمارس السحر بس كل اللي أعرفه أن لو الحوار بتاعك ده حقيقي فدي متبقاش حاجة تخوف ده أمتياز.

زاد فضول رشد ليسألها:

- طيب واللي أنتي كلمتيه قالك إيه؟

- قال هيكلم «الماجا» وهيديلي معاد الصبح نقابلوا فيه وقالي غالباً الحوار بتاعك ده حاجة من الاتنين لأما أنت في جن مستحوذ عليك وبيشتغلك وبيقول أنوا حكا عشان يخوفك لأن حكا أعلي بكتير من أنها تقترن بأنسانأو أنت مفشوخ في دماغك وبتتعبني معاك عالفاضي.

رد رشد وقد بدا الاحتمال الثاني مخيفاً بالنسبة له فكل ما يملكه رشد في الحياة هو عقله:

- أنتي شايفه أني مفشوخ في دماغي؟!

ابتسمت جاكلين ثم قالت:

- ده كلام الراجل مش كلامي.

- أمين يا عم براحتك... هاتي رقمك بقي.

أخرجت جاكلين هاتفها وتبادلا الأرقام ثم قال لها رشد في ثقة.

رشد: متترددیش روماني راجل ولو وعدك بحاجة هيعملها.

تسمرت جاكلين في مكانها بعد أن كانوا بدأوا رحلة العودة إلي الكافيه فأمسك رشد يدها قائلاً:

- أسئليه على اللي أنتي عايزاه وهو ولا هيكذب عليكي ولا هييجي يقلي لو خلتيه يوعدك أنوا ميقليش!

ضحكت جاكلين والحرج تملك من وجهها ليحول بياضه حمرة ثم قالت:

- أنا مش فاهمه على فكره أسئل روماني على إيه؟!

رد رشد و ابتسامته الواثقة تزين وجهه:

- على أي حاجه أنتي عايزاها!

ثم جذب يدها ينفس الهدوء وعادا إلي روماني الذي كان جالساً مع أمين يحتسون بعض القهوة وعندما راهم روماني وهم يقتربون منهم قال بصوت مرتفع وبنبرة مازحة:

- لقيتوا سجاير؟!

أقترب منه رشد ثم لكمه لكمة خفيفة على كتفه وكأنه يقول له أصمت فضحك روماني وجلسوا معاً لبضعة ساعات كانت أفضل ساعات يوم رشد. انصرف الجميع إلي بيوتهم لينامو أما رشد وجاكلين فلم يناموا. بالطبع لأنهم كانوا ينتظرون تلك المكالمة من مختار التي طال انتظارها ولكن أيضاً كانت هناك بذور تنمو تحت ركام روحيهما, بذور لزهرة بيضاء جميلة لكن نموها قد لا يكتمل في هذا المناخ.

★★★

# «الفصل الثامن عشر»

على الجانب الآخر من شارع أحمد عصمت, في أحد الحارات المتفرعة من شارع إبراهيم عبد الرازق ولد «راضي» وأخته الصغرى «عنود» لأسرة فقيرة, أسرة من تلك الأسر التي تعيش بالكاد ولذا يعمل «راضي» منذ صغره. خيره أباه أن يترك دراسته ويتفرغ للعمل أو أن يكمل دراسته ويتحمل تكلفتها فاختار أن يستكمل دراسته كما نصحته أمه ولكن بالطبع أثر عمله على دراسته فهو لم يكن متفوقاً ولكنه كان يعرف كيف ينجح. علمه السوق أن لكل شيء ثمن حتى البشر فكانت زجاجة عطر وظرف به بعض المال يعطيهم لمعلمه هم سر نجاحه حين يتعثر في إحدى المواد؛ بالطبع كان للبعض سعر أعلي لكنه كان دائماً يحدد السعر ببراعة.

لم يتذمر «راضي» يوماً من فقره فراضي لا يفكر في تلك الأمور, لا يضع أهدافاً ولا يحققها هو فقط يتعامل مع الواقع الفعلي الموجود أمامه, دائماً رد فعل لم يكن مبادراً لكنه كان شاب وسيم طويل القامة خفيف الظل يحب الجميع مخالطته لبساطته وقدرته على إخراج الضحكة من نفوس الجميع حتى أن بعض أصدقائه نصحوه بالتمثيل في المسرح لكنه كان يؤمن أن له حدود كما كان يقول والده الملقب «بالصغير» دائماً «إوعي تبص لفوق إحنا إتولدنا وعشنا وهنموت زي ما إحنا المهم إنك تبقي راضي ومبسوط... محدش بياخد حاجة معاه.»

عندما تخرج راضي من الثانوية في قسم التجارة كان أسعد يوم في حياته أخيراً سيعمل فقط لن تنغص الدراسة عليه حياته وسيستطيع أن يوفر المال الذي كان ينفقه فيها وأخيراً سينال قسطاً من الراحة. ظل راضي في

عمله كمندوب مبيعات لشركة عطور محلية يدور ببضاعته على المقاهي ليبيع لمرتاديها عطوره وفي آخر اليوم يعود ليجلس مع أصدقاؤه في الحارة يتسامرون حتى منتصف الليل ثم يذهب لينام ليبدأ يوم آخر مثل ما سبقه وهكذا عاش.

أما أخته الصغرى «عنود» فكانت ذات حظ أوفر من الذكاء والجمال والطموح, لكن النعم قد تنقلب لعنات تنصب على مالكها فتهلكه. كانت تعمل كمنقذه على حمام السباحة النسائي في إحدى نوادي القاهرة في حي الأعضاء وأحياناً كان يأتيها بعض رواد النادي لتعلم أبنائهم السباحة مقابل مبلغاً من المال فكان رزقها أوفر من أخيها بكثير لكنها كانت ساخطة على حظها وحياتها, عندما تنظر في المرآة تري جمالاً لا يليق بهذا الفقر ولا الفقر يليق به, كانت تكره تلك الشقة الصغيرة التي تشعر بأنها قبر كبير. كانت تكره شعور الحاجة فالحاجة ليست أن تريد شيئاً ولا تستطيع الحصول عليه بل أن تتوقف حياتك أو صحتك أو مستقبلك على شيء ولا تستطيع تحمل تكلفته. تذكرت حين أصيبت أمها بجلطة في المخ وظلت هي وأخاها يحاولان اقتراض المال ليدفعا تكلفة العلاج الباهظة في المستشفي, شعور الذل الذي كانت تشعر به والقهر الذي كان يدفع دموعها كلما تذكرت ذلك الموقف. كانت تظن أن المخرج الوحيد من هذه الحياة هو الزواج وكانت صديقتها الوحيدة ميادة متزوجة فكانت دائماً تضحك منها حينما تخبرها بأنها تريد أن تتزوج لتخرج من الغم الذي تعيش فيه.

كانت عنود فتاة ذكية وبالرغم من أنها لم تكل عامها الثاني والعشرين إلا أنها كانت تملك دهاء امرأة في الأربعين من عمرها وساعدها على ذلك جمالها الأخاذ: كانت عنود شقراء الشعر بياضها كبياض الحور العين عيونها الخضراء كأنها حبات زمرد وطول قامتها وجسدها الو افر المفاتن مع رشاقتها

كسباحة جعلت لها جاذبية لا يستطيع رجل سليم العقل مقاومتها وكانت عنود تعي ذلك وتطوعه لصالحها دوماً فكل ما تحصل عليه عنود في حياتها يعود الفضل فيه لجمالها حقيقة فالجميع يريد أن يقترب منها أما هي فلا تريد أن تقترب من أحد إلا عندما يكون شخصاُ غنياً صالحاً للزواج, لكن من أحبتهم عنود أرادوا منها شيئاً آخر غير الزواج ولذا لم تكتمل أي علاقة ولم تتعدي فترة أي ارتباط مدة الأربعة أشهر فكانت عنود تدرك سريعاً نوايا البشر. كان كل أصدقائها تقريباً من الرجال هم كانوا يسمونها صداقة أما هي فكانت تسميهم معارف وعلاقات تساعدها وقت الحاجة. صديقتها الوحيدة الحقيقية كانت ميادة التي كانت متوسطة الجمال ولكنها كانت ممشوقة القوام بارزة الصدر باختصار كأن جسدها نحته فنان إيطالي في عصر التنوير. كانت متزوجة من محاسب في شركة مقاولات منذ خمسة أعوام لكن راتبهما لم يمكنهما من تحمل أعباء الحياة خاصة بعد إنجابهما «لؤلؤة» مرت سنة تلو أخرى وحدثت مشكلة تلو الأخرى حتى أصبحت حياتها سلسلة من المشاكل يغلفها الفشل الدائم في الوصول إلي نقطة اتفاق حتى وقع الطلاق.

ظلت أكثر من شهرين تعيسة, تذهب إلي عملها ثم تعود لتحبس نفسها في غرفتها في بيت أمها وحتى ابنتها لم تكن تجلس معها فهي الآن في كارثة محققة: ستدخل لؤلؤة المدرسة العام القادم وهي لا تدري كيف ستوفر المال الكافي لمصاريف الدراسة. أصبحت تتناول المهدئات وساءت حالتها كثيراً إلي أن قابلت من سيحل مشكلتها.

★★★

# «الفصل التاسع عشر»

أشرقت الشمس وبدا الكون الفسيح في عينا رشد كما لو كان قبراً. رشد الذي لم يؤذي أحداً في حياته إذا استثنينا نفسه استيقظ ذات يوم ليجد العالم الذي يعيش فيه قد تغير, ليجلس في صمت تحت رحمة عقارب الساعة بلا نوم فقط ليحصل على إجابة سؤال واحد: «من هو الآن؟ إلي أي مسخ من المسوخ تحوله الأيام بمطارقها التي تدعي أحداثاً ووقائع؟!» أحياناً الوقت يلدغ حين يمر ببطء قد تشعر أنه مقصود ومجحف ومؤلم. جلس رشد في شرفة غرفته التي تطل على شارع ضيق منذ أن عاد البارحة. امتلأت الأرض بأعقاب السجائر وامتلأت عيناه بالدموع وروحه بنيران الخوف وامتلأت نفوس المارين بعدم الاكتراث وأخيراً دق هاتفه. رد رشد بسرعة كالمجنون قد عادت الحياة لصوته بعدما ظن أن مكالمة جاكلين تحمل له بعض الأمل:

- صباح الخير

- صباح النور. بقلك يا رشد أنت متأكد من الحوار اللي أنت حكيتهولي أمبارح ده؟ عن حكا والحلم؟

رد رشد بتأفف:

- آه يا جاكلين!

- طيب معلش سؤال مهم: قبل اللي حصلك ده كنت بتقرأ عن هكا مثلاً؟

- ولا كنت اعرف حاجة عنها. معرفتش غير بعد الحلم زي ما قلتلك.

- أوك. خلاص قابلني عند قصر البارون على الساعة تمانية كدة.

- يعني كمان ساعة؟

- اه ومتتأخرش!

- أحنا هندخل القصر؟
- لا يا رشد.
- طيب هو مختار قالك إيه؟
- هفهمك لما تيجي, بس متتأخرش عشان أحنا رايحين لرئيس الطايفة
- حاضر أنا....
- بطل رغي وقوم البس وخد تاكسي وتعالي بسرعة.
- أنا مقلعتش عشان ألبس.
- رشد. حاول متخلنيش استناك عشان خاطري.
- متخافيش هوصل قبل الميعاد كمان.
- أوك باي!
- سلام!

وضع رشد هاتفه في جيبه مسرعاً وأخذ ما تبقي من سجائره ثم أنطلق. لم يذق رشد طعم النوم منذ وقت طويل لذا مر رشد في طريقه على سيد البراوي صاحب القهوة التي يعلوها بيته. كان سيد البراوري تاجر مخدرات كنشاط جانبي غير معلن, يمتلك قهوة وفرن عيش بلدي. رجل صعيدي من أسيوط من عائلة البراوري وهي من العائلات الكبيرة في الكفر لكنها لم تكن تجرؤ على تكوين مافيا خوفاً من بطش القبائل. أشتري رشد بخاخ «أفيوكين» وأستعار من سيد دراجته النارية لأنه يعرف أن في هذا الوقت تكون الشوارع مزدحمة فالجميع يهرول في الطرقات كالعبيد الهاربين من جلادهم. أمتطي رشد الدراجة النارية بعدما استنشق «الأفيوكين» ليستفيق جسده من الخمول ثم أدار محركها وعاد ذاك الصوت من جديد. قال حكا بصوت ثابت وغضب يسري من حكا إلي عروق رشد:

- دي اخر مرة هدخل جسمك من غير إذنك. استمتع بالعرض اللي جاي!

توقف رشد في وسط الحارة ليكلم نفسه بصوت يكاد يسمعه المارة:

- أنتا عايز مني إيه؟!

جاءه الصوت من داخله ليزداد رعبه:

- وقت الأسئلة لسه مجاش!

سيطر حكا سيطرة كاملة على جسد رشد فوجد رشد نفسه ينطلق بالدراجة النارية كالمجنون في وسط الزحام بدون توقف. شعر رشد بمتعة طاغية وفي قرارة نفسه قرر الاستسلام لحكا وبطريقة ما شعر مع استسلامه بقوة تفوق أي تصور وكأنه وحكا أصبحا شيء واحد فغرس في روح رشد اعتقاد بأنه فوق البشر و أنه لا يقهر. بالنسبة للبشر يسمي هذا الاعتقاد جنون العظمة أما بالنسبة لرشد فكانت حقيقة لقد أصبح مثل الهجين نصف بشري والنصف الآخر إله من آلهة الفراعنة! وصل رشد إلي قصر البارون قبل الميعاد, أوقف دراجته وأستند عليها ثم أشعل سيجارة وأخذ يدخنها. في الساعة الثامنة إلا ربع أخرج رشد هاتفه ووضعه على الدراجة ثم أنحني ناظراً للهاتف وأشار إليه بإصبعه وهو يبدو عليه أن الأمر يعجبه. مع إشارة إصبع رشد رن الهاتف فأبتسم رشد بثقة. لقد كان رشد يختبر قدراته يتأكد إن كان يستطيع أن يثق في هذه الأمور التي يعرفها دون أن ينبغي له. رد رشد على جاكلين بهدوء:

- ألو. أنتي فين؟

- أنا عند القصر من ناحية العروبة كده. أنت اللي فين؟

- أنا عند العمارة.

- عمارة إيه؟

- اللي ساكن فيها الماجا رؤوف اللي أحنا جاينله. مالك في إيه؟

صمتت جاكلين طويلاً. كان رشد يشعر بأنفاسها تتزايد. يعلم أنها ليست خائفة هي فقط متوترة وتشعر بالقلق من تصرفاتها. أجبرت جاكلين نفسها على الكلام وقالت:

- أنت في ضهر القصر يعني يا رشد؟
- أيوة يا جاكي. إيه اللي موترك متقلقيش من حاجة تعالي بسرعة بس.
- حاضر. أنا أتحركت أهو وجايه عليك. باي.

أنتظر رشد قليلاً ثم وجد جاكلين تنزل من سيارتها المازدا الصفراء القديمة بجمالها المشاكس ونظرة عيناها الفضولية و ابتسامتها التي تقطر إغواءً وبراءة في ذات الوقت. كان رشد يشعر وكأنه يذوب فيها وكأن النظر إليها يعطيه نشوة غريبة لم يشعر بها من قبل. اقتربت جاكلين وقبلت رشد الذي ظل ثابتاً كما لو كان صنماً على خده ثم قالت له وكأنها تتناسى ما قاله رشد منذ قليل وكيف أنه يعلم أشياءً ليس له أن يعلمها:

- يا رشد أنا حاسة أني بثق فيك وكأني عارفاك من زمان بس لازم أقلك أن الماجا رؤوف اللي أنت قلت عليه ده قوي جداً ومينفعش نطلع فوق نعمل حاجة تضايقه.
- لا طبعاً أنتي شايفه إني ممكن أحرجك أو اسبب لك مشكلة؟
- أنا مش قصدي بس أنا قلقانه ومش عارفه حاسه أني مش....

اقترب رشد منها ووضع يده على فمها ثم أمسك كتفاها بيداه بشيء من الحنان ونظر في عيناها وعيناه تطفحان غروراً وقال لها:

- قلتلك أهدي إنتي مع رشد. عايزك تعرفي انك طول ما انتي مع رشد محدش يقدر يأذيكي.

أومأت جاكلين برأسها في خليط من الخجل وتضارب الأفكار ففي الحقيقة وصلها شعوراً أن رشد قد فقد عقله فقال لها رشد بهدوء:

- يلا نطلع بقى عشان الماجا بيلبس هدومه وعندوا شغل وفي دماغه أن احنا لو موصلناش قبل ما يشرب قهوته هينزل وينفضلنا.
- أنت بتتكلم بجد؟!

رفع رشد كتفاه موحياً بأنه لا يعرف لكن كانت هناك ابتسامه تفترش وجهه وكأنه يقول لها دعينا نري. أمسك رشد يد جاكلين برفق ودلفوا إلي البناية ثم صعدوا. دقت جاكلين جرس الباب ففتحت طفلة في سن المراهقة قد لا يزيد عمرها عن ستة عشرة عاماً ويبدو من لباسها أنها خادمة. رحبت بهم وأدخلتهم إلي تلك الشقة الفخمة أخفي رشد اندهاشه من ذلك الثراء الفاحش وشعوره أنه يستحق مثل هذا الثراء. جلس رشد وجاكلين في الردهة بعدما أخبرتهم الخادمة أن الماجا رؤوف سيكون معهم بعد دقائق. كانت جاكلين تدلك أصابعها بتوتر بالغ فأخرج رشد سيجارة وهو ينظر إليها ثم قال لها:

- تعالي أقعدي جنبي يا جاكي

- ليه؟

- أسمعي الكلام بس من غير ليه. قومي تعالي!

نظرت إليه جاكلين وكأنها تقول في نفسها «ماذا تريد بالضبط يا رشد؟» ثم قامت وجلست بجانبه فوضع يده على ظهرها ليشعرها بالاطمئنان. ثم نظر في عينيها وساد الصمت طويلاً لم يقاطعه إلا دخول رجل في الأربعينيات, طويل لكن ممتلئ الجسد إلي حد ما, يرتدي بذلة رمادية وقميص أسود تحيط به هالة من الوقار الذي أكد عليه شعره الرمادي القصير. كان هذا الرجل بالطبع هو «الماجا رؤوف». قامت جاكلين لتسلم عليه بينما ظل رشد جالساً فنظر إليه رؤوف وكأنه شعر بالإهانة ثم جلس قائلاً:

- أنا للأسف مش عندي وقت كتير فغصب عني مش هقدر أقعد معاكوا أكتر من ربع ساعة.

- أنا مش طالب أكتر من أني أفهم إيه اللي بيحصلي. أنت هتقدر تفهمني؟!

ألقي رشد هذا السؤال متحدياً الماجا فنظرت جاكلين لرشد مذعورة فوضع

رشد يده اليسرى على ركبتها مطمئناً لها دون أن يبعد نظره عن رؤوف الذي يجلس أمامه للحظه فقال رؤوف بثقه:

- بص يا ابني انا حاسس بقوة موجودة جواك من مكاني هنا بس معتقدش إنها قوة حكا.

- ليه؟!

- أولاً أنا مسمعتش عن حكا غير في الأساطير الفرعونية يعني مقدرش أقول إنها موجودة فعلاً في الزمن اللي أحنا فيه, ثانياً التفسير المنطقي اللي أنا بميل له أن يكون قوة مستحوذة عليك ويقلك أنا حكا أو أنا آمون عادي بيخوفك منوا عشان يسيطر عليك

- يعني مستحيل يكون الكلام ده حقيقي؟

- اه لأن حكا نظرياً مرتبطة بآمون. إحنا معندناش معلومات عنها لكن احنا نعرف أن المصريين امنوا بيها قبل حتي ما يعرفوا أي الهه تانيين يعني دي فوق طبقة الملوك والحكام يعني مستحيل تكون طبقة رفيعة من الآلهة مهتمة بيك فما بالك بحكا اللي هيا فوق كل الطبقات. أنا آسف يعني!

قام رشد من مكانه بهدوء فأمسكت جاكلين يده وكأنها تتوسل إليه أن يعود إلي مكانه فأفلت يده و اتجه ناحية رؤوف ثم جلس بجانبه ورؤوف ينظر إليه بغيظ فقد كان يري أن ما يقوم به رشد تقليلاً من شأنه.

نظر رشد لرؤوف نظرة حادة وهنا بدأ رؤوف يشعر بقوة رشد الحقيقية. امتلأ رؤوف خوفاً ورشد لا يحب شيئاً أكثر من الخوف. أخذ رشد نفساً عميقاً وكأنه يشتم رائحة الخوف في الهواء وجاكلين تر اقب الموقف واضعة يداها على فمها في خوف و انفلتت الدموع من عيناها حينما قال رشد:

- ريحة خوفك مالية الهواء يا ماجا رؤوف.

نظر رؤوف لرشد مترقباً ما سيفعله فلقد كان هناك جزءً منه يغمره الفضول

ليعرف ما مصدر هذه القوة الهائلة التي شعر بها؟ هل بالفعل كلامه حقيقي أم لا؟ لكن هذا الجزء الفضولي تبعثر عندما قال له رشد:

- نفس ريحة خوف البنت الخدامة اللي أنت بتعذبها وبتغتصبها في بعض الأحيان و أنت سكران!

تفجرت الدهشة من عيون رؤوف فهم بالوقف قائلاً:

- أنا معنديش وقت أكتر من كده أقعدوا معاكوا خصوصاً و أنت بتقل أدبك عليا في بيتي.

هنا تحول رشد تماماً كان يشعر وكأن الغضب الذي يملؤه قد يمزق وجهه ليخرج, تسارعت أنفاسه وتعالت وتغير صوته إلي صوت حكا قائلاً وهو يمسك يد رؤوف:

- أنا قلتلك قوم؟!

كانت قبضة رشد تحطم عظام رسغ رؤوف وكأن رسغه مصنوع من العجين وبالرغم من ذلك خوف رؤوف منعه حتى من الصراخ. جلس رؤوف وهو يبعد عيناه عن رشد وكأنه يعرف أنه ليس له أن ينظر في عيناه فأمسك رشد برأسه بعنف وأدارها ناحيته في صمت نظرت جاكلين في عينا رشد فوجدت بؤبؤ عيناه ذا اللون الأسود يتحول إلي أزرق داكن مثل لون البحر في الظلام الدامس ثم تمدد هذا اللون لتصبح عينا رشد بأكملها مثل لون البحر فقفزت جاكلين من مكانها وظلت تعود للخلف حتى التصق ظهرها بالحائط والرعب يقتلها. تسمر رؤوف في مكانه بلا حركه ثم أفلته رشد فسقط على الأرض مغشياً عليه ظل رشد لدقيقة صامتاً بعدما عادت عيناه لطبيعتها ثم أشعل سيجارة وهو يبدو كما لو كان في قمة سعادته وزهوه وأشار لجاكلين أن تعود لتجلس في مكانها. ترددت جاكلين للحظة لكن في نفسها قالت «أن الصواب ألا أغضب هذا الرجل.» فعادت إلي مكانها في هدوء مصنوع من الخوف وصمتت وظل رشد يدخن سيجارته في نشوة وبعد أن أنهي سيجارته قال لها:

- لما الكلب ده يفوق قوليلوا إله السحر حرم عليك السحر فأرضه. أنا شفت فيه جبروت وشر مستخبي ورا البدلة والابتسامة مشفتش زيهم قبل كده. البت الخدامة دي قوليلوا أن أنا قلت يمشيها ويديلها نص فلوسوا ولو معملش كده هدمرلوا حياتوا وهي هتاخد كل فلوسوا مش نصها بس!

صمت رشد لثانية ثم نظر في عينا جاكلين قائلاً لها بنبرة مختلفة يملؤها الحنان:

- و أنتي يا جاكلين اسألي روماني على بيتي وتعالي في أي وقت. أنا هديكي فرصة تختاري بيني أنا وبين العالم كله عشان أنا عايزك ليا لكن خدي بالك العالم بعد شوية مش هيفضل على نفس الحال لأني هزلزل كل الأسس هنضف القذارة اللي انتشرت فكل مكان لحد أما وصلت للنفوس وأي حد هيبقي ضدي أنا هدمروا.

قام رشد من مكانه و اتجه ناحية الباب في خطوات ثقيلة. نظر إلي الخادمة تقف من بعيد تشاهد ما يجري وكأنها قد سرت لما حدث لرؤوف فقال لها رشد:

- متخافيش يا إلهام لما الكلب ده يفوق هيمشيكي وهيديلك فلوس تكفيكي تعيشي حياة كريمة.

فتح رشد الباب ونظر لجاكلين التي تجلس مثل المومياء لا تتحرك ولا تتكلم قد أغلقت الصدمة عقلها وكبلت روحها فقال لها:

- لو في حد في الدنيا يقدر ميخافش مني هيبقي أنتي وأمي وأصحابي وأي حد نضيف. و أنتي أولهم يا جاكي. اختاري صح!

خرج رشد من الباب و أنطلق وهو لا ينوي العودة إلي بيته فهو الآن يدرك أنه لا يوجد من يستطيع أن يساعده لأنه أقوي من الجميع.

★★★

# «الفصل العشرون»

جلس فاروق أمام خمارته المنتظرة يفكر في مشروعه كيف سيكون وفي ذلك الاجتماع الذي يجب أن يقوم به مع عاصي العمراني كبير العمارنه. كان فاروق يريد أن يجعله أكبر بارات عين شمس ليكون وجهة لكل كبار المقاطعة فقد كان فاروق طامحاً في توحيد المقاطعة تحت قيادته. تخيل باراً جامحاً تكون النادلات من الإناث يلبسن البيكيني أو أي زي فاضح وهذا جزء من ما يسمي «عدة الشغل» نعم هؤلاء النساء في إطار العمل يسمون «عدة شغل» وفاروق جلس يفكر من أين سيستطيع أن يأتي بنساء مثل هؤلاء أثناء تفكيره رأي فتاة ممشوقة القوام بارزة الصدر تلبس ملابس مثيرة لكن رخيصة تدل على فقرها. نزلت من التاكسي وبدأت تصيح في وجه السائق «خمسين جنية ليه يا عم أنت جايبني من شبرا!!» ظل فاروق يتابع باهتمام وقدمه تمشي باتجاه الفتاة ببطء إلي أن سبت الفتاة سائق التاكسي ليخرج السائق مسرعاً من سيارته متجهاً نحوها بشكل يوحي أنه سيضربها فصرخت الفتاة وهنا جري فاروق وأخرج طبنجته وضرب سائق التاكسي ضربة قوية بيد السلاح ثم أطلق طلقة في الهواء فركع السائق على ركبتيه في خوف والدماء تسيل من رأسه لتلون شعره الأبيض. نظر فاروق إلي الفتاة قائلاً لها «أنتي كويسة يا أختي؟!» فأومأت برأسها الذي كاد يطير خوفاً وإعجاباً في خليط غريب من المشاعر تجاه فاروق, فنظر فاروق إلي السائق والغضب يملأه قائلاً:

- أنت أخدت منها فلوس؟

فقال السائق في خوف وتذلل:

- لسه مخدتش حسابي يا باشا والله!

ثم قال مسرعاً كأنه أراد أن ينقذ رزقه الذي أوشك أن يضيع:

- أنا راضي يا إبني بأي حاجه هتديهالي.

فنظر فاروق للرجل المسن الراكع أمامه ثم لطمه على وجهه ثم قال له بلهجة يملؤها التهديد:

- لو شفتك في عين شمس تاني هكسرلك عربيتك وهحبسك, خد عربيتك وإمشي ملكش فلوس.

قام السائق العجوزوهو يتمتم «حسبي الله ونعم الوكيل, مليش غيرك يا رب.» ظل يرددها بصوت منخفض ثم ركب سيارته و انطلق مسرعاً كمن يهرب من ذل إلي ذل غيره. نظر فاروق إلي الفتاة التي استندت إلي إحدى السيارات الواقفة تتابع المشهد وقال لها بخبث:

- أنتي حظك حلو إني كنت موجود.

فقالت الفتاة:

- الحمد لله كان زمانه ضربني ولا قل أدبه عليا, راجل كبير بس واطي.

ابتسم فاروق قائلاً وهو يمد يده ناحيتها:

- آسف أنا نسيت أعرفك بنفسي. أنا فاروق علام.

ارتعشت الفتاة من الخوف فلقد كان اسم فاروق علام معروف لكل من يقطن عين شمس وحتى في المناطق المجاورة نسجت حوله هالة من الأساطير المخيفة فقد كان معروفاً بتجبره وسطوته التي لا يضاهيها في كل عين شمس أحد حتى كبار العائلات كانوا يخافونه فهو بالرغم من قوته إلا أنه كان محبوباً فلقد كان كريماً مع الجميع فكان كل بلطجية عين شمس يتمنون خدمته لكرمه الفاحش فمن يقترب من فاروق علام إما أن يحترق أو يطاله بعض الثراء والحصانة. عندما سمعت الفتاة اسمه سال لعابها ولم تري إلا الثراء والحصانة. اقتربت منه قائلة:

- و أنا اسمي ميادة حضرتك!

انفجر فاروق ضاحكاً والسكر يبدو على ضحكه قائلاً:

- حضرتك دي أنا مسمعتهاش من أيام أبويا الله يرحمه.

فردت ميادة وكأنها مهتمة:

-الله يرحمه!

فقال لها فاروق:

- أنتي شغالة إيه يا ميادة؟

- موظفة استقبال في مستشفي.

سألها فاروق متصنعاً الاهتمام:

- بيدوكي مرتب حلو؟

فخرج الألم الذي كان مختبئاً في أعماقها واحتل وجهها وقالت بحزن مقصود:

- الحمد لله!

رد عليها فاروق بلهجة حانية وكأنه تألم لألمها:

- شكلك تعبانة أوي في حياتك.

فردت قائلة وقد أثارت كلمات رشد حزن حقيقي بداخلها:

- الحمد لله والله عايشين وراضيين يا أستاذ فاروق.

إقترب منها ثم أسند ظهره إلي السيارة التي تستند عليها ميادة حتى لامس كتفه كتفها ثم تنهد وأشعل سيجارة وقال:

- أولاً بلاش أستاذ دي عشان أنا مش عندي خمسين سنة. ولا أنتي شايفه حاجة غير كدة؟!

فأومأت ميادة برأسها بخجل قائلةً:

- والله مقصدش كدة بس إنت يعني ليك هيبتك معرفش ليه مش عارفه أناديك باسمك.

فقال لها فاروق مشيراً بإصبعه إلي الخمارة في الجهة المقابلة من الشارع:

- شايفة المحل اللي بيتوضب هناك ده؟

- أه شايفاه مش ده اللي كان قهوة؟

- اه دلوقتي أنا هفتحوا بار وعايز الويتريه والكباتن كلهم يبقوا بنات. إيه رأيك؟!

فردت ميادة بتعجب:

- إيه رأيي فأيه بالظبط؟!

فقال لها فاروق بثقة:

- تشتغلي معايا؟!

سكتت ميادة كأنها تفكر في طريقة لائقة لرفض عرض فاروق الذي لم يعتد أن ترفض عروضه فقال:

- «إيه رأيك فمرتب ثمانية الاف جنية كبداية؟ كويس؟

اتسعت عينا ميادة من الدهشة ثم تمالكت نفسها واعتدلت لتواجهه قائلة:

- أنت بتهزرولا بتتكلم بجد؟!

فقال لها فاروق:

- فاروق علام مبيهزرش في الشغل.

قالت ميادة بتردد نتج عن رغباتها المتناقضة فهي كانت تشعر برغبة ملحة بالهرب وأخرى بقبول عرض رشد السخي:

- طيب بردوا أنا مش فاهمة أنا هشتغل إيه؟

- إنتي لو تعرفي تجيبيلي بنات يشتغلوا ويترية وكباتن هتبقي إنتي مديرة قسم الخدمة ومسؤلة عنهم بس إنتي عندك علاقات؟ تعرفي تجيبي مثلاً خمسة وعشرين بنت يشتغلوا هنا؟

صمتت ميادة دقيقة لتفكر ثم قالت:

- أنا أعرف أجيب أكتر من كدة بس أنا من عيله عمرنا ما كنا بنشتغل في المجالات دي أنا اسفه بس أنا قصدي يعني شكلي قدام أهلي هيبقى أيه؟

فقال لها فاروق والمكر يبتسم في عينيه:

- و إنتي شكلك دلوقتي إيه؟ بقلك إيه إنتي متجوزة؟

- مطلقة!

- عندك أولاد؟

- آه عندي لؤلؤة عندها خمس سنين.

- بتحبيها؟!

فنظرت إليه بتعجب:

- آه مش بنتي أكيد بحبها أكتر من نفسي كمان.

فقال لها فاروق والتعالي يملأ صوته:

- إنتي كنتي بتاخدي كام في شغلك؟!

فضحكت ميادة من غروره قائلة:

- بتاخدي! كنتي بتاخدي ألفين جنية.

فقال فاروق بعدما مهد الطريق لفخه:

- لو فعلاً بتحبي بنتك كنتي هتشتغلي أي شغل عشان تعيشها حلو, تأكلها أكل نضيف, تلبسها لبس نضيف مش من الوكالة, تودها نادي, تجيبلها عربية بسواق يودها المدرسة ويجيبها من المدرسة, تعيشها العيشة اللي إنتي إتحرمتي منها و إنتي فسنها. إيه كتير عليها؟

ضحكت ميادة وقد سافر خيالها بعيداً وكأن كل مشكلاتها قد حلت لثوانٍ ثم عادت مرة أخري لتصطدم بالواقع ثم قالت لفاروق: - يعني أنا عشان أعيشها حلو أبقي شمال؟!

فصاح فاروق بغضب:

- بقولك هتمسكي قسم الخدمة مش هشغلك فبيت دعارة إنتي شايفاني يا بت إنتي مركب قرون ولا إيه عمرك سمعتي أن فاروق علام فاتح بيت دعارة أو في بيت دعارة تحت حمايتوا؟

ردت ميادة بخوف من تلك الحدة التي بدت في صوت فاروق:

- لأ مسمعتش!

أستكمل فاروق حديثه قائلاً:

-الزبون هيدخل المكان ده يشرب مشروب ويسمع أغاني ويتكل على الله وغير كده هيضرب بالنار.

دفع ميادة خوفها من ثورة فاروق أن قالت:

- أنا مقصدش كدة والله.

فقال فاروق بحدة:

- أمال تقصدي إيه؟!

فردت ويداها ترتجفان:

- أنت عارف الناس مبتسكتش و أنا ست مطلقة و...

قاطعها فاروق بغضب:

- هولسه في حد بيفكر كده؟! يلعن أبو أم الناس يا غبية! عملولك إيه الناس و إنتي بتتهدلي طول الشهر عشان تاخدي ألفين جنية وتلاقيكي بتصرفي نصهم مواصلات. الناس لما تلاقيكي و اقفة جنب فاروق علام هيخافوا يقولوا إسمك.

حاولت ميادة أن تخفف من حدة الموقف فقالت له:

- بس وسعت منك نادي وعربية بسواق وكل الحاجات دي ب ثمانية الاف جنية مرتب إزاي يعني؟!

فقال لها فاروق مختالاً:

- إنتي فاكرة إني لو عايز أجيب ميت بت الصبح مش هعرف؟

فقالت له ميادة:

- معرفش والله!

- عادي هجيبهم دلوقتي بتليفون بس أنا عايز بنات محترمة عايزين ياكلوا عيش وبس, لو جبتي بنات زي اللي فدماغي مش هديكي تمانية هديكي خمستاشر في الشهر بس إنتي إشتغلي.

صعقت ميادة من الرقم وقالت له:

- يعني اللي أكلمهم أقلهم هما هياخدوا كام؟

- هياخدوا سبعة الاف والتبس فري.

- يعني إيه التبس فري؟

- يعني الإكرامية اللي الزبون هيديهالها بتاعتها هيا.

- أبدأ أكلم بنات يعني؟!

- ياربت!

- طيب أنا هكلم اللي أعرفهم كلهم وأجيبهملك بكرة تشوفهم وتشوف تشغل مين وكدة.

- خلاص بكرة على الساعة ستة المغرب كدة كلميني و أنا هقلك تجيبهم وتيجي إمتي.

- تمام!

تركها فاروق بعد أن أعطاها رقمه وصافح يدها عائداً إلي خمارته.

***

وقفت ميادة لثواني لا تصدق ما حدث معها للتو. فلقد كانت تتكلم مع فاروق علام الذي تتمني كل نساء عين شمس أن ينظر إليهم فقط. تحركت وهي تفكر فيما حدث. ظلت هائمة على وجهها حتى وجدت نفسها أمام بيت عنود فصعدت ثم طرقت الباب ففتحت أم راضي قائلة والابتسامة تملأ وجهها:

- أتفضلي يا ميادة يا حبيبتي, عاملة إيه وأمك عاملة إيه؟

فردت ميادة وهي شاردة الذهن:

- الحمد لله يا ست الكل, حضرتك عاملة إيه؟

دخلت ميادة فقالت أم راضي وهي تترك عنود لتجري ناحية الموقد الذي وضع في أقصي يمين الردهة:

- أنا بخير يا بنتي. عنود فأوضيتها خشيلها مفيش حد.

دخلت ميادة إلي عنود لتجدها قد جلست بجانب النافذة تدخن سيجارة, أفزعها صوت الباب لتسقط سيجارتها ثم ضحكت حين أدركت أنها ميادة, سلمت على صديقتها ثم دخلت لتصنع لهما كوبا شاي وحينما عادت وجدت ميادة كما تركتها شاردة الذهن فوضعت كوب الشاي أمامها ثم قالت لها:

- متنحة كدة ليه يا بت من ساعة ما جيتي, إنتي واخده كام حباية من المهديء اللي بتاخديه ده؟

فردت عليها ميادة وهي مازالت شاردة الذهن:

- مهديء إيه ونيلة إيه, أنا حصلي حوار دلوقتي ومش عارفة اللي أنا عملته صح ولا لأ ومش عارفة لو مش صح أعمل إيه! اعتدلت عنود والفضول يملأ عينيها ثم أخذت رشفة من الشاي قائلة:

- إيه إحكيلي و أنا أقلك.

فحكت لها ميادة ما حدث بالتفصيل متوقعة منها أن تهاجمها على ما فعلت لكنها تفاجأت بها وهي تقول:

- طيب و أنتي متأكدة إن ده فاروق علام أصلاً؟!

فقالت لها ميادة في دهشة:

- ده اللي شدك في اللي أنا حكيتوا كلوا ده أنا قل أنتي هتهدليني وتقوليلي بنتك والعيلة والكلام ده.

فردت عنود قائلة وهو تبتسم:

- أنتي بت هبله لو ده فعلاً فاروق علام تبقي الدنيا ضحكتلنا يا بت وبعدين أنتي مش هتعرفي تغيري كلامك معاه.

فقالت ميادة بتعجب:

- ليه؟! ما أنا ممكن أقلوا ملقتش بنات يشتغلوا, محدش رضي في ألف حاجة.

- طيب و أنتي متأكدة إن هو فاروق علام؟

فقالت ميادة بنفاذ صبر:

- بقلك ضرب نار فوسط الشارع وبهدل السواق محدش فكر يحوش أو يقله كفاية ده راجل قد أبوك ومحدش بصلي لحد أما بعدت عن الشارع كل أما أعدي من جنب حد ألاقيه يبص في الأرض باين إفتكروني قريبته ولا حاجة.

- مدام متأكدة يبقي كلمي كل صحابك وبكرة نكلمه ونروحله. دي فرصة يا بت والله ما هتيجي تاني, عشان خاطر لؤلؤة.

فردت عليها ميادة وهي تحارب نفسها:

- أيوة يا عنود بس دي خمارة مش مصنع سبح وحياة أمك.

ردت عنود بعصبية:

- وحياة أمي مصنع السبح الشغل فيه حرام لو مش هيديلي حقي والراجل بيقول هيدينا مرتب حلو ومحدش هيبصلنا إنتي عاجبك الفقر اللي مبهدل اللي جابونا ده. بصي عامة براحتك إنتي فإيدك تغيري حياتك وحياة ناس تانية بتصحي كل يوم مش عارفة هتجيب منين مصاريف عيالها. أهدي كدة وبكرة تخلصي شغل وعدي عليا نكلمه ونروحله.

تنهدت ميادة بألم ثم قالت:

- ماشي يا شيطان, معاكي رصيد أكلم البنات؟

فناولتها عنود هاتفها وظلا معاً حتى جن الليل ثم عادت ميادة إلي بيتها وأخذت ترددها وخوفها معها وتركت عنود لأحلامها وطمعها.

★★★

# «الفصل الحادي والعشرون»

ما أبشع الغياب, فعندما يغيب عزيز علينا يكون الأمر أصعب من موته فعلي الأقل في حالة الموت نحن نعرف أما الغياب يتركنا جهلاء. مر يومان قتلت فيهما «الست أميرة» و«الحاج منصور» بحثاً عن رشد. أصبح فؤادها فارغاً إلا من الألم فبعض الأشخاص يمثلون لنا معني الكون كله وبغيابهم يتلاشي المعني من كل شيء وهكذا كان رشد لأمه فهي أفنت حياتها في تربيته وعند غياب رشد لم يصبح لحياتها أي معني. انتهي «الحاج منصور» إلي النتيجة الوحيدة المنطقية لبحثه بأن رشد قد قتل وخاصة بعدما علم من المدرسة أنه قد تشاجر مع عدي وقامت المدرسة بالتخلي عن خدماته. لكن «الست أميرة» لم ترضى بهذا كان قلبها يشعر أنه ما زال حياً. ظلت «الست أميرة» على ذات الحال لمدة شهران: تعود من عملها لتجلس في شرفة رشد وهي تنظر إلي الشارع وكأنها تلومه على فقدان ابنها أو ويكأنها أرادت أن تري الشارع من نفس المكان الذي رآه رشد منه. لم تزل هكذا حتى جاء يوم لم تذهب فيه إلي العمل. تلقي «الحاج منصور» اتصالاً من أحد جيران «الست أميرة» ليخبره بأنها تجلس في الشرفة بدون حراك منذ الأمس. هرع «الحاج منصور» إلي منزلها ليجدها مستلقية على الكرسي وقد رسمت دموعها خطان أسودان على وجهها المتيبس الذي قد شبعت قسماته موتاً. قال الأطباء أن سبب الوفاة سكتة دماغية. شيعت لها جنازة مهيبة فما أكثر محبين الست أميرة التي كانت تخدم الجميع, ذهب الجميع إلي جنازتها حتى أصدقاء «رشد» كانوا هناك يشاهدون خاتمة تلك السيدة التي أنجبت رشداً, ذلك المعلم الذي اقترب من أن يحقق النبوءة القديمة. وقف الجميع حول تلك الحفرة التي

صنعت من أجل السيدة المتوفاة بعناية في رمال صحراء مصر الشرقية فلقد منعت الدولة بناء المقابر في وادي النيل لزيادة عدد الوفيات بسبب انتشار الجرائم وتعارض ذلك مع ما رأته الدولة من أهمية الأراضي في وادي النيل من الناحية الاقتصادية لتحمل الصحراء الشرقية بطول الوادي أسراراً وأحزاناً وعويلاً في بطنها يكفي لكي يفضح زيف هذا العالم. بدأ الرجال في إنزال الجثة بحذر إلي قبرها فتلاعب المشهد بمشاعر الجميع ليفيض الألم دموعاً من مخادعها. بكت «جاكلين» وهي تنظر إلي «الست أميرة» بدهشة وكأنها لم تتحمل حقيقة أن هذا هو المصير والنهاية للجميع فقد كانت المرة الأولي التي تري فيها مراسم دفن. ابتعدت «جاكلين» عن الناس بمسافة كافية حتي لا تري ما يحدث وأشعلت سيجارة ثم جلست على قالب كبير من الحجر يتعدي طوله النصف متر لتنظر إلي الأرض وكأنها تعاتبها على سرقة أحبائنا وحياتنا وأحلامنا. رفعت جاكلين عيناها ناظرة إلي الأفق لتجد رجلاً يقف على ربوة بعيدة يراقب مشهد الدفن. دققت جاكلين النظر لتنتفض واقفة فبالرغم من بعد المسافة إلا أنها لم تكن لتخطيء رشد أبداً, لقد كان رشد يراقب رحيل أمه من بعيد. كان عاري الصدر حليق الرأس يرتدي بنطالاً قماشياً فضفاضاً أبيض اللون. استمر الأمر لثوانٍ, ثم تحرك رشد بهدوء لينزل من على الربوة ويمتطي صهوة جواد أسود اللون ويغوص بين الجبال. عادت جاكلين إلي بيتها محطمة مشوشة الفكر, فتحت باب الشقة لتتجه مباشرة إلي المطبخ لتخرج بزجاجة ويسكي ممتلئة على آخرها وكوب صغير. ظلت جاكلين تشرب كأس تلو كأس وتبكي لم تتوقف دموعها لحظة. كيف يمكن لرشد أن يكون سبباً في وفاة أمه ولا يمتلك القليل من الاحترام لكي يحملها إلي قبرها؟ كيف يراقب من بعيد ولا تتحرك مشاعره ليجري على أمه لكي يقبلها قبلة أخيرة قبل أن يواريها التراب؟ والأهم بالنسبة لها كيف

يستطيع أن يغيب كل تلك الفترة خاصة بعد ما حدث مع رؤوف بدون أن يتواصل معها؟ كيف يترك القلق ينهش دقائق عمرها هكذا بدون اكتراث؟ ظلت تبكي عل البكاء يخرج الألم لكن البكاء لم يكن ليجيب عن أسئلتها. قتلت الخمر قدرة جاكلين على جلد ذاتها واجبرتها على النوم في مكانها.

***

وقفت جاكلين في وسط الصحراء لتري ناراً من بعيد. جرت جاكلين نحو النيران لتجد مشاعل وقد رسمت طريقاً يقود إلي كهف عند سفح جبل كبير. وبعكس المنطق الطبيعي شعرت جاكلين براحة وطمأنينة لم تشعر بها في حياتها قط لأنها كانت تعرف أن رشد في هذا الكهف. هرولت جاكلين لتصل عند مدخل الكهف لتجد ضبعان توقفت لرؤيتهما الدماء في عروقها إلا أن الضبعان طأطئا رأسهما عند رؤيتها و ابتعدا عن الكف ليقفا على جانبيه وكأنه سماح للعبور. دخلت جاكلين لتجد الكهف وقد أضاءته نيران كبيرة في وسط الكهف الذي غطت جدرانه مئات الرؤوس التي كانت في الحقيقة رؤوس ضباع. ألقت جاكلين ببصرها وراء النيران لتجد رشد يجلس مبتسماً, عار تماماً, حليق الرأس والجسد, تبدو عيناه بالرغم من ابتسامته وكأنها قد نزعت منها الحياة. من وراء رشد كانت هناك حفرة ضخمة تملأ نصف الكهف خيل إليها أن بها بضع درجات لسلم يقود لأعمق مما تري عينها وضع على جانبها صندوق ذهبي ذا زخارف فرعونية باهرة الجمال وفوقه الكثير من الكتب ذوات الورق الذي أبلاه الزمان حتى اسودت أوراقه. وقف رشد واستدار ليضع صولجاناً ذهبياً على حجر كبير وراءه. نظرت جاكلين لتجد أشياءً تبدو وكأنها من عالم آخر, أشياءً تشبه تلك الاثار الموجودة بالمتحف العتيق في حي الأعضاء بالقاهرة. نظرت جاكلين إلي رشد لتجد وشماً قد احتل ظهره وبالرغم من الحرفية في رسمته إلا أنه لم يكن أقل غرابة. كان الوشم

عبارة عن يدان متصلتان ببعضهما وكأنه إناء مرفوعتان إلي أعلي وكأنها تصلي وبينهما رسمت ضفيرة. التفت رشد بهدوء وتوجه ناحية جاكلين ليقف أمامها وعيناه تمتلئ حباً وكأن الحياة قد عادت إليه برؤيتها. داعب رشد شعر جاكلين الأسود ليمسك برأسها بحنان ثم احتضن شفتيها بشفتيه فشعرت جاكلين وكأن رشد قد امتص الروح منها ليعيدها إليها من جديد وهو جزء منها. نظر رشد إلي جاكلين التي بدت مستسلمة له بالكامل قائلاً:

- متخافيش عليا ولا تخافي من أي حاجة في الدنيا, الخوف بيشوه الروح و أنا عايزك زي ما انتي. أنا هاجي قريب, قريب أوي.

★★★

# «الفصل الثاني والعشرون»

لم تذهب عنود في اليوم التالي إلي العمل. مر عليها النهار ثقيلاً وازدادت عصبيتها. ظلت تفكر هل بالفعل هذه هي الفرصة التي ستنجيها من الفقر؟ هل الحل أن تخرج من طبقة المواطنين العاديين لتعمل مع المافيا؟ أعلي يد فاروق علام؟ هل هذه هي الفرصة التي كانت تنتظر أن يلقيها القدر أمامها أم أنها فخاً ستهوي فيه لتقع في حفرة تظل سجينةً فيها إلي الأبد؟ هي تعرف أن التعامل مع فاروق سيكون مخيفاً, تتذكر حينما كان يدين أباها بالنقود له, كيف كان متوتراً, خائفاً, كيف كان يفزع إذا دق جرس الباب ظناً منه أنه فاروق أو أحد بلطجيته. نعم في النهاية تنازل له فاروق عن المال ورفض أن يأخذه لكن الآن عليها أن تتعامل مع هذا الرجل المخيف بنفسها.

دق جرس الباب فقامت عنود لتفتح لتجد أنها ميادة فقالت لها وهي تخفي توترها:

- تعالي يا دودة خشي مفيش حد.

سألت ميادة وهي تخلع حذاءها:

- أمال أمك فين؟!

أجابتها عنود وهي تقف على باب غرفتها وكأنها لا تطيق صبراً أن تنهي ميادة ما تفعله:

- نزلت تشتري حاجات من السوق وتعدي على خالتي في المطرية تقعد معاها شوية.

فقالت ميادة بعد أن دخلت إلي غرفة عنود:

- هي خالتك عاملة إيه صحيح؟ أنا مشفتهاش من ساعة ما رحنالها المستشفي.

- كويسة والله. هبقي أسلملك عليها.

قالت لها ميادة بهدوء:

- طيب قومي إلبسي إنتي بسرعة عشان ننزل لفاروق.

فردت عنود مفزوعة:

- أنتي يا زفتة مش قلتي قالك تكلمية عالمغربية؟

فقالت لها ميادة وكأنها لا تفهم سبب كل هذا الفزع:

- ما هو إتصل بيا وقالي نبدر شوية عشان هو عندوا مشوار بليل.

فزاد توتر عنود و اتجهت نحو ملابسها المعلقة وهي تكلم نفسها بضيق شديد:

- ألحق ألبس و أكوي و أنيل. أنا عارفة نفسي بنت كلب نحس. والله أنا عارفة إن الحوار مش هيمشي وهفضل طول عمري زي ما أنا!

ظلت ميادة تنظر باستهجان لعنود صديقتها تحاول أن تخفي خيبة أملها فيها, فهي لا تري أي شيء في الموضوع إلا المال الذي ستحصل عليه. ظلت ميادة صامتة وهي تر اقب عنود وهي تروح وتأتي بعصبية زائدة ثم مر بعض الوقت لا يتعدي الساعة كانت عنود قد تهيأت وتجهزت وتجملت بكل ما تحمل هذه الكلمات من معني فنظرت إليها ميادة وقالت باستهجان:

- كأنه فرحك النهاردة يا بنت الصغير!

فردت عليها عنود وهي تنظر في المرآة لجسدها إقبالاً وإدباراً بإعجاب شديد:

- آه طبعاً مفيش حد بتجيلوا فرصة يشتغل مع المافيا كل يوم لازم أبقي عروسة.

ذهبا إلي البار وأخبرا الرجلين على الباب أن أستاذ فاروق ينتظرهم فأخذا هوياتهم و اقتادهم أحد الرجلين خلال سلم على يمين الباب حتى إذا ما صعدوا وجدوا أن هذا الدور العلوي وقد تم الانتهاء منه في غاية الفخامة والجمال دهنت حيطانه باللون الياقوتي ووضعت على جانبي الممر الذي

يقود إلي مكتب فاروق تماثيل فرعونية من البازلت الأسود ونقشت نقوش فرعونية مذهبة على باب المكتب والذي عندما اقتربتا منه وجدنه وقد صنع من الحجارة بالفعل وكأنه باب مقبرة فرعونية وحينما اقتربتا أكثر فتح الباب لأعلي وكان فاروق يجلس بالداخل في غرفة أكثرفخامة من الممر فالغرفة بالكامل كانت مغلفة من القطيفة الحمراء وكأنها خيمة يتدلي من سقفها ما يزيد عن عشرة مصابيح على الطراز الأندلسي وكذلك في أركان الغرفة الفسيحة نقشت نقوش إسلامية ومحاريب مهيبة كتب بداخلها بخط كوفي مذهب «فاروق علام» وفي ركن من أركان الغرفة أريكة كبيرة وكرسيان كسوتهما من القطيفة ذات لون زمردي جميل يخطف العين تتوسطهما طاولة خشبية من الأرابيسك وفي مواجهة الباب مكتب فاروق وخلفه يجلس فاروق ببذلته السوداء وقميص رمادي يتابع عمل العمال من عدة شاشات أمامه. فقال الحارس:

- الأستاذة ميادة والأستاذة عنود يا ريس.

فأشار إليه فاروق كي ينصرف وقام معتدلاً لكنه لم ينظر إلي ميادة فلقد خطفت عنود نظره من أول وهلة, بل لقد لمعت عيناه وشعر برجفة في قلبه لأول مرة وكأنه مراهق غارق في الحب رأي حبيبته بعد شوق وحنين طويلان. رحب بهما فاروق وأجلسهما على الأريكة وميادة تلاحظ نظراته لعنود. جلس فاروق على الكرسي ثم نادي على الحارس الواقف بخارج الباب وقال له:

- عزام! هاتلي إزازة ويسكي وخلي حد يطلع البنات اللي جم تحت يقعدهم بره هنا لحد أما أناديهم بدل ما إنتوا مقعدينهم وسط الصنايعية. وهاتلهم كراسي يا عزام عشان أنا عارفك غبي هتسيبهم واقفين.

ابتسم عزام ابتسامة مهنية قائلاً:

- تمام معاليك!

انصرف عزام ثم دخل أحدهم بزجاجة الويسكي فصب فاروق كأساً لنفسه وارتشف منه رشفة في تلذذ ثم أشعل سيجارته ونظر لعنود قائلاً:

- أنتي شغالة إيه يا عنود؟ اسم جميل على فكرة!

فابتسمت عنود وقالت له:

- سباسيبا! الله يخليك. أنا شغالة مدربة سباحة.

فضحك فاروق قائلاً:

- إزاي القمر ده يدرب سباحة ده إنتي اللي يشوفك يقول عليكي ممثلة أوكرانية ولا حاجة.

ضحكت عنود وتصنعت ميادة الضحك ثم قالت عنود:

- شكراً يا مستر فاروق والله مجاملة رقيقة من حضرتك.

دخل عزام بعد أن أذن له فاروق وقال:

- معاليك يا ريس البنات قاعدين بره وده كشف فيه أسمائهم وأرقام تليفوناتهم وأستاذ ماضي تحت بيتفرج على المحل.

ناول عزام الكشف لفاروق فنظر فيه فاروق ثم قال لعزام:

- دخلهم واحده واحدة بترتيب الكشف ده وخليهم يلبسوا اليونيفورم قبل أما يدخلوا, آه الأول بس قول للدكتور ماضي يطلع عشان عايزه يشوف البنات معايا.

فقالت عنود بفضولها المعتاد:

- هو مين الدكتور ماضي ده؟

التفت إليها فاروق وهو يبدو عليه الانزعاج من سؤالها ثم قال لها:

- أنا مبحبش الأسئلة ياريت متسأليش كتير عشان أنتي بالذات هتتعاملي معايا كتير.

فقالت عنود بخوف:

- أنا آسفة والله مقصد حاجه.

- دكتور ماضي ده يبقي أخويا الكبير.

فقالت ميادة بابتسامة ودودة:

- والله أول مرة أعرف إن ليك أخ.

فقال لها فاروق:

- أديكي عرفتي يا ست ميادة, قومي بقي دخليلنا البنات.

قامت ميادة و اتجهت ناحية الباب في اللحظة التي دخل فيها ماضي من الباب فقام فاروق من مكانه قائلاً:

- أيه يا دكتور بقالك ساعة تحت مش عايز تطلع تسلم على أخوك!

فقال له ماضي بغضب:

- أنت مخلي الصنايعية اللي تحت دول بايتين في المحل لحد أما يخلصوا الشغل؟!

فرد فاروق بتعجب:

- آه إيه المشكلة مش فاهم هما مش بياخدوا حقهم فلوس.

فرد عليه ماضي بغضب:

- وهما مش حقهم يروحوا بيتهم ويشوفوا أهلهم ويرتاحوا بردوا, هي كل حاجة فلوس يا أخي؟

فرد فاروق بهدوء:

- بص يا ماضي يا أخويا الموضوع عرض وطلب هما عرضوا نفسهم و أنا إشتريت بأكتر من حق البضاعة لو هما مش عاجبهم كانوا مشيوا هوا أنا حابسهم يا عم ماضي. وبعدين الفلوس مش كل حاجة عندك أنت عشان أنت رصيدك في البنك مدفيك أما الناس دي غلابة الفلوس عندها كل حاجة و أنا عندي فلوس وبساعدهم مقابل إني آخد اللي أنا عايزوا. شفت الموضوع بسيط إزاي!

فرد ماضي وقد يأس من أخيه:

- براحتك يا فاروق أنا عارف إني لو إتكلمت معاك ميت سنة مش هتعمل غير اللي فدماغك ومش هتفهمني. تقريباً أنا بتكلم لغة غير بقيت الناس ولا إيه. صبلنا كاس يا عم.

صافح أخيه وأحتضنه فرأي عنود تجلس خلفه تراقب الموقف بنعجب فقال ماضي لأخيه:

- مش تعرفنا يا عم إن في حد معاك.

فقال فاروق بسعادة طفل اشتري له أبواه لعبة جديدة:

- آه دي عنود هتبقي مديرة مكتبي , عنود دكتور ماضي أخويا الكبير دكتور في جامعة القاهرة.

قامت عنود وسلمت على ماضي فقال فاروق لماضي:

- أقعد عشان هنختار البنات اللي هيشتغلوا هنا.

جلس ماضي ثم دخلت ميادة مع عزام سألت فاروق بتعجب:

- هو اللبس اللي هيلبسوه بكيني؟!

أسند فاروق ظهره إلي الأريكة وهو يقبل كأسه ثم قال بهدوء:

- أنا مش فاهم أنتي ليه مضايقة؟

فردت بحذر شديد:

- أبداً بس في بنات كتير أوي ده شغلهم ومش هيضايقهم يلبسوا اللبس ده. ليه خلتني أجيب بنات ملهمش في الكلام ده؟ أنا أتحرجت معاهم جداً و....

قاطعها فاروق بصوت يملؤه الحزم:

- لو في بنت مش عاجبها الشغل أنا مش بضرب حد على أيدة يا قمر, اللي جاهزة وعايزه تاكل عيش لبسها ودخليها.

فردت والخوف يملؤها:

- يعني أبدأ أدخل البنات؟

فقال لها فاروق:

- يا ريت عشان نخلص من الموال ده.

دخلت البنت الأولي وأوقفتها ميادة أمام فاروق فقال لها فاروق:

- إسمك إيه يا قمر؟

- شهد حضرتك!

- عرفيني بنفسك طيب يا شهد بسرعة كدة في دقيقة يعني.

فقالت البنت بتوتر شديد:

- حضرتك أنا إسمي شهد عندي خمسة وعشرين سنة من شارع شلهوب وشغالة في صيدلية.

- يعني مشتغلتيش فبارات ولا كافيهات قبل كدة؟

- لأ حضرتك خالص.

فقال لها فاروق بمكر:

- أمال عايزة تشتغلي معانا ليه يا شهد؟

فأجابت البنت بتوتر شديد وهي تنظر إلي الأرض:

- عشان مرتبها حلو و أنا محتاجة شغلانة كويسة!

- يعني شغالة عشان الفلوس صح؟

فأومأت البنت برأسها أن نعم فقال لها فاروق:

- طيب لفي كدة وريني جسمك.

إحمر وجه البنت خجلاً وقالت:

- حضرتك أنا ميادة قالتلي إني هشتغل بإحترامي.

فقال لها فاروق مبتسماً:

- آه محدش هيقدر يلمسك بس أنا لازم أشوف الجثة اللي هتاخد سبعة الاف

جنية في الشهر دي تستاهل ولا لأ. لفي وريني جسمك.

فقال ماضي الذي بدا أن الأمر لا يعجبه:

- مش لازم يعني يا فاروق البنت شكلها كويس ما شاء الله تنفع تشتغل.

فقال له فاروق بدون أن ينظر إليه:

- بعد إذنك سيبني. هفهمك بعدين.

ثم نظر إلي شهد وهو يرتشف الويسكي قائلاً:

- لفي يا ماما خلصي في ناس لسه هنشوفها.

إلتفت البنت وهو خائفة ويداها ترتعشان فقال لها فاروق:

- جسمك حلو يا شهد بس محتاجة تخسي شوية.

ثم نظر إلي ميادة قائلاً:

- خدي منها ورقها وإعمليلها عقد ويلا دخلي اللي بعدها, ولا أقولك إستني شوية لما أناديكي.

خرجت ميادة ومعها شهد فألتفت فاروق إلي ماضي قائلاً:

- أنت فاكر إني هديها سبعة الاف جنية صدقة مثلاً, لازم تفهم إنها بقت ملكي أنا إشترتها بال سبعة الاف جنية دول وهي يا تقبل يا ترفض أنت ليه مش قادر تفهم الدنيا اللي حواليك.

فقالت له ميادة بتعجب:

- يعني إنت إشتريتني أنا كمان بالسبعة الاف جنية دول؟

فقال لها فاروق مبتسماً:

- لأ! إنتي حاجة تانية. إنتي هتبقي مديرة مكتبي يعني إنتي هتبقي أعلي مرتب هنا. أقلك حاجة حلوة إيه رأيك أشتريكي ب عشرين ألف جنية في الشهر؟!

سال لعاب عنود وقالت لفاروق بحماس:

- أمين يا كبير اللي أنت شايفه.

فابتسم فاروق ونظر لماضي الذي بدت على ملامحه علامات الاندهاش من الموقف فقال له فاروق:

- كل حاجة وليها تمن يا عم ماضي. أنا مش عارف أنت ليه دماغك تعباك عالفاضي أنت مالك بالناس يا عم؟ مش أنت بخير ومبسوط؟ هما كمان مبسوطين.

صمت ماضي وصب لنفسه كأساً آخر ثم نادي فاروق على ميادة وقال لها:

- عنود هتبقي هي مديرة مكتبي, يعني لو أنا مش موجود هتاخدي أوامرك منها هي مفهوم؟

فنظرت ميادة لصديقتها نظرة اغتياظ وحنق ثم قالت لفاروق وهي تنظر لعنود:

- مفهوم يا أستاذ فاروق!

فقال لها فاروق:

- كويس يلا دخلي الجثة اللي بعدها.

إستمرت عملية الشراء حتى الساعة العاشرة وساركل شيء كما أراد فاروق أما ماضي كان كل ما يشغل باله سؤال واحد كيف تحول الإنسان إلي سلعة تباع في السوق؟ وكأنهم عبيد وكأن النخاسة عادت لكن هذه المرة العبد هو من يبيع نفسه طائعاً بدون أن يشعر أنه يتخلي عن حريته مقابل بعض المال.

تجرع ماضي كأساً تلو كأس وجلس ير اقب المشهد في حزن شديد أما عنود فجلست تملؤها السعادة, ظلت تتخيل ماذا ستفعل بالمال الذي ستحصل عليه وكيف أنه سيغير حياتها لم تفكر في راضي أو أباها أو أمها فكرت فقط في ما تريد.

أنهي فاروق عمليات الشراء ثم أعطي عنود رقمه الشخصي وقال لعنود:

- بكرة الصبح أول ما تصحي تكلميني عشان هديلك قايمة فيها الحاجات اللي

ناقصة المكان وتتابعي أنتي الشراء, أنا عايز المكان ده يخلص على أول الشهر.

فقالت له عنود:

- يعني أمشي دلوقتي خلاص؟!

فقال لها فاروق:

- آه روحي دلوقتي, صحيح أنتي مقلتليش أنتي بنت مين؟

فقالت له عنود:

- أنا بنت الحاج مروان اللي شغال في قهوة الأسيوطي.

فقال لها فاروق بتعجب:

- مروان الصغير؟!

فقالت عنود بخجل:

- آه الصغير.

- طيب سلميلي عليه وقوليلوا إنك بقيتي مديرة أعمالي في كل حاجة مش في الباربس.

فقالت له عنود:

- يوصل يا كبير!

ثم سلم عليها و انصرفت والفرح يملأها.

التفت ماضي إلي أخيه وقد بدا انه انتظر تلك اللحظة التي يصبحا فيها بمفردهما وقال له:

- تصدق إنك عيل إبن مجانين.

فرد فاروق بتعجب:

- ليه كده بس يا دكتور؟!

- أنت قاعد بتلعب بالناس كأنهم عبيد عندك؟ وبعدين كاتب اسمك جوا المحراب؟! إنت مجنون والله.

فضحك فاروق وقال له:

- مش أحسن ما أبقي خيال؟!

فقال له ماضي وقد فهم مغزي كلمات رشد:

- خيال إزاي يعني مش فاهم؟

فرد عليه فاروق بغضب:

- خيال يعني زيك كدة ملكش وجود, محدش يعرف أصلاً إن أنا ليا أخ تعرف كدة؟

صمت فاروق قليلاً ثم قال لماضي:

- أنت عايش فعالم مش موجود عايش فوسط الشعر والتاريخ والفلسفة والمثل العليا, أنا بقي عايش في الدنيا على الأرض هنا واللي أنا بعمله مش عشان أنا وسخ ولا حاجة زي ما حضرتك شايف أنا لو معملتش كدة رصيدك مش هيزيد ست أرقام كل شهر.

دمعت عينا ماضي قائلاً:

- أنا مليش وجود يا فاروق, بعد أما كنت باخدك من إيدك أوديك المدرسة في مصر الجديدة وأرجع لحد عين شمس مشي عشان أديك مصروف زي صحابك, أنا عمري ما اخترت نفسي لو أنت في الكفة التانية, ليه كدة يا فاروق؟!

فقال له فاروق بندم:

- أنا منسيتش بس عايزك بردوا متنساش إن اليوم اللي أبوك خلاني أحفر فيه السرداب ومسكني البندقية اليوم اللي قالي فيه لو جيبت سيرة لحد هدبحك بإيدي أنا إتسلخت من نفسي من كتر الخوف والوجع وملقتكش جنبي, و أنا اللي شغال في حاجات مكنتش أفكر إني يوم أوصل للقذارة دي عشان أحافظ على فلوسنا ولولا اللي أنا عملته كان العمارنه خدوا كل حاجة,

أنا اللي ابني اتاخد مني عشان بالرغم من كل قوتي دي بردوا مش قوي كفاية, جاي دلوقتي لواحد حتي الحتة النضيفة الوحيدة اللي كانت فيه إتاخدت منه تقولوا الناس؟! ناس أيه؟

صمت فاروق قليلاً وهو يرقب الدموع تتهادي على خدي ماضي ثم قال له:

- متاخدش كل حاجة على صدرك يا عم, أنا سكران والدنيا حلوة معايا متفصلنيش ورحمة أبوك, إشرب معايا كاس.

جلس ماضي ممتعضاً ثم نظر لفاروق:

- ما إنت على طول سكران يا فاروق فخد بالك من كلامك عشان ساعات الكلام بيوجع.

فرد عليه فاروق مازحاً:

- خدلوا مسكن يا دكتور.

مسح ماضي دموعه وتنهد وهو يصب كأساً ثم وضع قطعة من الثلج وأمسك بالكأس ثم نظر إلي فاروق وقال له بحزن شديد:

- ساعات بحس إن التواصل بينا مفقود مع إنك أخويا.

نظر فاروق إلي ماضي وقد اكتفي من العراك ثم ناوله سيجارة حشيش قائلاً له:

- ولع دي وهبط على حالك شوية هتلاقي التواصل رجع تاني!

ضحك ماضي وهو يأخذ السيجارة ثم قال:

- بذمتك ده كلام واحد متعلم؟!

فرد فاروق مازحاً:

- لأ ده كلامي أنا!

سأم ماضي من الجدال الفارغ وأشعل السيجارة ثم تجرع الكأس جرعة واحدة وصمت فمازحة فاروق وهو يضحك بصوت مرتفع:

- هو ده الماضي بتاعي اللي أنا أعرفه.

ثم سكب لهما كأساً تلو كأس وعاد التواصل بينهما, ظلا يضحكا ويتذكرا مو اقف من طفولتهم ثم تنهد ماضي وعلي وجهه علامات الحيرة قائلاً:

- ليه أنا مش بفهمك غيرو أنا شارب؟ حاجة تجنن يلا يا فاروق صح؟

فرد فاروق:

- عشان بتبقي فرفوش كده وعسلية.

أستأذن عزام للدخول فأذن له فاروق ليخبره أن أخا الأستاذة عنود يريد أن يراه فقال فاروق بصوت مرتفع:

-بدأنا القرف بقي. شايف يا عم ماضي بحاول أنضفهم هيتلموا عليا زي الضباع.

ثم التفت إلي عزام قائلاً:

- فتشه كويس وطلعهولي.

مرت دقائق ثم عاد عزام ومعه راضي فقال له فاروق وماضي يتابع حوارهما باهتمام:

- نعم!

فتلعثم راضي وهو يبدو بهيئة رثة إذا ما قورن بماضي وفاروق أو حتى بعزام قائلاً:

- حضرتك أنا جاي أطلب منك طلب.

فقال فاروق بتهكم وهو يبدو عليه السكر:

- ما أنا عارف إنك مش جاي تعملي خدمة, إرغي!

فقال راضي:

- أختي عنود.

فقال فاروق بغضب:

- مالها يا عم زفته, أنا هشد الكلام من بقك؟

فقال راضي بتذلل:

- الله يكرمك يا فاروق بيه سيبها بلاش أختي.

فقال له فاروق ضاحكاً:

- أيوه بس أنا مش ماسكها يا إبني عشان أسيبها.

فقال راضي بصوت مختنق:

- قصدي حضرتك شوف حد غيرها يشتغل معاك.

فأعتدل فاروق في جلسته وجحظت عيناه من شدة الغضب وقال:

- أنت بصيت في المرايا قبل أما تيجي؟

فقال له راضي بتعجب خائف حذر:

- مش فاهم!

فقال فاروق بتهكم:

- أصل كل واحد المفروض يتكلم كلام على قد حجمه.

صمت فاروق وأشعل سيجارة وراضي يقف أمامه وقد اغرورقت عيناه بالدموع يفكر فيما سيقول فقال:

- حضرتك....

قاطعه فاروق قائلاً:

- طيب أختك وهي ماشيه خدت سلفة عشر تلاف جنية هترجعهم إنت؟ طب بلاش فكرت فأختك هتبقي حياتها عامله إزاي.

لم يستطع راضي أن يرد من صدمته في أخته فأستطرد فاروق قائلاً:

- غوريلا من هنا أنت فصلتني.

فأتجه راضي ناحية فاروق ثم ركع على ركبتيه و أنكب على يد فاروق يقبلها فأنتزعها فاروق منه بقوة وهو ينظر إليه باشمئزاز ثم قال له:

- اتصل بعنود هاتها دلوقتي و أنا هعملك اللي أنت عايزه.

ففرح راضي ووقف قائلاً:

- هروح أجيبها لحضرتك, مش هاخد خمس دقايق.

فقال فاروق بغضب:

- أنا مقلتش روح هاتها أنا قلت إتصل بيها.

نظر فاروق إلي عزام وقال له:

- خده خليه يستني بره لحد أما عنود تيجي دخلهملي.

فجذبه عزام من يده وأخذه للردهة خارج المكتب.

إلتفت ماضي لفاروق:

- ورحمة أبوك يا أخي متبقاش عديم الإحساس كدة.

فقال له راضي:

- إيه هو أنا شبهه ولا حاجة وبعدين اعتبر النهارده يوم تدريب أو كأنك بتتفرج على فيلم عن المافيا يا عم ماضي.

فصمت ماضي وهو يحدث نفسه:

- شكله يوم إسود والله.

فسمعه فاروق و ابتسم قائلاً:

- إصبر يا عم ماضي ده لسه المعركة هتحلو.

مرت عدة دقائق وكانت عنود قد وصلت بعباءة سوداء ودخلت على فاروق مسرعة في خوف وقد فهمت أن أخيها سيفسد عليها فرصتها قائلةً:

- أنا والله يا فاروق بيه مقلتلوش ييجي هنا هو جه من نفسوا.

فنظر راضي إليها بتقزز. أشار فاروق إلي عنود أن تأتي إليه ثم أجلسها على يد الكرسي الذي يجلس عليه ثم نظر إلي ماضي وهو يقول لراضي:

- واضح إنك مش عارف أختك عايزه إيه, أنت جاي تكلمني عن أحلامك أنت يلا يا تافه؟

انهمرت دموع راضي وهو ينظر لأخته التي اغرورقت عيناها بالدموع ثم قالت لأخيها:

- فكر في أمك و أبوك يا راضي مش نفسك يرتاحوا؟ أنا بعمل كدة عشانكوا.

فقال لها راضي بحسرة شديدة:

- أنتي فاكرة إنك عارفة إنتي بتعملي إيه. الراجل ده اللي بيقرب منه بيتدمر أو بيبقي شبهه.

غضب فاروق وقام من مكانه و إتجه ناحية راضي الذي تراجعت قدماه خطوتان إلي الوراء فأصطدم بعزام الذي ضرب مؤخرة ركبة راضي فأجلسه على الأرض رغماً عنه. أخرج فاروق طبنجته وشد أجزاؤها ثم وضع فوهة الطبنجة على رأس راضي وهو ينظر في عينيه فصرخت عنود وجرت ناحيتهم ثم انكبت على وجهها تقبل قدما فاروق قائلة:

- الله يكرمك يا فاروق بلاش أخويا. هو هيمشي دلوقتي والله.

فنظر إليها فاروق وهو يوجه سلاحه نحو رأس راضي ثم أشار إليها لكي تقف ثم أخذها بيده اليمني وقبلها من شفتاها قبلة طويلة لم تستطع عنود أن تمنعه حتى لا يؤذي أخيها لكن دموعها كانت تسيل على وجهها كنهر جار. صرخ راضي صراخاً هستيريا:

- يا ابن الكلب حرام عليك. أنتي ولا أختي ولا أعرفك يا أنجاس.... يا أنجاس.

فضحك فاروق فقال له ماضي بصوت عال:

- يا فاروق....

قاطعه فاروق قائلاً:

- تقدر تروح أنت يا دكتور ماضي أنت تعبت معايا النهاردة و أنا آسف إني وريتك الأشكال الوسخة دي.

فقال ماضي وهو يشعر بعجز شديد:

- أنا فعلاً شفت أشكال وسخة النهاردة!

ثم قرر أن يغير الموقف فقال لفاروق:

- سيب الواد يمشي معايا يا فاروق وبطل إهانة فخلق الله أنت مش ربنا عشان تتحكم في الناس كده.

فقال له فاروق:

- ربنا خلق ناس على الأرض عشان الناس دي تمشي الدنيا على مزاجها.

ثم ركل راضي في وجهه قائلاً له:

- لو شفت وشك ناحية المحل تاني محدش فأهلك هيعرف طريقك, قوم أخفي من قدامي.

ساعده عزام على الوقوف ثم أخذه ماضي وهو يقول لأخيه:

- النهاردة أنت بنيت بيني وبينك سد معتقدش إني هقدر أعديه ولا أفتكر إنك هتحاول أصلاً تعديه, أنت بقيت واحد تاني غير اللي أنا ربيته. تفتكر لو فاطمة شافتك كدة...

صرخ فاروق في ماضي:

- نورتني يا دكتور خد الواد وإمشي قبل أما أغير رأيي.

انصرف الجميع وظل فاروق في مكتبه ولا فائز في الموقف الجميع خاسرون والجميع موتي.

★★★

# «الفصل الثالث والعشرون»

يعيش الضد متلاصقاً مع قرينه على عكس ما يخيل إلينا, دائماً ما يكونان وجهان لعملة واحدة وكأنهما ذات الشيء. فالتغيير يحمل الموت والحياة معاً بلا تمييز. في معظم الأحيان قد لا يكون التغيير اختياراً بل تغيرنا لطمات الحياة المتتالية التي لا تعبأ بصراخنا ودموعنا. هذا ما أصاب راضي عندما وضع فاروق فوهة طبنجته على رأسه, عندما رآه يقبل أخته ولم يستطع أن يمنعه. عندما تضع الرجل أمام ضعفه دائماً ما يهرب فهذه حقيقة لا يستطيع رجل أن يتقبلها. ترجم راضي رفضه للحقيقة مثلما يفعل الجميع, عندما خرج من البار تحجب دموعه رؤيته وكل خلية في جسده تهتز كأن جان قد مسها من فرط الغضب المكتوم ابتاع راضي بخاخ أفيوكين ومع استنشاقه لتلك الآفة التي اغتصبت أرواح البشر أصبح شخصاً آخر, شخصاً لا يخاف, يستطيع أن ينجز أي أمر مهما عظم وكأنه آلة بلا مشاعر وكان اللقاء بين راضي وذاك البخاخ قد جاء بعد اشتياقٍ دام لأعوام مديدة. بعد فترة من تلك الصداقة بين راضي وبخاخه صار التأقلم مع الوضع شيئاً سهلاً بل وأصبح عمل أخته شيء ذا فائدة فهي الآن تمده بكل ما يحتاج من أفيوكين كما خصص له فاروق مبلغاً شهرياً بعدما أقنعته عنود بأن هذا سيجعل حياتها أسهل وبالتالي ستكون أفضل أداءً فيما تقوم به. كانت عملية شراء من تلك العمليات التي يبرع بها فاروق فو افق بعدما تصنع عدم القبول لفترة عن عمد ليكسر ما تبقي من روح في نفس عنود. دفن راضي غله تجاه فاروق عميقاً في نفسه بين آلامه الأخرى وأهال عليه آلاف البخاخات والجنيهات ليتأكد من عدم خروجه للحياة من أجل سلامة الجميع.

في يوم جمعة مشمس أشارت عقارب الساعة للواحدة بعد الظهر معلنة للجميع بذهاب جزء من حياتهم بلا رجعة. جلس راضي غير مكترث بما تهمس به تلك العقارب في حارته كعادته مع اثنان من أصدقاءه. أصبح نحيفاً بشكل مخيف, تشي بإدمانه تلك الهالات السوداء التي حاصرت عيناه ليبدو كما لو كان باندا هاربة من احد الجبال. نادي على أحد الأطفال الذين يلعبون في الشارع أمامه فأتي مسرعاً. ناول راضي الطفل حفنة من الأموال قائلاً له:

- هانلي علبة سجاير «أمفيمور» وتلاته بيره ساقعه من عمك رضوان بسرعة وهيتفضل عشرين جنيه هاتلك أي حاجه بيهم.

فرح الطفل فرحاً شديداً وأخذ المال وجري وكأنه قد حقق كل أحلامه. أخرج راضي آخر سيجارة في علبته وأشعلها ثم أخرج بخاخاً أحمر اللون ليستنشق منه مرات ومرات وكأنه يطمس ملامحه وكأنه يتمني الموت بدلاً من المهانة. مال رأسه للخلف ليستند على الحائط ثم استنشق راضي الهواء المحيط به في هدوء شديد لم ينهيه إلا صوت تلك السيارة التي توقفت تحت بيته. كانت سيارة نقل تحمل شيئاً مغطي بأقمشة سوداء اللون. قفز من السيارة شاب مفتول العضلات, حليق الرأس, يشي قميصه البني وبنطاله الأسود بأنه ليس من هذا المكان. ورث راضي عن أبيه كنيته فأصبح «الصغير» ومعركة راضي الأولي كانت أن يكون ذاك اسم وليس صفة. رفع راضي ما يرتدي ليظهر الخنجر في جنبه للعيان وتوجه ناحية الشاب الذي كان يعطي بعض الإرشادات لرجلان كانت وظيفتهما حمل ذاك الصندوق المغطي. بدأ الرجلان بنصب معداتهم وقاطع عملهم صوت راضي الأجش يقول:

- بتعمل أيه أنت وهو؟

التفت الشاب الذي لم يكن أحداً سوي رشد بابتسامة عريضة ونظرة لا تدل أبداً على وجود روح بداخله. وقف راضي أمام رشد بعينان جاحظتان من

كثرة الأفيوكين وكأنهما ستخرجان من جمجمته منتظراً إجابة لسؤاله. مد رشد يده بالسلام قائلاً:

- أنا رشد جاركم الجديد.

نظر راضي ليد رشد وكأنه لم يعجبه أسلوبه في تغيير دفة الحوار فالتفت رشد ليتابع عمل العمال. أخرج راضي خنجره وربت على كتف رشد ببطن الخنجر قائلاً:

- أنا مخلصتش كلامي معاك يلا!

التفت رشد ببطء وهو ينظر للخنجر بابتسامة لا توصف إلا بأنها كانت غريبة. غدت نظراته لا تطاق, لا يمكن لرجل أن ينظر في عينا رشد وهي تقطر شراً هكذا لثانيتان دون أن يهتز كيانه. نظر رشد في عين راضي قائلاً:

- ينفع تعامل جارك الجديد كدة؟ مش عيب برده؟

اقترب رشد من راضي الذي بدا وكأنما ابتلع لسانه ثم مال على أذنه قائلاً بصوت مخيف تملؤه الثقة:

- المرة الجاية لما نتقابل ياريت تكون أحسن من كدة لأن أنا مبسامحش مرتين.

كانت عنود تجلس في شرفة غرفتها تدخن سيجارة الصباح فتدخلت لتنقذ آخر الذرات من كرامة أخيها التي تبعثرت أمام الهالة المخيفة التي تحيط رشد. صاحت عنود قائلةً:

- ما خلاص يا راضي سيب الراجل يطلع حاجته وفكك من مرازية الناس دي.

نظر الرجلان إلي عنود و ابتسما لأسباب مختلفة ثم تحرك راضي ليجلس على كرسيه وعاد رشد لمتابعة نقل أشيائه.

عاد ذاك الطفل لراضي الذي لم يجد صديقاه اللذان ابتاع لهما البيرة ليشربا معه, هربا لأنهم من ماضي راضي لم يتأقلما مع التغير الذي حدث لأنه ببساطة لم يعجبهم.

وضع البيرة بجانبه وأخذ سجائره غالية الثمن المحشوة بالهيدرا والتي لا يشربها الكثيرين وجذب زجاجة بيرة كما لو كان يجبرها على العلاقة معه. أخذ راضي رشفه وهو ير اقب رشد الذي وقف مع الرجلان بعد أن أتما المهمة ليعطيهم حفنة من النقود تبدو أكثر بكثير من المفترض.

وقف رشد ير اقب العربة وهي تخرج من الحارة, أخرج سيجارة ليشعلها ثم استدار ليصعد درج ذلك البيت القديم ليجد عنود تقف أمام منزلها ترتدي ملابس سوداء تمسك بجسدها كما لو كانت من دائنيها. كانت تبدو كإلهة إغريقية بشعرها الأشقر المرفوع لأعلي يداعبه الضوء الأبيض لذلك المصباح القديم ليبدو كما لو كان سبائك من الذهب خاصة تلك الخصلة التي انسلت من بين رفاقها لتترنح أمام عينها اليسرى فتجبرها على حبسها وراء أذنها لتعود مرة أخري بلا هوادة. توقف رشد عند رؤيتها عن قصد فبادرته بالحديث قائلةً:

- أنا آسفة بجد على اللي أخويا عمله بس دي عين شمس لازم تشوف مين اللي طالع ومين اللي نازل أحنا مش ساكنين في الأعضاء يعني أنت فاهم.

ابتسم رشد و أكمل صعوده قائلاً:

- محصلش حاجه.

صعدت عنود درجة لتمسك بكتفه في تلقائية قائلةً:

- أنت غريب أوي على فكرة! منين محصلش حاجة ومنين بتكلمني و أنت طالع من غير ما تبصلي حتى؟

التفت إليها رشد مبتسماً ليقول بهدوء وثقة:

- صدقيني أنا تعبان بس وبقالي كتير منمتش في بيت زي الناس. الفكرة مش فاني طلعت الفكرة أنك بتتعودي على الناس بسرعة. هنتقابل كتير متخافيش !

تسمرت قطرات الدماء في وجه عنود وكأن رشد قد أزاح ذلك الغطاء الذي نغطي به أكاذيبنا ورأي ما وراءه. دلف رشد إلي منزله ليحكم إغلاق الباب وراءه ثم بدأ في إزالة ذلك القماش الأسود ليظهر صندوقاً من الذهب كتب عليه من كل جهاته بالهيروغليفية ورسمت عليه حكا ممسكة بصولجانها مع مفتاح الحياة وصورة لشاب حليق الرأس مفتول العضلات تقترب ملامحه كثيراً من رشد يجثو على ركبتيه أمام حكا في مشهد صوربحرفية لم يعد لمثلها نظير في العالم. أخرج رشد صولجانه من الحقيبة ثم أمسك به ووضعه أما وجهه وهو يتمتم بشيء ما ثم ضرب الصندوق برفق ثلاث ضربات متتابعة ليفتح الصندوق. أقترب رشد من الصندوق ليحرك غطاءه وينعكس اللون الذهبي الناتج من انعكاس ضوء المصباح على ما يقرب من خمسمائة كيلو من السبائك الذهبية الدائرية التي نقش عليها علامة حكا. قد تذهب هذه الكمية من الذهب عقل الكثيرين لكن عقل رشد قد أذهبته لغة عصره التي يتكلمها الجميع: القوة.

★★★

# «الفصل الرابع والعشرون»

عاش ماضي عدة أسابيع لم يستطع النوم بدون الأقراص المنومة فقد كانت الالام تلاحقه حتي في نومه. لقد قضي فاروق على اخر ما كان يربط ماضي بالعالم الحقيقي, قضي على الأخوة بينهما ليحولها إلي معادلة حسابية مثلها مثل كل شيء. كانت نفسه تبكي تارة وتصرخ فيه الأصوات في رأسه قائلةً «أنت عالم عاجزوما فائدة العلم إذا لم تعمل به يا ماضي؟!» في الصباح يوم وصل فيه الصراع بداخلة إلي ذروته, ارتدي ماضي ملابسه وذهب إلي الجامعة ثم دخل المدرج وأطال النظر إلي طلابه الذين لاحظوا وجود الدكتور فصمتوا جميعاً ساد الصمت للحظات ثم بدأ ماضي حديثه قائلاً «حد فيكوا عارف هو عايش ليه؟ حد فيكوا سأل نفسه أنا دوري إيه في الدنيا؟ جيت الدنيا ليه؟ أكيد مش عشان تشتغل وتجيب فلوس تصرفها على النوم مع البنات أو تصرفها على عمليات التجميل وتخلفوا عيال كتير متعرفش هي جت ليه وتجيبوا عربيات وتضربوا مخدرات وتنتشوا ولا إيه؟ ما علينا, طبعاً كلنا قرينا قصيدة «الأرض الخراب» حد يقدر يقوم يشرحلي اللي هوا فاهموا من القصيدة؟! معتقدش! طيب حد يقدر يقولي ليه إسمها الأرض الخراب؟ مش دي دراستكوا؟ إنتوا ليه تايهين كده ملكوش هدف حقيقي فحياتكوا.... صدقوني هييجي عليكوا يوم وتندموا. أخرج الدكتور من حقيبته كتاباً وقلماً ثم إستداروكتب هذه البيوت الإفتتاحية للقصيدة:

**April is the cruelest month, breeding**

**Lilacs out of the dead land,**

ثم التفت مواجهاً الطلاب وقال «كيف يمكن أن يكون إبريل هو الشهر

الأقسى لأنه يخرج أزهار الليلاكس من الأرض الميتة؟ إلي ماذا ترمز أزهار الليلاكس؟ عارفين في ناس بتعيش على التساؤل وناس زيكوا فاكرين إنهم عندهم الإجابات اللي هما محتاجينها ومش محتاجين يسألوا أسئلة تانيه..... أزهار الليلاكس بتعبر عن النقاء والبراءة وعندما تخرج البراءة في أرض ميتة فهذا أقسى فعل يمكن أن يحدث, الشاعر يقول إبريل شهر قاس لأنه أخرج البراءة وسط الموات والخراب لتموت موتاً بطيئاً. عارفين ليه الأرض ميتة؟ لأن مبقاش ساكنها بشر بقي ساكنها سلع وتجاروصدقوني لا يوجد ضحية في هذا الأمر فالكل موات وقد مات المعني في وسطهم إذ أين تري يحيا المعني إن كان الإنسان موات؟» فسأله طالب «إزاي مفيش ضحية يا دكتور؟» فقال ماضي بصوت مرتفع «أنت سلعة حين تتنازل عن شيء لا ترغب في التنازل عنه لكي تحصل على شيء تريد الحصول عليه وبذا تكون أقررت بأنك سلعة تباع وتشتري وكل الأمر يتوقف على تحديد السعر الصحيح وهكذا تكون الأرض سوقاً والبشر تجاراً وسلعاً والإله هو المال, ولهذا السبب الأرض خراب ولادة البراءة فيها حرام, قسوة, عمل بشع لا ينبغي الإقدام عليه.» اغرورقت عينا ماضي بالدموع فترك القلم يهوي من يده على الأرض وترك حقيبته ومضي إلي مكتبه ثم أغلق الباب وأخرج قنينة فضية اللون وتجرع منها حتى نفذ منها الخمر ثم أشعل سيجارة وجلس على مكتبه ودموعه تسيل على وجهه ثم أخرج ورقة كتب عليها «هناك تجاروهناك سلع وهناك من هم مثلي, من ظلت البراءة تسكنهم حتى تحولت عجزاً يسكرون لكي تغيب عنهم حقيقة رفضهم للحياة بأسرها لكي يطمسون عجزهم المميت, ويا لها من مصادفة أن يمتد عجزي حتى عن إنجاب طفل ولكن ما فائدة خروج الليلاكس في أرض موات؟ حتما في النهاية ستتحول تلك الزهرة لتصبح مثل الباقين ثقباً أسوداً هائلا مخيفاً يحطم كل من يقترب منه ويمتص منه الحياة لعله يحيا مجدداً

أو ستموت عجزاً مثلي وكأني أقرب ولدي قرباناً للآلهة لتلتهمه النار في طقس عبثي ولكنه يظل ديني لأن هذا ما يؤمن به العالم. الكل مشغول والكل حتماً عن هذا الخراب مسئول... عبث وهراء... عبث وهراء.... عبث وهراء.»

ظل ماضي هائماً لا يدري هل أسكرته الخمر أم أحزانه تحجب دموعه الرؤيا عن عيناه وسيل الأفكار ينهال عليه كما لو كان سيل من الرصاص. استمع الدكتور ماضي إلي دقات الباب وكأنها تأتي من بعيد لينتبه لها بعد عدة ثوان. مسح الدكتور ماضي دموعه وأخفي تلك القنينة الفضية واعتدل قائلاً:

- اتفضل

فتح الباب بهدوء ليدخل رشد مبتسماً مرتدياً قميصاً أبيض اللون وبنطالاً رمادياً ونظارة مخصصة للنظر, حاول رشد أن يخمد تلك الهالة المخيفة التي تكونت حوله فأضاف بعض اللعثمة إلي كلامه قائلاً وهو ما يزال عند الباب:

- صباح الخير يا دكتور

رد ماضي بأدبه المعهود قائلاً:

- أتفضل أدخل يا حبيبي.

دخل راضي حاملاً في يده حقيبة هدايا سوداء اللون ليتعجب ماضي من لونها. وقف رشد أمام ماضي الذي وقف ليتصافح الرجلان ثم أشار ماضي إلي الكرسي المتاخم لمكتبه قائلاً:

- اقعد يا حبيبي. أنت في سنة كام؟ أول مرة أشوفك تقريباً!

ابتسم رشد وهو يضع حقيبة الهدايا على منضدة أمامه قائلاً:

- هو طبيعي إن حضرتك تبقي أول مرة تشوفني لأن أنا مش طالب هنا بس باجي الكلية كتير عشان خطيبتي بتدرس هنا.

تعجب ماضي قائلاً وهو يعدل من وضع نظارته قائلاً:

- طيب لو أنت مش طالب أنا اقدر أخدمك بأيه مش فاهم؟

حك رشد أنفه وعاد تلعثمه من جديد ليقول:

- لأ أنا كنت قاعد جنب القاعة اللي حضرتك كنت فيها وسمعت المحاضرة والأفكار اللي حضرتك قلتها شدتني, مفيش حد بيدرس أدب قديم من النوع ده دلوقتي كله بيدرس أدب حديث اللي هو كان زمان اسمه أدب جنسي ولو حد درس أدب قديم بيدرس قصص الأبطال الخارقين لكن اللي حضرتك بتدرسه حاجة تانية. أنا معجب جداً بشجاعتك يا دكتور.

توقف رشد عن الكلام لينظر في ساعته ثم وقف وكأنه على عجل من أمره ثم قال:

- أنا حبيت أعبرلك عن احترامي و أقلك أن احنا هنتقابل تاني وممكن جداً نبقي صحاب.

تبخر رشد بمجرد أن أنهى كلامه, خرج بسرعة مخلفاً وراءه تلك الحقيبة السوداء. بعدما أفاق ماضي من محاولاته المتعثرة في وضع الموقف في أي سياق منطقي وقعت عيناه على الحقيبة. قام ماضي بفتح الحقيبة ليجد بداخلها علبة طويلة إلي حد ما, أزال الورق اللامع من عليها ليسيل عقله من الدهشة. لقد كانت زجاجة «ماكلان إم» كانت المفضلة لدية وكيف لا وهي أفضل وأغلي زجاجة ويسكي على ظهر الأرض. منذ فترة نفذ مخزونه منها فقام بعمل طلبيه شراء كعادته لكن تم إخباره أن المصنع متوقف عن البيع حالياً لبعض المشاكل مع المافيا الصينية التي تعيث في بريطانيا الفساد وكأنه نوع من الانتقام فأضطر أن يشرب من ما يشربه الغوغاء. كيف لشاب صغير مثل رشد أن يحصل عليها؟ وكيف يعرف أنها المفضلة لديه؟ انتبه ماضي لوجود قطعة من الورق بداخل الحقيبة. أخرجها ليجد عليها جملة تدفق مع قراءتها بعض الأمل إلي عروقه فتبسم لها ضاحكا. كان رشد يعرف تماماً ما يفعل, فلقد ترك له تلك الكلمات: «قد يجدك ما تبحث عنه طوال حياتك ولم تجده.»

★★★

# «الفصل الخامس والعشرون»

مرت أياماً ثقالاً بعد فقدان رشد ومن بعده أمه الست أميرة وظن جبريل أن والده قد نسي وعده له بمساعدة عم حسنين. لم ينقطع جبريل عن مجالسة عم حسنين حتى بدأ بعض الصبية في الشارع بإغاظته عندما أطلقوا عليه لقب «المجنون» لكنه لم يكن يهتم. استيقظ جبريل في الصباح ليصلي الفجر كعادته ثم مارس بعض التمارين الرياضية وجلس ليقرأ القران في غرفته.

طرق والده الباب قائلاً:

- جبريل! أنت صاحي؟!

قام جبريل مسرعاً ليفتح الباب ويقبل يد أباه الذي ربت على رأسه بحنان قائلاً:

- أنا وضبت الأوضه اللي فوق السطوح, روح هات عم حسنين بقي عشان أنا هديهاله! هكتبها بأسمه!

قفز جبريل من الفرح وقد ابتلت عيناه من فرط البراءة قائلاً:

- بجد يا والدي؟! يعني هيعيش معانا؟!

- اه بس بشرط: إنت هتبقي المسؤول قدامي عنه فكل حاجة, مو افق؟

رد جبريل في سعادة مفرطة:

- اه طبعاً يا حاج , اه مو افق!

فإبتسم الحاج منصور قائلاً:

- روح هات عم حسنين طيب مستني إيه؟

ذهب جبريل مسرعاً إلي عم حسنين فوجده جالساً على الكرسي فقال له بسعادة غامرة:

- يلا يا عم حسنين, هتيجي تعيش معايا. أنا جبتلك أوضه جميلة فيها سرير وكنبه وتلفزيون وكل اللي إنت عايزه.

نظر إليه عم حسنين ولم يرد, فقال له جبريل بتعجب:

- مش نفسك تنام على سرير يا عم حسنين ويبقي ليك بيت تاني زي الأول؟!

- البيت يا ولدي مش حيطان... البيت أمان.. البيت بشر حواليك ولمة.

- ما أنا معاك يا عم حسنين, مش إنت قلت إني زي إبنك؟

- لأ قلت إنك أحسن, قلت إنك رحيم!

- طيب ما أنا هفضل معاك!

فإبتسم عم حسنين ونظر إلي الكرسي ثم قال له:

- كرسي حسنين هنسيبوا هنا عشان لما ييجي حسنين تاني يلاقي كرسي يقعد عليه!

- ماشي نسيبه, اللي أنت عايزه هنعمله.

سار عم حسنين مع جبريل, ذهب معه ليعود إلي حياة آدمية, لتبعث فيه الحياة من جديد لكي يموت. وفي الحقيقة عم حسنين هو مرضنا, علتنا في صورة لحم ودم, إنسانيتنا التي دهست تحت الأقدام في سوق الدنيا المنصوب. ها هو عم حسنين سيعيش فوق السطوح على ارتفاع عشرة أدوار بعدما كان ينام تحت الأرض. غريبة هي الأقدار التي تشبه مصارعتها الإبحار في بحر هائج لكن البحر لم يغضب بعد ما زال في جعبة البحر الكثير!

***

دلف جبريل إلي المصعد مدبراً وهو يجر كرسياً متحركاً يجلس عليه عم حسنين. وقف حارس العقار قائلاً بلهجة ريفية لم تخفيها سنوات عمره التي قضاها في الحضر:

- أجي أساعد معاكوا يا حاج؟

رد عليه الحاج منصور:

- تسلم يا شامي المهم أنت جبت الجلاليب والأكل؟

- عملت كل اللي قلتلي عليه يا حاج بس والله من غير قصدي الأبجوره الكبيرة دي وقعت اتكسرت مني من غير ما اقصد وجبت الولا صلحها وخد خمسين جنيه بس رجعها زي الأول.

ابتسم الحاج منصور كمن توقع ما قد قيل أو على الأقل فحواه. دس الحاج منصور يده في جيبه بينما كان جبريل يضغط على زر من أزرار المصعد. أخرج الحاج منصور مائتي جنية أعطاها لشامي الذي تهللت أساريره ثم قال له:

- خد ميه ليك وروح هات حلاق عشان يحلق لعم حسنين وأديله الميه التانية

دس شامي الورقة في جيبه متحمساً وهو يقول:

- أمرك يا حاج

أوقفه الحاج منصور بعدما استدار قائلاً:

- شامي هات الحلاق اللي جنب البيت ده واد محترم

أنهى الحاج منصور كلماته ثم صعد المصعد. نظر جبريل لعم حسنين ليجده في قمة السعادة ونظر الحاج منصور إلي ولده ليجده في قمة السعادة ليصبح هو بدوره في قمة السعادة. لم تكمن سعادة عم حسنين في تلك الغرفة والسرير والطعام والملبس فلقد عاش كثيراً متعايشاً مع النقص في كل شيء بل كان يظن أن أحداً لن يلاحظ وجوده فما بالك بأن يخدمه أحد, أن يحمله على كرسي متحرك ليذهب به إلي غرفة أعدها له بدون أي مقابل. قد تتغير رؤيتنا للدنيا بأسرها من كلمة صادقة أو فعل جسور يهشم حماقات العادة فيحول مجري الحياة إلي اتجاه آخر حتى وإن كانت حياة فرد واحد فقط فهذا قد يكفي. يكفي لأنه بات يعلم أن العالم ليس ساحة معركة يقتل الجميع فيها بعضهم بعضاً من أجل سراب خلقته عقولهم.

حمل جبريل عم حسنين مع والده ليعبرا به بضعة درجات من المصعد حتى السطح. توقف جبريل ليخرج مفتاح الغرفة من جيبه ثم دسه في الباب ليرى الجميع رشد يجلس بالغرفة على كرسي خشبي مواجها للباب برأسه الأصلع وبسمته التي تبدو غير محملة بالدفء المتوقع في مثل هذا الموقف. تسمر الجميع في مكانه للحظات وكأنهم أصنام ثم اندفع الحاج منصورناحية جبريل ليحتضنه والدموع تملأ عينه وقد تحولت لهجته للصعيدية المحضة قائلاً:

- كنت فين يا واكل ناسك؟ أيه الغيبة المغفلقة دياتي؟

ضحك رشد كعادته عندما يتكلم عمه بلهجته الأصلية وهو يضع يده على كتف عمه ثم قال بهدوء:

- كان لازم اختفي الفترة دي. أنا قلت أنك هتفهم كده لما تسأل عليا في المدرسة وتعرف اللي حصل.

نظر رشد لجبريل الذي كان ما يزال متخشباً فمد يده ناحيته قائلاً:

- مش هتيجي تسلم عليا يا ابن عمي ولا أيه؟

لم يتحرك جبريل قيد أنمله ظل ينظر لرشد ثم قال له وصوته يحمل نبرة عتاب:

- أنت عرفت أن خالتو أميرة ماتت؟!

أطال رشد النظر إلي الأرض ثم قال والأسى يملأ صوته:

- آه عارف

نظر رشد إلي جبريل في محاولة لتغيير المناخ قائلاً:

- أنت هتسيب عم حسنين بره كده؟ متدخل الراجل يا ابني

تعجب جبريل قائلاً:

- أنت تعرف عم حسنين؟!

رد عليه رشد بكل ثقه:

- أنا أعرف ناس كتيروحاجات كتير.

جلس الحاج منصور وهو يتأمل رشد وجبريل وهما يحملان عم حسنين ليجلساه على السرير. وصل شامي ومعه الحلاق وهو ينادي بصوت مرتفع:

- يا حاج منصورجبتلك الراجل أهه.

قام الحاج منصورقائلاً:

- اتفضل يا ابني تعالى!

دخل الشاب الصغيرملقياً السلام فرد عليه الحاج منصورثم سأل الحلاق:

- أدالك كام شامي؟

- أدالي سبعين جنية مرضيش يزود عليهم جنية واحد.

نظرالحاج منصورلشامي وهو يبتسم فنظرفدس شامي يده في جيبه وأخرج الثلاثون جنيهاً على مضض لينالها للشاب وهم بالانصراف. أوقفه الحاج منصورقائلاً:

- أنت أديتوا كام يا شامي؟

رد شامي قائلاً:

- باقي الميه!

- طيب والميه التانيه اللي معاك فين؟

- معايا يا حاج لسه!

- طيب جميل أديهالوا يا شامي

كاد شامي أن يبكي من الحسرة وكأن قلبه قد تمزق وهو يخرج المائة جنية ليعطيها للحلاق. أخذ الحلاق يتابع عمله فنادي عم حسنين على رشد قائلاً:

- أنت رشد أنا افتكرتك!

اتجه رشد ناحية عم حسنين وربت على كتفه والحلاق يحاول أن يمحي أثر القسوة الظاهرة على مظهرعم حسنين ثم قال له:

- أيوة يا عم حسنين. العين بالعين والسن بالسن.

ظل عم حسنين يرددها وقد امتلأت عيناه بالدموع ونظراته بالغضب, غضباً قد تراكم لسنين طويلة ليخرج لأول مرة في تركيبة هذه الدموع الساخنة.

ارتسمت ضحكة على وجه عم حسنين وهو ينظر لمن حوله بحب قائلاً:

- ربنا بعتك ليا زي جبريل بالظبط! أنا مش عارف أشكركم ازاي يا ولاد والله.

اقترب منه جبريل الذي لم يتحمل رؤية دموع عم حسنين ليربت على ركبته بعدما جلس القرفصاء عند قدميه قائلاً:

- أحنا زي ولادك يا عم حسنين في حد بيشكر ولاده.

- أيوه ربنا عوضني بيكوا كان نفسي يبقي عندي واد زيكم كده. عنده روح لسه, بني ادم.

ترك الحاج منصور ورشد جبريل مع عم حسنين ليهتم به ونزلا إلي منزل الحاج منصور. جلس كلاهما أمام التلفاز بعد سلسلة طويلة من الأحضان والبكاء عندما التقي رشد بكل أبناء عمه وزوجاته. طلب الحاج منصور الشيشة وأشعل التلفاز ليسمع الأخبار كعادته في المساء ثم سأل رشد الذي جلس متوقعاً سؤال عمه:

- هو ايه اللي حصل فوق ده؟ ودخلت الأوضه أزاي من غير مفتاح أصلاً؟

- دخلت من الشباك!

- أمم! طيب ايه اللي حصل ده؟

- لأ معلش مش فاهم سؤالك يا عمي

- ايه العين بالعين والسن بالسن اللي انت قلتها والراجل فضل يقول وراك....

قاطعه رشد بنبرة حاسمة وكأن عمه قد تخطي الحد الذي يمنح له فيه الاحترام قائلاً:

- متشغلش بالك يا عمي. بعد إذنك يعني!

- مشغلش بالي؟! حاضر يا رشد

انتبه رشد لصوت المذيعة التي جلست كالآلة تتلو على الناس الأخبار بكل حيادية بلا مشاعر:

«وقد استطاعت الشرطة في إحدى مقاطعات في ضواحي القاهرة برئاسة العميد نادي عرفة من إيجاد جثة السيدة هلا الصباغ زوجة رجل المافيا الشهير المتوفى زهير الصباغ والخدم الثلاثة المفقودين وقد دفنوا بجوار زوجها في مقابر العائلة. أفادت التقارير بأن السيدة هلا وخدمها قد ماتوا خنقاً وحتي الان لا يوجد دليل يقود الشرطة لمرتكب هذه الجريمة الشنعاء. الغريب في الأمر أن المجرم ترك الأطفال بالرغم من وجودهم في المنزل.»

انتفض رشد من مكانه بعدما كانت علامات القلق قد تمكنت من كل قسمات وجهه ليلملم أشيائه فقال الحاج منصور:

- مالك يا ولدي أيه اللي حصل؟ ورايح فين دلقيتي؟

لم يرد رشد على عمه, خرج مسرعاً ليترك وراءه ألاف التساؤلات بلا إجابة.

*****

قطعة لحم كبيرة متحركة, هكذا يري معظم البشر أنفسهم ورفاقهم مجرد عضلات وجهاز عصبي يرسل الإشارات حتى يأتي عليه يوم ليتوقف وحتى يأتي ذلك اليوم تستطيع أن تحاول أن تعتصره ما دمت تستطيع وما دام هو قابلاً للاحتلال فلما لا, إنما هو قطعة لحم كبيرة.

في منتصف الليل تماماً بدا كل شيء في أحد الشوارع الرئيسية في حي الأعضاء. توسط القمر السماء بدراً لا ينافسه أحد في الجمال شعر رشد بقوة الجاذبية التي يمتلكها القمر وكأنها تعطيه نشوة غير عادية عندما ينظر إليه. ابتسم وهو ينظر للقمر وكأنه حبيبته التي اشتاق إليها. تحرك متجهاً إلي المشرحة الرئيسية للقاهرة التي تنقل إليها الجثث الناتجة عن سوء التواصل

الاجتماعي بين بعض البشروقد يكون القتل احد وسائل التواصل الناجحة, من يعرف؟! سأل رشد إحدى الفتيات التي بدا من ثيابها أنها طبيبة عن رئيس المشرحة لترشده إلي مكتب في منتصف الرواق «خامس مكتب على أيدك الشمال» شكرها رشد و اتجه لذاك المكتب. طرق رشد ثلاث طرقات خفيفة ليأتيه صوت امرأة من الداخل بأن يدخل. دخل رشد ليجد امرأة في عقدها الخامس على ما يبدو تقرأ في بعض الأوراق. أشارات إليه بأن يجلس ثم قالت:

- في حاجة أقدر أعملها لحضرتك؟

- أقترب رشد بوجهه من الدكتورة منار متولي كما كتب على تلك اللافتة الصغيرة على مكتبها ثم قال بمنتهي الهدوء:

- أنا محتاج أشوف جثة مرات زهير الصباغ اللي لقوها مدفونة جنبه اللي هيا اسمها هلا.

نظرت إليه الدكتورة منار وكأنها تتفحصه ثم قالت:

- حضرتك ظابط؟

ابتسم رشد قائلاً:

- بصي أنا ولا شرطة ولا قوات مقاطعة تقدري تقولي أنا مش موجود.

دس رشد يده في جيبه ليخرج رزمة كبيرة من النقود ليضعها على مكتب الدكتورة منار ليكمل حديثه بكل هدوء:

- بس أنا حقيقي محتاج أشوف الجثة. تقدري تيجي معايا عشان تتأكدي إني مش هعمل حاجه تضر أي تحقيقات. أنا هقف جنبها بس مش أكتر أشوفها.

اعتدلت الدكتورة منار ونظرت في عيناه قائلة:

- بس أنت شكلك مش قريبها. ليه تدفع فلوس كتير أوي كده عشان تشوفها؟

عبس وجه رشد بتلقائية وأسند ظهره إلي كرسيه قائلاً:

- خلينا نتفق أن جزء كبير من الفلوس دي عشان حضرتك تعملي اللي أنا

عايزه من غير صداع يعني تقدري تقولي أن دي هي الخدمة الأساسية اللي أنتي هتقدميهالي: أنك متتكلميش كتير ولا دلوقتي ولا بعد كده.

هزت الدكتورة منار رأسها بعدما توصلت أن رشد بالتأكيد من جهة أمنية ما فمجرد وجوده في حي الأعضاء في منتصف الليل يدل على أنه يحمل تصريحاً لدخول الحي والتجول فيه بحرية. قامت لترشد رشد إلي مكان الجثة. فتحت باباً ليدخلوا إلي ثلاجة الموتى حيث ترقد جثثاً آخر ما شعرت به على وجه هذا الكوكب كان رعباً أوقف الدماء في عروقهم قبل أن يتوقف القلب عن ضخها. رائحة الموت المقيتة وجدت قبولاً عند رشد فاستنشق عبيره وكأنه يتعرف على صديق جديد. فتحت الدكتورة منار أحد الأدراج لتخرج السيدة هلا وملامحها تقسم أنها لم تعرف لماذا تؤخذ منها الفرصة لكي تعيش يوماً جديداً. وقف رشد بجانبها ثم وضع يده على جبينها ثم أغلق عيناه ليرى ما حدث. كانت تجلس في بيتها بعدما مات زوجها تمسك بصورته والدموع قد بللتها ليقتحم بيتها رجلاً ضخماً أسود اللون حليق الرأس. أمسك ذلك الرجل برقبتها بدون حتى أن يكلمها كلمة واحدة. حاولت أن تصرخ لكن قبضة هذا الرجل المحكمة أنهت حياتها بسرعة. كان الرجل يتمتم ببعض الكلمات التي لم تفهمها السيدة هلا لكن رشد فهم كل كلمة. فتح رشد عيناه و انصرف مسرعاً. ابتعد عنه الجميع خوفاً من ملامح وجهه التي تحولت وكأنها صنعت من غضب خالص.

★★★

# «الفصل السادس والعشرون»

لم يكن القدر أبداً مصيرك وحدك لم يخلق ليخدم أهدافك وأحلامك بل مصائر الجميع متشابكة في أعقد لوحة فسيفساء شهد عليها الإنسان بغير وعي منه. لذا لا يهم ما يحدث لك بل كيف تراه وتستوعبه وهذا ما كان رشد على وشك تعلمه. عاد رشد إلي منزله في عين شمس. كانت ردهته خالية تماماً من الأثاث عدا مرآة سوداء ضخمة ذهبية الإطار تحرسها رأس أفعى ذهبية حمراء العينين يميناً ويساراً وقد وجهتا رأسيهما إلي المرآة. كتب رشد في أركان الردهة كلمات بالخط الهيروغليفي كانت معظمها تعاويذ حماية وتضرع إلي حكا. كانت غرفته _الغرفة الوحيدة في المنزل_ مختلفة تماماً, فلقد كان السقف مزيناً بلوحة لامعة لنجوم مجرتنا رسمت بدقة فائقة. يقع تحت ذاك السقف سريراً خشبياً يبدو أنه صنع بمبدأ «كثير من الراحة قليل من العظمة.» فلقد كان مجرد خشب. توسط الحائط المواجه لسريره تلفاز كبير وضع تحته ذلك الصندوق المليء بالذهب. دخل رشد إلي الحمام ليتجرد من كل ملابسه ويبدأ بحلاقة الشعر بكامل جسده ثم أغتسل. خرج رشد عارياً كما هو ليقف أمام المرآة ليأخذ نفساً عميقاً ويردد بصوت منخفض وبلا توقف:

- آفاجا سيخور حكا نبدان

ظل يرددها بلا كلل حتى ظهر حكا أمامه. كان كما صوره الأجداد تماماً على جدران معابدهم, عينان سوداوان واسعتان وشعر يحاكي سمرة الليل منسدل على كتفيه يمتلك تلك القدرة التي أعطاها لرشد: أن يقتلك خوفاً بذاك الغضب في عينه. لم يكن طويلاً أو قصيراً ولكنه كان مفتول العضلات

عريض المنكبين بالرغم من صغر حجم جسده. هوى رشد راكعاً على ركبتيه مردداً:

- أنت الذي أحيا التاسوع الإلهي, أنت الذي تفعل ما تشاء, أبا الأرباب, كل شيء لك من قبل أن تنشأ هذه الأرباب بعدك, أنت السحر و أنت القوة الأزلية.

- و أنت كاهني الأخير, بح بسؤالك الملح.

نظر رشد إليه وهو ما يزال راكعاً ثم قال:

- هناك رجل أظنه يتبعك.

- أنت من يتبعني والكل يتبعك, كل هؤلاء موجودون لأجلك. أنت الان قادر على تسخير كل من هو دوني بما في ذلك كاهن امون الذي تسأل عنه وجماعته و أني ناظر ما تفعل.

طأطأ رشد رأسه قائلاً:

- تبارك أسمك وتمجدت أفعالك.

******

ارتدي رشد بذلة سوداء ليخرج مسرعاً. كان راضي يجلس في الحارة كعادته بصخبهم وضوضائهم اللعينة التي تسببها ضحكاتهم الشيطانية. فتح رشد باب سيارته التي كانت إنتاجاً مصرياً من النوع الرخيص ظاهراً لكن رشد زودها بكل شيء يؤهلها أن تنافس أغلي سيارات العالم حتى أن هيكل السيارة بالكامل تم تطعيمه بالفولاذ. فرشد يحب القوة والسرعة لكنه لم يرد لفت الأنظار. ركب رشد السيارة وقاد مبتعداً وعينا راضي تلاحقه حتى اختفي في وسط الزحام. قطع رشد ما يربو عن خمس مقاطعات ليصل إلي ذلك الطريق الصحراوي. كانت الشمس على وشك الشروق وكان رشد ير اقب الشمس عن كثب وكأنها يحاول أن يسبقها. أسرع رشد لينعطف مقتحماً الصحراء. قاد أكثر من عشرة أميال إلي أن وصل إلي جبل صغير. أوقف رشد سيارته

التي تشبهه كثيراً ثم خلع سترته وقميصه ليصبح عاري الصدر. مد يده تحت كرسيه كما لو كان يبحث عن شيء ما ثم أخرج ذاك الصولجان الذهبي. توجه ناحية سفح الجبل ليري ما جاء لأجله, كان على عمق ثلاثة أمتار باباً كبيراً مصنوعاً من الفولاذوقد مهدت الأرض أمامه ليكون انحدارها لا مغالاة فيه. لم يكن باباً عادياً أبداً فهو ببساطة يبدو غير قابل للفتح. لكن مادام البشر قادرون على الخوف فلا شيء مستحيل. أمسك رشد بصولجانه ليطرق ثلاث طرقات خفيفة وهو يتمتم بشيء ما. بدت تلك الطرقات الثلاث لمن كانوا بالداخل كما لو كانت طبولاً تعلن حلول يوم القيامة. فزع الجميع رجالاً ونساءً ممن قاطعت طرقات رشد صلاتهم لينظر الجميع إلي سمعان أو كما يلقبه أفراد جماعته «آي». أشار سمعان إلي ثلاث رجال لير افقوه قاطعين ممراً قصيراً قادهم إلي ذاك الباب الفولاذي. فتح سمعان الباب ليرى ما لم يره أحداً قبله. كان رشد يقف عاري الصدر منفوخ العضلات عيناه زرقاء مظلمة كظلمة البحر في ليلة لم يعرف طريقها قمر. لم يضيء تلك الظلمة في عين رشد إلا بؤبؤ عينه الذي تحول ليصبح ذا شكل بيضاوي متلوناً بلون النيران. نظر سمعان ورجاله إلي عين رشد ليسقطوا مسبببين صوتاً مدوياً في «معبد الكمتيين» لتخرج صرخات من بالداخل. دخل رشد ليقف على تلك المنصة التي اعتاد سمعان أن يخطب في جماعته منها. في وقت ما شعر ما يقرب من ألف رجل وامرأة وقفوا أمام رشد أن هناك شعوراً أقوي من الذعر. وقف رشد صامتاً لعدة ثوان ثم أشار بصولجانه للجميع بأن يركعوا فركع الجميع من فورهم إلا امرأة سمعان التي كانت تبكي خوفاً على نفسها وعلي ما حدث لزوجها. نظر إليها رشد وبدأ الغضب يظهر على قسمات وجهه فهوت السيدة راكعة مثل بقية الحشد. نظر رشد في أرجاء المكان فلم يستطع إلا أن يشعر بالتقدير والاحترام لمن بناه وصممه فلقد كان ثلاثي الأضلاع رسمت على

جدرانه قصص «جماعة الكمتيين» منذ بدايتها ووقف تمثال آمون في عند رأس المثلث شامخاً. مشي رشد خطوات قليلة هادئة حتى وصل إلي سمعان أو آي فضربه ضربة خفيفة بالصولجان على رأسه فشهق كمن كان يختنق. أفاق آي والرعب يملأ كيانه ليري رشد يقف أمامه يمد يده إليه ليساعده على الوقوف وبالرغم من شدة خوفه من رشد إلا أنه في الحقيقة لم يكن يملك أي خيار. عاد رشد إلي المنصة وتبعه آي بحذر ليقف رشد ناظراً للجميع ثم نظر لآي وكأنه يطالب بحقه مشيراً إليه بالركوع. نظر آي ناحية رجالة ليحول رشد اتجاه رأسه ناحيته مجدداً باستخدام صولجانه وقد بدأ الغضب يحتل ملامحه. ركع آي شاخصاً بصره وكأنه توقع الموت بعد الذي رآه حينما سقط مغشياً عليه عند البوابة. عادت عين رشد لطبيعتها ليقول لسمعان بلهجة حازمة هادئة:

- أنت عارف أنا مين؟

تردد آي قبل أن يرد:

- لأ بس ممكن أكون قريت حاجة عنك أنا مش متأكد.

كان كل من في المعبد يراقب الحديث باهتمام بالغ بعدما سمح لهم رشد بالوقوف. قال رشد بهدوء مبتسماً وقد تلذذ غروره بإجابة سمعان:

- صدقني أنت مقرتش كفاية!

التفت رشد إلي الحشد قائلاً بصوت واثق سمعه الجميع:

- آي كاهن وقائد عظيم بس أنتوا محتاجين ملك. أنا هسيب آي يشرحلكم أنا مين على حسب علمه واللي عايزكوا تعرفوه أني أوامري أهم من تعليمات آمون و أقوى من تعاويذه ميهمنيش أنت بتعبد مين طول ما أنت طاعتك ليا أنا. أنا عارف أن فوسطكوا رجال أعمال كباروظباط جيش وقواد مافيا وعارف كل واحد و اقف قدامي مين ويشرفني جداً أنكم تبقوا جماعتي المخلصة.

لم يستطع أحداً أن يشعر بالاعتراض أو حتى بالامتعاض فقد كانت قوة رشد بالفعل فوق المجابهة. نظر رشد إلي آي قائلاً:

- مفيش تضحيات بشرية تاني! أعتقد من الغباء أنك تموت واحدة في الجماعة أصلاً عشان جوزها مات لأن دي حاجه تضعفنا.

أومأ آي برأسه ليربت رشد على كتفه قائلاً:

- لو قدرت تتغلب على التفكير اللي أنت بتفكر فيه ممكن تعيش.

استدار رشد ليواجه الحائط وراءه ليقرأ ما كتب عليه بالهيروغليفية بصوت عالٍ:

- «كمت للكمتيين» شعار عظيم بس أنا بس اللي أقدر أخليه حقيقة, أنا بس.

غادر رشد ليترك جماعة الكمتيين يغتصب رأس أعضائها ألف سؤال لا إجابة له فالإجابات الصحيحة قوة لا يستهان بها.

★★★

# «الفصل السابع والعشرون»

أشرقت الشمس لتحاول أن تقشع بعض الظلام الذي خيم على الأرض. بدأت أشعه الضوء تطارد الظلام في صمت فوق سطح روماني الذي انفضت جلسته مع شيماء و انتهت مع تلك الجلسة علاقته بها بعد ما علمت أنه يضاجع جنة. جلس روماني يتذكر جدالة مع شيماء وعقله لا يستطيع أن يتوصل إلي إجابة لأهم ما في الأمر بالنسبة له وهو كيف علمت شيماء بالأمر لم يهتم لأمر أمين فهو يعرف أن أمين لا يهتم لمثل هذه الأشياء لكن روماني شعر بأن السبيل الوحيد لمعرفة شيماء هي جنة فجنة فقط من كانت تعرف. في وسط تلك الأمواج المتلاطمة في عقل روماني رن هاتفه ليحمل روماني هاتفه بتراخي وكأنه غير مهتم ثم قام بالرد بداعي الفضول فلقد كان رقماً محجوباً:

- ألو!

أتاه صوت رشد الهاديء من الطرف الاخر:

- قدامك قد أيه وتبقي لابس بدله نضيفه؟

نهللت أسارير روماني قائلاً:

- مش قادر أفكر فرد مفيهوش شتيمه

ضحك رشد قائلاً:

- أنا هروح أجيب فطار على ما تلبس. هتلاقيني تحت البيت عندك, بدله نضيفه يا روماني.

أنهي رشد المكالمة لينظر روماني إلي هاتفه وكأنه يتأكد أن المكالمة قد أنتهت ثم قام والسعادة تملأ قلبه ليرتدي أفضل ما عنده. لم تمر ربع ساعة وكان روماني يقف أمام بوابة بنايته ينظر إلي رشد وسيارته المتهالكة ظاهرياً. كانت

موسيقي الجاز تفوح من سيارة رشد الذي أسند ظهره إلي كرسيه وأغلق عيناه مستمتعاً بتلك الموسيقي التي تداعب جزءً من انسانيته. وقف روماني بجانب رشد عاقداً يديه وهو ينظر إلي رشد الذي بدا وكأنه لم يشعر بوجود روماني ففتح روماني باب السيارة ليكتفي رشد بفتح عيناه لينظر إلي روماني نظرة لا معني فيها. ظل روماني صامتاً ينظر لرشد وكأنه ينتظر تبريراً لذلك الغياب أو على الأقل عناقاً بعده. ابتسم رشد قائلاً:

- أحضان وبوس مش هيحصل أنت عارفني, لف أركب!

رد عليه روماني وكأنه يستطلع وجود مشاعر في نفس رشد:

- أنت عارف أن أمك ماتت؟!

رد رشد بهدوء وهو يمد يده إلي الكرسي الخلفي ليجذب كيساً به طعام ومياه غازيه:

- إنت مش شفتني في الدفنة؟ بتسأل ليه؟

بدا روماني مندهشاً وهم ليسأل رشد كيف علم بأنه راه ليقتل رشد تلك الدهشة قائلاً بجدية:

- لأ أنا عايزك تبطل اندهاش عشان كدة طول ما أنت معايا هتبقي مندهش. سيب نفسك للتيار كده وروق, لف أركب بقي أنجز خلينا نفطر عشان ورانا مشاوير كتير.

التف روماني حول السيارة ذات اللون الأسود اللامع ليجلس بجانب رشد. مد رشد يده ليأخذ نصيبه من الطعام وروماني ينظر إليه فنظر إليه رشد قائلاً:

- حاجه تانيه مهمة, أي سؤال هتسأله عن الفترة اللي فاتت مش هجاوب عليه فمتسألش وكل عشان ورانا حاجات كتير.

- أنت بارد كده ليه يا عم أنت؟!

نظر إليه رشد وكأنه يقول له يكفينا حديثاً ثم بدأ يلتهم ما في العلبة من طعام

الذي كان قطعاً من اللحم على ما يبدو. أنهي رشد ورومانى طعامهما ليسأله روماني مازحاً:

- أيه العربيه الهلكانه دي يا صديقي جبتها منين؟ ولا مش هتقولي بردوا؟

نظر إليه رشد وكأنه قد شعر بالإهانة ثم تجرع ما تبقي من مياه غازية في زجاجته قائلاً في نبرة يملؤها التحدي:

- أربط حزامك!

ضحك روماني لينطلق رشد بالسيارة لتصطدم جسد روماني بالباب المجاور له وهكذا بدأت حياة مختلفة بين الصديقين.

*******

دلف سمعان إلي مكتبه يبدو عليه أنه ليس بخير ليجلس واضعاً رأسه بين كفيه يفكر. التقط سماعة الهاتف ليطلب قهوته علها تعالج بعض الذي أصابه. كان سمعان رجل في العقد الرابع من عمره شديد السواد, قاسي الملامح أصلعاً بالوراثه وكان ذا جسد فارع لكنه سمين إلي حد ما. تسلق السلم الإداري لبنك التجمع المملوك لأكبر رجال المافيا في مصر حتي أصبح مديره. أطلق سمعان زفيراً طويلاً وكأنه ينفث الأصوات بداخله ثم أمسك بأوراق قد وضعت على مكتبه لينظر فيها باهتمام. رن الخط الخاص بسكرتيرته ليرد عليها بصبر مهتريء قائلاً:

- عايزه أيه يا سما؟!

- في اتنين هنا عايزين يقابلوك.

- قوليلهم مش فاضي. مفيش حاجه اسمها مقابله من غير معاد يا سما....

صمت سمعان عندما سمع رجلاً يقول:

- قوليله اي بس وهو هيدخلنا!

نظرت إليه السكرتيره متعجبة من الأسم ليزداد تعجبها عندما جائها صوت سمعان المرتبك قائلاً:

- دخليهم يا سما بسرعه ومتدخليش حد علينا ولا انتي حتى.

لابد أن هناك شيء خطير ليأتي أحد أفراد جماعته إلي مقر عمله فالمصائب دائماً لا تأتي فرادى. دق الباب ليجيب سمعان بسرعة:

- أدخل!

نظر سمعان فإذا بشاب وسيم يرتدي حلة سوداء أنيقة يتبعه رشد, ذاك الذي هدم حياته في بضع دقائق. انتفض سمعان فكاد كرسيه أن يتهشم تحت هذا الوزن الهائل. كان خوف سمعان جلياً لدرجة تعجب لها روماني لكنه كان يتبع خطوات رشد الذي جلس بهدوء على الكرسي المواجه لمكتب سمعان ففعل روماني كما فعل صديقه. قال رشد بابتسامة دافئة:

- صباح الخير يا أستاذ سمعان.

لم يرد الرجل الذي بدا وكأنه قد رأي شيطاناً ليقول رشد باستخفاف:

- أنت لحقت تنساني.

استجمع سمعان شجاعته واعتدل في كرسيه ليقول:

- مقدرش أنساك, هو أنت تتنسي بردوا؟

نقر رشد بأصابعه فوق المكتب ثم مد يده ليمسك بلافتة كتب عليها «سمعان ماروني». نظر رشد إلي اللافتة قائلاً:

- تفتكر يا اي لو اليافطة دي كان مكتوب عليها اسم حد تاني, علياء مثلاً, كان هيبقي ليها لازمه؟ بالنسبه ليك يعني؟

رد عليه سمعان بحذر قائلاً:

- مش فاهم...

قاطعه رشد ليقول:

أكيد كنت هترميها وتجيب واحدة جديدة عليها أسمك. مش كدة؟

- اه طبعاً بس أنا مش فاهم.....

- أنا عايزك من النهاردة تفكر فنفسك كأنك زي اليافطه دي. أنا فكرت مع نفسي وقلت مينفعش أنفيك خالص من الصورة. مش عدل أني اخد منك كل حاجه بالرغم من إن ده اللي هيحصل بس يمكن تكون مهم في اللوحة اللي أنا برسمها.

أجاب سمعان وقد بدا عليه الضيق:

- يعني أنت تقصد أيه؟ أزاي هبقي يافطه وأزاي هبقي مهم؟ و أنت ليه بتقرر مصيري و أنت قاعد كده ومتخيل أني هسمع كلامك؟

أبتسم رشد ثم اقترب من سمعان قائلاً:

- عمرك شفت يافطه بتسأل؟ مش ذكي أنت خالص يا سمعان. أنت قدامك اختيارين أما أنك تبقي جزء من خطتي أو تبقي مش موجود.

ابتسم سمعان متصنعاً ثم قال:

- تمام!

نظر رشد إلي روماني قائلاً:

- نتكلم في المهم بقى مبدأياً اللي قدامك ده روما هتعتبره أنه أنا يعني لو قالك تعمل حاجه يبقي هو بينقلك أوامري أنا. الحاجة التانية عايزك تجهز أجتماع النهارد بليل مع الشخصيات المهمة في الجماعة عشان افهمكوا اتجاهنا هيبقي شكله ايه بعد ما أنا بقيت في المعادله. خلينا نتعشي النهارده مع بعض و انت اختار المطعم.

أعتدل رشد ليقف ومعه روماني ثم مد يده ليسلم على سمعان. أمسك رشد يد سمعان وظل ينظر في عينه حتي هربت عين سمعان من المواجهة فضحك رشد قائلاً:

- ياريت تكون صبور يا سمعان, معايا كل اللي أنت شايفه حواليك هيتغير وقصادي في فراغ أو تقدر تقول ضلمه لأن مفيش أي حاجه هتفضل من اللي

حواليك إلا اللي معايا بس.

التفت رشد ليغادر المكتب تاركاً سمعان يصارع نفسه. قد تكون القوة أكثر الوسائل العقلانية واللاعقلانية إقناعاً لكن البشر بشراً لأن استجابتهم لا يمكن أن تكون متوقعة في كل مرة.

★★★

# «الفصل الثامن والعشرون»

غادر رشد ورومانى وتركا سمعان بين أمران كلاهما في نظره انتحار. إن أطاع رشد سيخسر كل شيء بناه وعاش من أجله حتى أصبح صرحاً عظيماً ومن ناحية أخرى هو لا يعرف أي مجنون هذا قد يمتلك قوة في الغالب ستدمره وتدمر كل من حوله فما رآه في عين رشد كانت قوه لم يرها إلا في المخطوطات القديمة, كانت قوة حكا. أما إن قرر أن يواجه رشد فهو لا يعرف أي حرب سيقود ولكن كان هذا هو الأمر الذي ظن أنه يحتمل النجاح أو الفشل بالطبع هو مخاطره لكن سمعان كان أقوى ساحر في مصر وبالتالي كانت الحرب قراره الذي توصل إليه بعد عدة دقائق من حساب الاحتمالات الواردة بطريقة أرباب الأرقام التي اعتاد عليها.

احتسى سمعان ما تبقي من قهوة في فنجانه ثم لملم أشياءه بتوتر لازمه كظله ليخرج قائلاً لسما مديرة مكتبه:

- سما أجلي أي حاجه كانت نازله على جدول الشغل النهارده واعمليلي أجازة تلات ايام وديها شئون العاملين.

نظرت ليه سما بتعجب وقالت:

حصل حاجه يا مستر سمعان؟!

- مشكله بس في البيت. ريكو تعبان شويه و انتي عارفه انا بحبه قد ايه!

- بس يا مستر دي حاجه متستاهلش تلات ايام اجازة!

نظر غليها سمعان وعيناه تقول أن هذا أفضل تبرير قد يستطيع الإتيان به ثم هم بالانصراف فأوقفته سما قائلة:

- أنت عندك اجتماع مع ميس عنان, هيتأجل أزاي ده؟!

تسمر سمعان وكأن صاعقة قد نزلت عليه ثم بدا وكأنه لا يملك من الأمر شيئاً وهو يقول:

- أتصرفي يا سما

جذب حقيبته التي تركها على مكتب سما ووضعها على كتفه ثم غادر مسرعاً. لحقت به سما عند باب المصعد وهويهم بركوبه فنادت عليه, ضغط سمعان أحد الأزرار وخرج من المصعد حتى أقتربت منه سما التي قالت:

- أنت مش هينفع تمشي أنا راجعت الجدول والاجتماع ده كان مع مستر عدنان ومن نص ساعة مديرة مكتبه غيرت المعلومات على السيستم وخلت الاجتماع مع بنته.

نظر اليها سمعان وهو يمسح رأسه البر اقة ثم قال بحدة غريبة تفوق ما يستدعيه الموقف:

- قلتلك اتصرفي يا سما!

- أتصرف أزاي؟! أنا مش هعرف أتصرف. كلمها أنت وقلها انك عندك ظروف لكن أنا أضيع مستقبلي واحتمال عمري عشان أعملك خدمة؟! أنا آسفة جداً يا سمعان مش هقدر, أنت عارف أن أنا عندي أولاد زيك بالظبط.

نظر إليها سمعان بعدما شعر بأن فرصه في الحياة تتقلص, وكأنه يغامر بالرهان على حصان أعرج لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يفوزلكنه قرر أنه إما أن يحافظ على كل شيء أو يخسر حياته فحياته و انجازاته سيان.

رد عليها سمعان وهو يربت على كتفها وكأنه يقر بأنه يتفهم موقفها قائلاً:

- معلش أنا اسف أنا دماغي متلخبطة بسبب موضوع ريكو ده ومعرفش أنا أزاي طلبت منك طلب زي ده. أنا هكلم عنان و أنتي متنسيش بس تعمليلي أجازة زي ما قلتلك.

هزت سما رأسها في تفهم للوضع وارتسمت على وجهها ابتسامة ماكرة قائلةً:

- هبقي أتصل بيك أتطمن على ربك متخافش أكيد هيبقي كويس.
ابتسم سمعان وهو يدلف إلي المصعد ثم أغلق باب المصعد ليغوص سمعان بكل ما أوتي من قوة في بحر مظلم لم يكن يدرك مدى ظلامه.

***

خرج رشد يتبعه روماني من البنك ليركبا السيارة. قاد رشد في صمت ليلتف حول البنك ثم أوقف السيارة أمام بارفخم شهير يقع خلف البنك مباشرة يسمى خاروشي. نظر روماني إلي رشد الذي كان يجول بنظره في الشارع والشوارع المحيطة بطريقة غريبة لم يفهمها روماني حتى مرت بجانبهم مصفحة من مصفحات قوات المقاطعة تابعها رشد وروماني باهتمام حذر حتى اختفت عن نظرهم. مد رشد يده تحت مقعده ليخرج طبنجة تسمي الجعران طويلة المدفع, ذات لون زمردي يجعل جمالها يفوق جمال كثير من النساء في نظر روماني فلقد كانت تلك الطبنجة مخصصة للقوات الخاصة كتسليح شخصي وكان روماني حزيناً حين أضطر إلي تسليمها بعدما انتهت فترة خدمتهم. نظر روماني إلي الطبنجة بهيام غريب و ابتسامة تشبه ابتسامة الأطفال فلقد كانت أفضل طبنجة تنتجها مصانع التسليح الشخصي في مصر وكان تصنيفها الثالث على العالم. مد رشد يده بالطبنجة ناحية روماني قائلاً:

- دي هديتي ليك. أنا عارف أنك بتعشق الطبنجة دي.

أمسك روماني بالطبنجة بدون أن ينطق بكلمة واحدة متفحصاً إياها ثم دسها في جيبه بعدما تذكر أنه لا يجب أن يراه أحد ممسكاً بها خاصة في حي الأعضاء. عادت تلك التساؤلات التي تنهال على عقله بإلحاح فنظر إلي رشد قائلاً:

- أنت مش شايف أنك المفروض تفهمني ايه اللي بيحصل؟ مين سمعان ده

و أيه اللي موقفنا هنا؟ وأزاي أصلاً دخلنا حي الأعضاء....

قاطعه رشد قائلا بهدوء شديد:

- في حاجات كتير مش هعرف أفهمهالك لأنك مش هتفهم ولازم تتقبل الموضوع ده!

بدأ روماني يفقد أعصابه قائلاً:

- يبقي أنا أنزل دلوقتي أوقف أم تاكسي يوديني البيت. أنا معاك في أي حاجة و أنت عارف كده بس أنا مش حمار هتمشيه بمزاجك. أنا خلصت من تخلف أبويا هتطلعلي أنت؟!

ابتسم رشد قائلاً:

عايز تفهم ايه؟

- مبدئياً كدة أحنا أزاي دخلنا هنا؟ العسكري بصلك راح فتح البو ابة من غير حتى ما يسألك على ورقك؟

قال رشد ممازحاً إياه:

- أنا وشي بطاقة يا ابني أنت مجنون؟

- وحياة الست أميرة متبقي بارد عشان أنا بدأت بجد أتنرفز!

نظر إليه رشد وكأن الأمر ليس بيده قائلاً:

- دى من الحاجات اللي مش هعرف أفهمهالك إلا لو أنت اتحطيت مكان العسكري ده.

ضرب روماني كف بكف وقد ازداد غضبه ونظر لرشد الذي بقي ثابتاً على نظرته المقتولة وكأن الحياة اجتثت منها فأخرج روماني علبة صغيرة ثم أخرج منها حفنة من الحبات الزرقاء اللون ليتناولها جميعاً ثم أعاد النظر لرشد وهو يمضغها قائلاً وهو يقاوم المرارة التي غزت فمه لتغذي عروقه:

- يعني أنت مش هتفهمني؟!

نظر إليه رشد قائلاً:

- بص أنا ممكن أقلك أن أنا مقنع جداً من نظره واحدة أي حد هيعمل اللي أنا عايزه من غير أسئلة بس أنت صاحبي وعشان كدة أنا مش بعمل كدة معاك.

استسلم روماني للأمر لأنه يعرف أن رشد في غالب الأحيان لا يغير قناعاته.

نظر روماني إلي رشد قائلاً:

- ممكن تفهمني أحنا بنعمل أيه ومين سمعان ده؟ ولا دي كمان مش هفهمها؟!

- أحنا هنا عشان أنا عايز كل حاجه

- كل حاجة أزاي مش فاهم؟

- مصر بقت أغني و أقوى دول العالم لأنها من أول الدول اللي اهتمت بالزراعة وبمجرد ما اخترعنا الأفيوكين والعالم كله بقى يشتريه مننا بقت المافيا فمصر أقوي من معظم المنظمات اللي في العالم, بس أنا شايف أنها مش قويه كفايه, لسه مخرجتش بره الحدود.

- ما احنا خدنا السودان يعني!

- السودان أصلاً جزء من مصر ده مش انجاز يعني.

- احنا مالنا بالمافيا أصلاً تبقي قوية ولا ضعيفه؟ أنت ناوي تدخلنا مافيا؟!

- لأ أنا ناوي أعمل مافيا

- يا حول العالم! أنت عيلتك أجمد واحد فيهم بيتاجر في الحديد يا عم.

- مين جاب سيرة عيلة؟ أنا فاهم أن لو مش عيله كبيرة مش هتاخد تصريح من الأعضاء بس احنا مش هنروح للأعضاء نقدم طلب على تصريح!

- أنت متخلف. صح؟! أنت عايزنا نشتغل من غير تصريح؟

- هما اللي هيدوروا علينا عشان يدونا تصريح لأن مواجهتنا مش هتبقى اختيار صح.

نظر إليه روماني وهو يظن أن رشد قد فقد صوابه على أقل تقدير فضحك رشد للمرة الأولى منذ عودته قائلاً:

- متخافش أنا مش مجنون. تعالي ننزل نشرب كاسين بدل ما احنا مستنين هنا.

فتح رشد الباب المجاور له ليتبعه روماني قائلاً وهو يغلق بابه:

- احنا مستنين ايه اصلاً؟!

- مستنين آي أو سمعان.

لحق به روماني قائلاً:

- سمعان اللي كنا لسه عنده دلوقتي؟!

- أيوه!

- مش ده هنقابله بليل؟!

نظر إليه رشد بمكر قائلاً:

- و أنا مديلك الطبنجة ليه؟

فتح رشد باب البار لتصب روماني الدهشة من شدة جماله فبالرغم من الإضاءة الخافتة بسبب الوقت إلا أن المنظر كان واضحاً. كانت جميع الحوائط حمراء إشارة إلي علم روسيا تتدلي كرات لامعه من السقف في كل مكان فوق تلك الطاولات السوداء اللامعة واحتل البار منتصف المكان تماماً على شكل مربع تقف فيه أربع فتيات في غاية الجمال. كانت المضيفات ترتدين البكيني والخمر في كل مكان وكان هذا لروماني كالجنة. اتجه رشد ناحية طاولة معينة في إحدى الزوايا فأتته النادلة قائلة:

- أنا آسفة يا فندم بس الطربيزة دي محجوزة!

ابتسم رشد لينظر في عينا النادلة قائلاً:

- أنا عارف لأن سمعان اللي حاجزها, أنا بس اللي بحب اجي قبل معادي يا

نرمين. ممكن تجيبي أزازة كويسكي وسبع كبايات؟!

نظرت إليه النادلة في تعجب قائلة:

- حضرتك عرفت اسمي منين أنت أول مرة تيجي هنا؟!

رد رشد وهو يجلس قائلاً:

- ماشي يا نرمين يا حبيبتي يا ريت تجيبي شمبانيرة فيها تلج عشان روما بيحب التلج.

أضاف مازحاً روماني وهو يجلس:

- وبحب اللون الأحمر جداً. _ في إشارة إلي لون ما ترتدي _

نظر إليه رشد زاجراً ثم تبسم ناظراً للمضيفة وقال:

- أنا بعتذر عن تصرفات صديقي و أتمنى أنك تجيبي اللي أنا عايزه بسرعة.

شعرت نرمين بالحرج الشديد لتغادر طاولتهم مسرعة فنظر رشد إلي روماني قائلاً بحدة هادئة:

- أنسي الشغل بتاع زمان ده وركز عشان أنا مش هسمح بغلطات صغيره ممكن تبوظ اللي بنعمله.

- و أنا عملت ايه يا عم رشد أنا....

قاطعه رشد قائلاً:

- البارده بتاع عدنان الجنايني اللي هو مافيا الجنايني وليه تقريباً أربعين في الميه من البنك اللي احنا كنا فيه ولو البت الجربوعه دي قالت للأمن أنك اتحرشت بيها هنعمل دوشه مش هي الدوشة اللي أحنا جايين نعملها. يبقي نركز ولا لأ؟

قال روماني بعدما جعله رشد يشعر كالطفل الصغير الذي اقترف جرماً:

- أنت صح. بس صحيح قلي أنت هتشربنا كويسكي؟ جبت الفلوس منين وصحه منين؟

قال رشد وقد عادت ابتسامته وكأنه لا يريد أن يضغط على روماني:

- أنت شربته قبل كده؟!

- لأ بصراحه أنا بسمع عنه بس. أنت عارف أنه مش موجود غيرفي بارات الحي هنا. بيقولوا أن الكوكايين اللي محطوط على الويسكي ده بيخليك عندك طاقه مش طبيعية.

- ما أنا جايبه مخصوص عشان أنت بالذات هتحتاج طاقه.

عادت نادلة أخري ومعها الزجاجة والأكواب والثلج. وضعت كل شيء ثم تسائلت بمهنية شديدة:

- تحبوا أي حاجة تاني؟ فاكهة مثلاً؟

رد عليها رشد قائلاً:

- لما الناس تيجي هنشوف. شكراً ليكي!

انهي رشد حديثه لينظر إلي ساعته بهدوء ثم أخرج سيجارة لشعلها وينفث دخانها وهو يتأمل الجمال في هذا المكان الذي سيشهد بداية كل شيء، سيشهد عشرات القطع التي سيحركها رشد بمهارة لم يري مثلها من قبل ليتغير العالم المعروف بداية من تلك الطاولة.

★★★

# «التاسع والعشرون»

أطفأ رشد سيجارته وهو ينظر إلي روماني الذي بدأت الطاقة تغمر جسده بسبب الكويسكي وبدأت ساقاه تهتز بسرعة شديدة والعرق ينهمر من جبينه.
أمسك رشد بساق روماني التي أزعجه اهتزازها قائلاً:
- اهدي كده وركز معايا.
نظر روماني لرشد وعيناه قد جحظتا قائلاً:
- أنا معاك فأي حاجة!
ابتسم رشد قائلاً:
- جميل جداً! سمعان قدامه تقريباً ست دقائق ويبقي هنا لما ييجي أنا هبعته معاك هتاخده قدام السحر والجمال وتضربه طلقتين واحده فقلبه والتانيه فدماغه زي زمان! وترميه وتيجي.
- والدب القطبي ده هييجي معايا عادي كده؟!
- الأول خد كيس الهروين ده هتحطه فجيبه بعد اما تموته.
مد روماني يده من تحت الطاولة ليأخذ الكيس ويدسه في جيبه في هدوء.
أمسك رشد بكتفه قائلاً:
- تعالي معايا نغسل وشنا في الحمام.
- لأ أنا تمام روح أنت.
ضغط رشد على كتف روماني قائلاً وهو يشير بعينه ناحية النادلة التي كانت تنظف طاولة قريبة منهم قائلاً:
- أنت محتاج تفوق عشان الناس جايين واحنا هنتكلم في شغل.
فهم روماني وقام مع رشد و ما أن دخلا إلي الحمام حتى أغلق رشد الباب

مناولاً عامل النظافة ورقة مالية من فئة الخمسمائة جنية ليدسها الرجل في جيبه ويذهب بدون أسئلة. وقف روماني وهو ينظر لرشد بتعجب قائلاً:

- في أيه؟

- فاكر حوار العسكري اللي دخلنا بمجرد ما بصلي؟

- اه مالوا؟

- دلوقتي أنا هعمل معاك حاجة شبه كدة. أنا عايزك متخافش لأن الموضوع ده مهم جداً.

ضحك روماني مخبئاً خوفه وهو يقول:

- أخاف من أيه يعني؟ أنت صاحبي يا ابني!

- بالظبط! أنا هخليك تبقي مرتبط بيا يعني مش هنحتاج نتكلم عشان نفهم بعض وفنفس الوقت عشان سمعان ده ساحر ولازم يشوف عنيك كأنها عيني أنا عشان ميتهورش.

- أنا معنديش مشكلة.....

كان رشد يطرق بنظره إلي الأرض لكن عندما رفع رأسه ورأي روماني عيناه احتبست الكلمات في حلقه فأمسك رشد رأسه بقبضة حديديه ليجبر روماني على النظر في عينه حتى غاب عن الوعي للحظات وعاد مرة أخرى ما يقرب من الخمس مرات وفي النهاية عادت عينا رشد لطبيعتها وهدأت أنفاس روماني التي بدت وكأنها أنفاس رجل يغرق. أمسك روماني بالحوض المجاور له ليمنع نفسه من السقوط بعدما شعر بعدم وجود ساقاه. نظر إليه رشد وكأنه يأسف على ما فعل قائلاً:

- أغسل وشك واطلع أشرب كاس عشان الطاقة اللي فجسمك كلها استهلكت.

نظر روماني لرشد والرعب يبدو على وجهه قائلاً:

- أيه اللي أنت عملته ده يا رشد أنت كأنك مليت قلبي غضب هيقتلني أنا شخصياً.

- متخافش ده شعور مؤقت على ما تخرج هيكون راح.

خرج رشد ليترك الباب مفتوحاً فغسل روماني وجهه وهو ينظر في المرآة ولا يوجد شيء في عقله سوي صورة عين رشد التي شعر وكأنها تجذبه لتأخذه في رحلة إلي كل الآلام التي عانى منها في حياته. كيف يفعل رشد أمر مثل هذا به؟

خرج بعد أن جفف وجهه ثم توجه إلي الطاولة وأمسك بزجاجة الكويسكي ليصب منها حتى ملأ الكوب ثم أشعل سيجارة وتجرع الكوب جرعة واحدة وجلس يدخن سيجارته وبينما هم كذلك سمع روماني صوت باب الباريفتح فنظر لرشد الذي أومأ برأسه أن نعم فقال له روماني وهما يرفعان كأسيهما:

- الموت للأموات

كان هذا شعار القوات الخاصة قبل المعارك. ابتسم رشد وقام فاتحاً ذراعيه بهدوء قائلاً بصوت عالٍ:

- مش مواعيد دي على فكرة.

نظر روماني خلفه ليجد سمعان يصحب ستة رجال يبدو على ملابسهم أنهم يشغلون مراكز مرموقة في المجتمع. نظر الرجال الستة لسمعان الذي تسمر في مكانه فجلس رشد بهدوء مشيراً لسمعان أن يتقدم لكن سمعان لم يحرك ساكناً فقال رشد بصوت عال:

- تعالي يا سمعان بعد إذنك.

تحرك سمعان ناحية رشد الذي أمسك بيده بحزم وهو ينظر للرجال الستة وهم و اقفون كالأصنام ليجلسه بجانبه ثم وضع يده حول كتفه ليهمس في أذنه قائلاً:

- مش عيب حساباتك تطلع غلط, أديك خسرت كل حاجه عشان جاهل لو كنت قريت كويس كنت هتعرف أنا أيه وبالتالي كنت هتسمع كلامي.

التفت رشد لباقي الرجال قائلاً وهو يشد يده حول رقبة سمعان:

- سمعان أصر أننا نتقابل الصبح مع أني كنت عايز نتقابل بليل. بليل البار كان هيبقي أحلي أعتقد.

وضع رشد يده الأخرى على ساق سمعان قائلاً بلهجة آمرة سرت في جسد سمعان كالتيار الكهربائي:

- شايف روما اللي أنت قابلته الصبح هتروح معاه مشوار أو هتقعد معانا وهو هيروح مشوار لوحده.

نظر سمعان لرشد والدموع تحتبس في عيناه قائلا وهو يتلعثم:

- مشوار أيه؟

- أنت عارف المشوار اللي أنت هتروحوا معاه بس لو أنت مرحتش معاه هو هيزور ريكو وليلي وهيجيبهملي. أنت عارف ساحر زيي أكيد مش هيرفض تضحيه أو أتنين ومتقولش أنك متعرفش التضحية عند حكا كمان متقولش أنك جاهل للدرجه دي.

التفت رشد لينظر إلي روماني قائلاً:

- تفتكر للدرجة دي هو جاهل يا روما؟!

تلعثم سمعان وهو يقول وقد استسلم أخيراً للأمر الو اقع:

- لأ أنا عارف ميزان القلب, أنا هقوم معاه يا رشد.

تقبل سمعان أن النتيجة الحتمية كانت موته منذ أن رأي رشد وقام وهو يجر قدماه فاصطحبه روماني الذي أخذ مفاتيح سيارة رشد ليخرجا معاً بهدوء تام. أمسك رشد بزجاجة الكويسكي وبدأ يصب في الأكواب السبعة ثم نظر للرجال قائلاً:

- أنا عارف أنكوا اللي حاجزين الطربيزة فعادي لو قعدتوا!

تحرك الرجال بحذر ليجلسوا حول الطاولة ليرفع رشد كأسه ويتبعه في ذلك الباقين قائلاً:

- في صحة قائد جديد مبيقبلش الخيانة!

تجرع الجميع كؤوسهم في صمت ثم أعاد رشد ظهره للخلف ليشعل سيجارة وهو يشاهد انفعالاتهم ويتغذي على خوفهم المختبئ خلف تلك الأقنعة التي تدربوا على وضعها بحرفية شديدة. استنشق رشد الهواء بعمق وكأنه يتلذذ قائلاً:

- أنا فعلاً كنت مش بصدق أن الخوف ليه ريحة بس طلع الكلام ده حقيقي.

ظل صامتاً والرجال الستة يحاربون خوفهم وهو ينظر إليهم متلذذاً حتى استجمع احدهم قواه قائلاً:

- أستاذ رشد أنت عايز مننا أيه؟!

ضحك رشد بصوت عال وصل إلي القهقهة وبدأ جميع من في المكان بالنظر إليه فرفع رشد يده معتذراً للجالسين معه ليقول وهو يخرج الكلمات من بين ضحكاته بمجهود كبير:

- معلش أصل أنا قلت أول واحد هيتكلم هيموت لأنه هيبقي أشجع واحد بس مكنتش متخيل أنوا هيبقي النقيب مجدي.

ظهر الرعب على وجوههم مما زاد من ضحك رشد حتى دمعت عيناه فقال لهم:

- أنا بهزريا جماعه عادي جداً أنا كنت عارف أن مجدي هو اللي هيتكلم. وبعدين حد يراهن على حياة أنسان إلا لو كان يائس زي سمعان كده؟! فعلاً سمعان راهن على حياتكوا معاه لأنوا مش قائد وعمروا ما كان هيبقي قائد يليق بالجماعة بتاعتكوا.

فرد النقيب مجدي الذي ظن من أفعال رشد أنه مجنون من المجانين التي أمتلأت بهم الطرقات:

- و أنت بقي يا مدرس الفلسفة اللي تنفع قائد؟!

- أنا عارف أنك جبت رسام وخليتوا رسملي صورة ودورت عليا على السيستم وجبت كل بياناتي, حقيقي ذكي وعجبتني! بس يا سيادة النقيب الجماعة

بتاعتكوا أصغر بكتير من أني أبقي القائد بتاعها عشان كده بكره بليل هيبقي في انتخابات في المعبد بينكم أنتوا الستة اللي هيكسبها هيبقي قائد الجماعة والخمسة الباقيين هيبقوا مجلس حكم للجماعة.

فرد نادي الجزار بعدما استجمع شجاعته قائلاً:

- يبقي أنت كدة مستفيد أيه؟

- سؤال هايل يا نادي أنا هيبقي ليا الحكم في القضايا الكبيرة زي مثلاً إن الجماعة تتطلع للعلن.

- بس ده في خطورة علينا من الأعضاء لأن تكوين الجماعات محظوريا رشد.

نظر رشد ليجد التساؤل ذاته في عيون الجميع فقال وهو يقترب من الطاولة بجسده كله هامساً بصوت يقترب من الفحيح:

- أنا كمان شهرين يا نادي هبقي رئيس الأعضاء زي ما أنت بكرة بليل هتبقي رئيس الجماعة.

اعتدل رشد في كرسيه قائلاً:

- بكرة بليل بردوا كل واحد فيكوا هيبقي معاه تلاتين راجل خدموا قبل كده في القوات الخاصة ويكونوا شباب صغيرين ومحدش فيهم يكون مدمن ولا حتى سجاير. معلش أنا مش بثق في مدمنين لما يمسكوا سلاح. وهعتبرده هدية تعارف منكم. أنا هحضر الانتخابات بصفتي الكاهن الراعي للجماعة وهقول كلمة وهمشي والحفلة هتبقي بتاعتكم أنتم.

رد زكريا الناعم الذي كان أشهر محامي في القاهرة حتى أصبح محامي عنان عدنان الشخصي قائلاً:

- أنت عايز ميه وتمانين راجل ليه؟.

ظهر الغضب على وجه رشد ليقول بهدوء مخيف:

- لأ مش أنا الشخص اللي توجهله سؤال عشان تفهم هو هيعمل أيه أنا توجهلي سؤال عشان تفهم أنت هتعمل أيه. متفقين يا ناعم؟!

طأطأ الرجل رأسه قائلاً:

- متفقين يا رشد.

التفت رشد لنادي قائلاً:

- نادي أنت هتتفرغ خالص للجماعة وعشان كدة أنا هخلي روماني يدور المقاطعة بتاعتك اللي هي الفاروقية والنشاطات بتاعتك هتفضل شغالة وفلوسك هتدخل جيبك من غير ما تنقص أنا بس عايز التواجد, النفوذ يا نادي. هو هيعدي عليك بكرة الصبح فالبيت الصبح عشان تاخدوا تعرفوا على رجالتك.

قام رشد معتدلاً وهو يقول:

- أنا اتشرفت بمعرفتكوا وعايزكم تعرفوا أن اللي حوالين الملك ملوك و أنا أختارتكوا في الدايرة القريبة مني. لازم تفتخروا بكده.

أشعل رشد سيجارة ثم قال:

- يا ريت صح يبقي كل واحد فيكوا بعد ما خبر آي ينزل بليل يروح البيت ويسبلهم مبلغ محترم كده و أنا هبقي أديهولكوا بكره بليل وده هيفضل كل شهر. آي خانني اه بس ريكو وليلي مأذوش حد ولا إيه.

تحرك رشد مغادراً ليبتلع الجميع ريقه وهم يتبادلون نظرات الخوف والقلق. انفض المجلس ليعرف الجميع دوره ومكانه ولكي تبدأ أول قطع الشطرنج بالتحرك ليتبعها سيل من التحركات التي لن يستطع أحد ايقافها.

خرج رشد ليوقف سيارة أجرة متجهاً لتلك الفتاة التي لم يهتم بأحد عداها سوى أمه. لم يكن رشد يحب جاكلين في الحقيقة لم يحب رشد أي فتاة على الإطلاق لكنه كان يشعر بارتياح معها لا يستطيع تفسيره. ذهب رشد مسرعاً لكي يدرك حجم التضحية التي قام بها لكي يصبح الفرعون الأخير.

★★★

# «الثلاثون»

استيقظت جاكلين كعادتها متأخراً بعدما أشارت عقارب ساعة الحائط الخشبية العتيقة التي ورثتها عن أبيها إلي الثانية بعد الظهر. نظرت بعينها الناعسة إلي الساعة وشعرها الأسود القصير منسدل بشكل فوضوي على وجهها. بدا وكأنها تقاوم جاذبية ذلك السرير الذي احتل جزءً كبيراً من الأستوديو الذي اشترته جاكلين بكل ما ورثته عن أبيها لتستقل بحياتها عن أمها التي كانت تصبو إلي ذلك لتستطيع أن تستمتع بحياتها كما كانت تقول. قامت جاكلين بأعجوبة عارية تماماً لتمتد يدها إلي ذلك الروب الحريري الأسود لتغطي به جسدها ثم توجهت إلي ثلاجتها الفارغة إلا من زجاجة فودكا قاربت على الانتهاء وبعض حبيبات الطماطم. أعدت لنفسها كوباً من البلودي ماري ليساعدها على التخلص من الآلام الناتجة عن ما تجرعته في الليلة السابقة. جلست جاكلين على كرسي من اثنين حوتهما تلك الغرفة الصغيرة لتمتد يدها إلي تلك الطاولة السوداء مثل كل ما في الغرفة التي لا تحوي أي نو افذ لتأخذ نصف سيجارة حشيش تبقت من الأمس وتشعلها. بدأ ذلك الصداع الرهيب بالتلاشي لتسانده الضوضاء الناتجة عن طرقات يد قوية على الباب في حربه ضد السلام الداخلي لجاكلين. نظرت جاكلين ناحية الباب بتراخي أو لا مبالاة قائلةً:

- مين؟!

- دليفري!

- مطلبتش دليفري أنا!

- مش ده أستوديو ميه وخمسه أستاذة جاكلين؟!

-أيوة بس أنا مطلبتش حاجة!

قامت جاكلين متأففة لتجد رجلا يرتدي زياً ما يحمل حقيبتان كبيرتان فناولها الرجل دفتراً وقلما قائلاً:

- أنا هحتاج بس توقيع حضرتك هنا

- أنا مش معايا فلوس أدفع ومطلبتش حاجة أصلاً يا عم أنت!

- حضرتك الحساب خلصان أنا محتاج بس توقيع بالاستلام.

نظرت جاكلين إليه بتعجب وهي تضع توقيعها متسائلةً:

- مين اللي طلب الحاجات دي وحاسب عليها؟

- حضرتك أنا دليفري بوصل بس.

هم الرجل بالرحيل بعدما حصل على التوقيع لتحمل جاكلين الحقيبتان الثقيلتان وتدخلهما إلي شقتها. استدارت جاكلين لتجد رشد يقف على عتبة بابها تفوح منه رائحة عطرية جذابة ويبدو على وجهه الراحة والرخاء. صرخت جاكلين ثم جرت ناحية رشد لترتمي في أحضانه باكية وهي تقول:

- وحشتني أوي يا رشد, أنت ليه سبتني كل ده؟!

وضع رشد يده على كتفها وهو يمسح دموعها بيده الأخرى قائلاً:

- يعني أنا أول مرة أجيلك في الكهف بتاعك ومش هتدخليني؟

ابتسمت جاكلين ثم أمسكت بيد رشد وهي تقوده للداخل قائلةً:

- ساعات كتير بحس أنك حيوان!

ابتسم رشد لتسأله جاكلين:

- بتضحك على أيه؟!

- أمي كانت على طول بتقولي الكلمة دي «بحس أنك حيوان» بس هي كانت غلطانة المفروض نحس بكدة على طول عشان ندي لنفسنا انطباع أن احنا أحسن.

أغلقت جاكلين الباب ليجلس رشد على أحد الكرسيين لتجلس جاكلين في حجره قائلة:

- بس أنا بالرغم من كلامك المتخلف ده وأن أنا شفتك مرتين تلاته بس قبل كده بس بحس أن أنت زي المغناطيس بتشدني ليك وطول ما أنت موجود مبعرفش أشيل عيني من عليك.

داعب رشد شعرها ليقول بصوت حاول جاهداً أن يكون ودوداً:

- نفس الأحساس صدقيني من أول ما شفتك قاعدة على الطربيزة في النادي وماسكه موبايلك بتلعبي فيه.

طالت النظرات بينهما لتقبل جاكلين بوجهها لتقبل رشد الذي أمسك برأسها ليوجهها ناحية كتفه ثم احتضنها قائلاً:

- أنا مقدرش أعمل كدة!

حررت جاكلين رأسها من حضنه لتقول بتعجب شديد:

- متقدرش تعمل أيه دي بوسه!

- أنا عارف بس أنا متحرم عليا الجنس عامة, مقدرش.

- أنت مش حابب تعمل كدة قول بس متكدبش يا رشد!

قامت جاكلين لتتجه إلي الثلاجة ثم أخرجت زجاجة الفودكا لتصب منها كأساً ثم أشعلت سيجارة لتقف أمام رشد الذي قال لها:

- لازم عشان ناخد حاجه نضحي بحاجه تانية يا جاكي. في الحقيقة أنا مش بس محرم عليا أنا أصلاً مبحسش بأي حاجة ولا خوف ولا حزن ولا فرح ولا حب ولا أي حاجة.

- يا سلام! و أنا بقي هحبك من طرف واحد؟ يا جبروتك يا أخي!

- أنا بحبك بعقلي وصدقيني دي مرحلة أقوي بكتير من المشاعر. أنا مش بقولك لازم تبقي معايا أكيد ده اختيارك بس في الأول والاخر أحنا أصحاب.

أفتكري كدة دايماً.

رن هاتف رشد ليرد بسرعة قائلاً:

- تمام يا صديقي. الموت للأموات!

صمت رشد قليلاً ليستمع إلي ما يقوله روماني ثم قال له:

- خلاص اسبقني على السطح عندك وكلم الواد أمين وجنة خليهم ييجوا.

وضع رشد الهاتف في جيبه لتسأله جاكلين:

- ده روما؟

- اه! قومي البسي عشان أنا عايز أفهمكوا شوية حاجات

- حاجات ايه؟

- مش أنتي من جواكي هتموتي وتعرفي أنا ناوي أعمل أيه؟ ألبسي عشان نروح نقعد مع بعض وهتعرفي هناك كل حاجه.

قامت جاكلين لتتجرد من الروب أمام رشد قاصدة اختبار ما قاله لتجد أن رشد لم تتغير نظرته لم تشعر بتغيير في أي شيء وكأنه ميت لا روح فيه.

***

عندما تلقي بصخرة من قمة جبل فإن توقعك بأنها لن تصل إلي القاع محض غباء وكما تحكم قوانين الفيزياء المادة هناك قوانين قريبة الشبه منها تحكم حياة البشر. وقف رشد فوق سطح بيت روماني بعد الكثير من الأحضان والقبلات والتساؤلات التي لم يجب عليها ير اقب الشمس في صمت وهي تغوص برفق وراء أسطح المنازل التي غطتها الأتربة والقمامة في منظر أثار تقزز رشد. تحدث رشد مخاطباً أمين وروماني بدون أن يلتفت قائلاً:

- فاكرين منظر الغروب كان عامل أزاي لما كنا في سر ابيت الخادم؟!

رد روماني وهو يملأ صدره بالهواء الفاسد:

- كان هيبقي أجمل منظر شفته فحياتي لو مكانش المطاريد بيضربوا علينا

نار أربعة وعشرين ساعة. كانت المرة الوحيدة اللي جالنا فيها تكليف في سينا.
رد أمين وهو يشعل سيجارة قائلاً:
- دي حقيقة. فاكر رشد كان بيقول ساعتها ده أحسن مكان الواحد يتدفن فيه!
التفت رشد ليتحرك ناحيتهم قائلاً في هدوء:
- من تلتميت سنة تقريباً الناس كانت فاكره إن المستقبل كمان تلتميت سنة هيبقي أجمل والناس دلوقتي فاكرة إن كمان تلتميت سنة المستقبل هيبقي مشرق, غباء مطلق نابع من إن الإنسان ميعرفش يعيش من غير أمل, ميعرفش يستحمل المعاناة من غير سبب ولما مبيلاقيش سبب بيحاول يلاقي أي حاجه يضحك بيها على نفسه وبيسميها أمل. الفكرة إن مفيش حاجه هتبقي أحسن في المستقبل طول ما الو اقع هو هو ومفيش و اقع هيتغير طول ما العقول مبتتغيرش. الإنسانية بعد فترة كبيرة من الزمن إكتشفت إن القوة وإرضاء الرغبات هما الحاجتين اللي إحنا عايشين بيهم عشان كدة دلوقتي مبقاش في بحث علمي ولا مركبات فضائية زي الأول بقي مجرد الحاجات اللي إحنا محتاجينها دلوقتي, دلوقتي أو اللحظة اللي أحنا فيها بقت كل حاجة.
ردت جاكلين بحنق:
- أيوه أنت عايز توصلنا إيه؟!
بدأ رشد بالتحرك وهو يتكلم قائلاً:
- عايز أوصلكم أن أي تغيير حصل في الو اقع كان في الأول خيال مكتوب على ورق, بالنسبة لناس كتير أساطير ولما الخيال ده ناس آمنت بيه بقي و اقع. المهم أنوا في الأول كان أسطورة من الأساطير, مجرد خر افة بس الخر افات ساعات كتير بتبقي أحسن من الو اقع بكتير.
رد روماني مازحاً:

- الواحد يا رشد بقعد معاك نص ساعة بيحس بغباء مبيحسش بيه من غيرك.

ضحك الجميع وأشعلت جنة سيجارة حشيش لتناولها لأمين فأكمل رشد حديثه بجدية بعدما انتزع السيجارة من يد أمين وأطفأها قائلاً:

- أي كيان في الدنيا عشان يكون صلب ومتماسك لازم يكون ليه مركز سواء كان مادي أو معنوي.

ردت جاكلين وقد بدأت نوبات خفيفة من الفضول تسيطر عليها:

- يعني إيه يا رشد؟

ابتسم رشد قائلاً:

- أقلك أنا! يعني مثلاً الذرة ليها نواة والنظام الشمسي بتاعنا فيه الشمس والأسرة فيها الأب, مركز كل حاجة مترتبة عليه لو شيلتيه الكيان ده ينهار. فهمتي؟!

ردت جاكلين وقد بدا عليها الإعجاب برشد أكثر من كلماته:

- اه فهمت.

قالت جنة وهي تتجرع كأساً من الكويسكي الذي أحضره رشد:

- إيه علاقة القصة دي بينا يا عم رشد؟!

- ماشي من ميه وخمسين سنه كانت منظمات المافيا عندنا أقوي من كل شركات الاحتكار في العالم بالرغم من أن الشركات دي بردوا مافيا ومنظمة أكتر من المافيا المصرية. تفتكروا ليه؟

ردت جنة قائلة بلا مبالاة:

- لا معرفش!

تابع رشد كلماته:

- لأن النظام اللي موجود دلوقتي لا سلطوي يعني أصلاً بيعتمد على

اللانظامية وعشان كدة المافيا بتاعتنا كانت أقوي لأنها شبه النظام أكتر من شركات الاحتكار. معني الكلام ده إنك كل ما كنت غير منظم بتبقي غير متوقع فبتبقي أنجح. النظام عندنا فيه دوله أو مجلس حكم وفيه مجلس الأعضاء الأعضاء هما اللي بيسيطروا على الأقتصاد لكن مجلس الحكم هو اللي بيعين الأعضاء. طيب يبقي المفروض إن المركز هنا هو مجلس الحكم بس مجلس الحكم نفسه كيان يبقي لازم يبقي ليه مركز هو كمان. صح؟!

رد الجميع عدا جنة بالمو افقة فأكمل رشد حديثه قائلاً:

- تخيلوا لو احنا غيرنا المركز كله الكيان كله وخليناه يبقي مجلس الأعضاء؟!

ردت جنة بسخريتها اللاذعة المعهودة:

- بنلعب شطرنج احنا؟! ولا أنت مشربتش عشان كدة مش على طبيعتك. أصبلك كاس؟!

ضحك رشد قائلاً بنبرة قاسية حازمة:

- معتقدش إنك تعرفي حاجة عن طبيعتي يا جنة. نكمل كلام بقي أحسن من الهزار؟! آه وصبيلي كاس لو سمحتي!

أكمل رشد حديثه بعدما جلس بجوار روماني قائلاً:

- في النهايات دايماً بيبقي في تغيير ممكن يكون للأسوء بالنسبة للناس بس المهم يكون للأحسن للدول. حد يجيبلي كتاب واحد بيتكلم عن قد إيه الناس كانت مبسوطه ومرتاحة أيام الفراعنة مثلاً, مفيش كل الكتب والمخطوطات بتتكلم عن عظمة الفراعنة وقوة دولتهم و إنجازاتهم. أنا بقي حلمي إني أرجع القوة دي تاني!

رد أمين قائلاً:

- مش أنت كنت زمان بتقول أن البلد هتتغير لما الناس تتعلم ويبقي عندها فكر.

أومأ رشد برأسه مو افقة ثم قال:

- يمكن عشان فقدت الأمل في الناس لأن الناس بتتكلم بلغة القوة ومش هيسمحولك تغيرهم إلا لو كنت أقوي منهم تقريباً دي حاجة عندنا منذ بدء التاريخ.

صمت رشد قليلاً ثم قال:

- أو يمكن عشان ساعتها كنت ضعيف ودي كانت الحاجه الوحيدة اللي أقدر أعملها, معرفش!

أكمل رشد حديثه قائلاً:

المهم أن أنا دلوقتي بعمل مافيا مش معتمده على عيله. العيلة بتبقي قوتها إن ليها كبير كل الناس بتمشي وراه بس حتى الكبير ده لو ضعف بييجي الأقوى منوا ياخد مكانوا زي عدنان الجنايني كده مثلاً لما سمم أبوه وعمه ودلوقتي هو أقوي رجل في مجلس الأعضاء زي ما منير الوزير هو أقوي راجل في مجلس الحكم أو يمكن يكون أقوي من منير كشخص. يعني الفكرة الرئيسية تاني هي القوة و أنا أقوي واحد عايش على أرض مصر دلوقتي مش هيبقي صعب عليا أني أجمع ناس كتير حواليا و أبقي أنا المركز بتاعهم.

رد أمين قائلاً:

- يا عم ماشي كلام جميل بس مش هيدولك تصريح إلا لو عيله وعلي هواهم وفمنطقة قوات المقاطعة بتاعتها مش مغطياها.

- أنا فاهم الكلام ده يا أمين. اللي أحنا هنعملوا إن إحنا هنلفت انتباههم بعد كده هنخوفهم وبعد ما يخافوا هيحاولوا يمحونا من على وش الأرض في اللحظه دي هنغير, هناخد منهم كل حاجه وهييجوا هما تحت رجلينا. أنا يا أمين مش بس هبقي رئيس مافيا أنا هبقي رئيس مجلس الأعضاء كمان.

ردت جاكلين وقد بدا عليها القلق كما على الجميع عدا روماني الذي لا يعبأ بشيء على أي حال:

- أنت متأكد أنك تقدر تعمل كل الكلام ده؟!

ابتسم رشد ثم أكمل حديثه قائلاً:

- أحسن طريقه نلفت بيها نظر المجلسين أننا ننافس اقتصادهم. نضربهم في الحاجه اللي مخلياهم أقوي من بلاد تانيه كتير: تجارة الأفيوكين. عارفين أن كل شغلنا أيام الجيش أن أحنا نصفي الناس اللي بتتاجر في الهروين عارفين ليه؟

رد روماني قائلاً:

- عشان ضد القانون يا صاحبي معروفه يعني!

ضحك رشد ثم تابع كلامه:

- الحكومة تقدر تبيع هروين زي الأفيوكين بس الفكرة إن الهروين بيخليك فاكر نفسك قوي لكن الأفيوكين بيخليك مطيع, الهروين بيخليك تدور على مصلحتك الشخصيه لكن الأفيوكين بيخليك تدور عليه هو بس. الأفيوكين بيخليك نشيط وتقدر تشتغل بالأربع أيام من غير ما تنام لكن الهروين بيخليك أنسان عادي بتنام وبتحتاج ترتاح بعد فتره من التعب. من الاخر بالرغم إن الأفيوكين بيخلي اللي بياخده أقصي مده ليه في الشغل تلاتين سنه وبعد كده جسمه بينهار والانهيار ده ملوش علاج لأن أعضاء الجسم كلها بتتدمر لكن مفيد جداً لأقتصاد البلد و انت بتشتريه أغلي من الهروين وو أنت بتطلع الطاقة اللي أدهالك في الشغل. عشان كده أحنا هنتاجر في الهروين وهنزلوا بنص سعر الأفيوكين.

***

ردت جنة لتظهر خبرتها الطويلة قائلة:

- بس كدة أنت هتخسر الجرام بيقف عليك جمله بميت جنيه ولو بعته بنص تمن بخاخة الأفيوكين هتبيعه بميت جنيه بردوا!

رد أمين قائلاً:

- مظبوط الكلام ده البت دي بتفهم!

قال رشد ضاحكاً ما دي هتبقي مهمتكوا أنتوا الأتنين وهيبقي ليكوا خمسه في المية من البيع. يعني لو بعنا بألف ليكوا خمسين جنية.

رد أمين قائلاً:

- و أنت فاكر أحنا هنبيع بكام أحنا اخرنا نبيع في تلات أيام بعشر تلاف مثلاً وده غير إن أحنا لو اتقبض علينا جنة هتعترف عليك من أول ألم!

ضحكوا جميعاً عدا رشد الذي حافظ على جديته قائلاً:

- أحنا هنطلع بكرة أنا و أنت وجنة هنشتري كل اللي في الجبل, مش هيبقي في جبل بعد كده أحنا هنشتري كل البضاعة بتاعتهم وهنوزعها.

رد روماني قائلاً:

- و أنا هعمل أيه يا عم أنت؟!

ابتسم رشد في مكر بدون أن ينطق بكلمة واحدة لكن ما أثار تعجب الجميع أن وجه روماني ارتسمت عليه نفس الابتسامة بعدها بلحظات.

★★★

# «الحادي والثلاثون»

أسهل الحروب هي تلك التي قامت بلا سابق إنذارو أقوي المحاربون هم من يجهل الجميع أهدافهم. صلي جبريل صلاة العشاء ليعد إلي منزله وقد أعدوا طعام العشاء. كان جبريل دائماً ما يطعم عم حسنين قبل أن يأكل فأخذ الإناء وخرج ليستقل المصعد لأعلي. وصل جبريل إلي باب غرفة عم حسنين فطرق الباب ثلاث مرات ولم يأته رد فظن أن عم حسنين قد غلبه النعاس. استدار جبريل ليعد من حيث أتي ليوقفه صوت أنين مكتوم يأتي من الغرفة فصاح بصوت عالٍ وهو يبحث عن مفاتحه:

- عم حسنين!

فتح جبريل الباب ليري مشهداً سيطارده طوال أيام حياته القصيرة؛ كان عم حسنين عارياً تماماً, ممداً على الأرض يحيط بجسده شموع سوداء كبيرة الحجم ذات رائحة نفاذة وقد رسم تحته رسومات لم يفهمها ربما لأنه لم يستطع أن يراها كاملة كما رسمت علامة حكا على بطن عم حسنين الذي صار أنينه أعلي الآن. وقف رشد عند رأسه تماماً عاري الصدروعيناه مضيئة بلون النار الذي أحاطت به زرقة مظلمة التهمت قدرة جبريل على البقاء واعياً فوقع مغشياً عليه. لم يبدو أن رشد قد لاحظ وجود جبريل وهو يتمتم ببعض الكلمات همساً. ظل أنين عم حسنين يتزايد حتى أصبح زمجرة وعرقه ينهمر من جبينه وجسده على الأرض إلي أن هدأ تماماً فسقط رشد على ركبتيه مقبلاً جبينه. أطفأ رشد الشموع واحدة تلو الأخرى وحسنين يتفقد المكان حوله وكأنه لا يدري ما الذي أتي به إلي هنا. بدأت ذاكرة حسنين بالعودة إليه فقال له رشد بدون أن ينظر إليه:

- قوم أحلق دقنك واستحمي يا حسنين عشان نلحق اللي فاتك!
نظر إليه حسنين وكأنه قد تحول ليصبح شخصاً آخر عيناه يملؤها القوة والغضب وكأنه شاب صغير ثم نظر إلي يمينه ليجد جبريل على الأرض فسأل رشد:
- جبريل ماله؟! إيه اللي حصله؟!
- متخافش عليه هيقوم دلوقتي ويبقي تمام, قوم أنت بس عشان نلحق.
- طيب أنا أيه اللي حصلي؟! أنا مش فاكر أي حاجة! آخر حاجة فاكرها عينك وهي لونها بيتغير.
ابتسم رشد وهو يطفئ آخر شمعة ثم توجه ناحية حسنين ليمد يده إليه مساعداً إياه على النهوض قائلاً:
- كل اللي حصل إنك أتغيرت يا حسنين من واحد عنده القابلية للاستعمار لواحد قوي, من واحد مستني حد يجي يساعده لواحد عارف إن مهما الناس ساعدتوا عمرهم ما هيبقوا زي لو هو ساعد نفسه.
أومأ حسنين برأسه إيجاباً والسعادة تملأ عيناه ثم أعتدل قائماً بدون أن يمسك بيد رشد الذي ابتسم ليقول له حسنين وقد ملأ الفخر عيناه:
- أنا فخور أن أنا قابلتك يا رشد! أنت حقيقي مش مزيف تقريباً جينات عيلتكوا كده.
ابتسم رشد قائلاً:
- أنا اكترواحد مزيف و أكترواحد حقيقي و أنت أكترواحد هيأخرنا!
ابتسم حسنين ليتجه إلي الحمام فاتجه رشد ناحية جبريل ليضع رأسه على فخذه قائلاً:
- مسكين أنت يا جبريل! لو في إحساس واحد ممكن أحسوا هيبقى أنك صعبان عليا. الشخص الصح في المكان والزمن الغلط.

بدأ رشد يرسم بعض الرموز بإبهامه على جبين جبريل وهو يتمتم ببعض الكلمات ثم ضربه ضربة خفيفة على رأسه ليشهق جبريل مفزوعاً ليبتعد عن رشد زاحفاً حتى التصق ظهره بالحائط وهو ينظر لرشد بذعر كاد أن يقتله.

اعتدل رشد و اقفاً ثم توجه إلي قميصه ليرى جبريل نفس العلامة التي رسمت على بطن حسنين على ظهر رشد الذي قال:

- الفايدة الوحيدة للخوف أنوا بيساعدك تهاجم أو تهرب من اللي أنت خايف منه, يعني في حالتنا ملوش لازمه.

ظل جبريل صامتاً لم يتكلم لكن دموعه التي احتبست في مخادعها كانت تشي بخوفه المفرط فاتجه رشد ناحيته قائلاً:

- اللي أنت شفته ده مش لازم حد يعرفه نهائي! إنت سامعني يا جبريل؟! ولا مخلوق.

زادت نبضات جبريل وجف ريقه فتابع رشد كلامه محاولاً التخفيف على جبريل:

- عمك حسنين كان تعبان و أنا عالجته لما يطلع دلوقتي هتشوف واحد تاني. ساعات كتير الخير مينفعش يحصل من غير شوية شر صغيرين يا جبريل. الراجل ده كان كاتب وصحفي كبير أنا كنت بقرأ مقالاته و أنا في الجامعة واللي أنا عملته أقل حاجه يستحقها. مش من حق حد أنه يدوس على العلم مهما كان قوي!

خرج حسنين مرتدياً حلة زرقاء غالية الثمن وقد هذب لحيته ليبدو رجلاً مختلفاً بالفعل. لم تعد نظراته خائفة كما كانت من هول ما يراه بل أصبحت مخيفه. اقترب منه جبريل قائلاً:

- أنت كويس يا عم حسنين؟!

ابتسم حسنين وهو يحتضن رشد والدموع تنهمر من عيناه قائلاً:

- أنا أحسن حسنين أنت قابلته فحياتك يا جبريل زي ما أنت أحسن إنسان قابلته فحياتي.

***

يصبو البعض إلي النوم لكي يتخلصوا من الإرهاق لكن هناك بيننا من يعتبر النوم مهرباً آمناً من الو اقع المشين, نعم! البعض ينام لأنه ببساطه لا يطيق الاستيقاظ. استلقي الدكتور ماضي على سريره وبجانبه هاتفه يحتضن إحدى الوسائد في غرفته الأنيقة الفخمة. دقت الساعة معلنة حلول منتصف الليل ليستيقظ ماضي وكأنه كان في كابوس, عقله بطئ ونفسه تمتلئ جراحاً يشعر بفظاعتها حتى وهو نائم. قام ماضي ليغسل وجهه متخبطاً في ظلام غرفته كالسكران من آثار المنوم الذي تناوله. لم يفارق ماضي سريره منذ أن قابل رشد, لم يستيقظ إلا سويعات قليلة ليتناول حبوب المنوم ويعيد الكرة مجدداً. توجه ماضي إلي مخدعه ومحر ابه؛ غرفة غطى حو ائطها آلاف الكتب التي نقشت في عقل ماضي وكيانه العاجز ليعذب وعيه آلاف الأسئلة التي لا إجابة لها وأخيراً امتد المرض و انتشر ليصل حتى إلي لاوعيه. تذكر ماضي تلك الزجاجة التي أعطاها له الشاب الغريب في مكتبه عندما رأي تلك الحقيبة السوداء على مكتبه. توجه ماضي إلي الزجاجة ليتجرع ما فيها وكأنها زجاجة ماء. فتح صندوقاً خشبياً صغيراً ليخرج سيجاراً كان يحتفظ به للندوات والمؤتمرات التي يحضرها بشكل دائم.

أشعل ماضي السيجار وجلس في هدوء ليعكر صفو خلوته طرقات على الباب. أخذ ماضي جرعة أخرى من الزجاجة ليتجه إلي الباب. فتح ماضي الباب بيده لتصبه صاعقة, لقد كان ذاك الشاب الذي زاره في مكتبه منذ يومان. ابتسم رشد كعادته ليدخل بدون إذن قائلاً وهو يمشي ناحية المكتب وكأنه يعرف كل تفاصيل البيت:

- مش عارف أقلك مساء الخير ولا صباح الخير!

لحق به ماضي وقد ثارت أعصابه صارخاً:
- أنت يا ابني مجنون؟! عرفت بيتي أزاي أنت؟.....
قاطعه رشد وهو يجلس على المكتب بجانب الزجاجة داكنة اللون قائلاً:
- أنت سايب الباب مفتوح على فكرة وده مش كويس! ساعات الأبواب لما بتتفتح بتدخل حاجات أحنا نسيناها أو عاملين إن أحنا ناسينها!
بدأ ماضي يشعر بخدر في لسانه وعضلات وجهه وأطرافه وبدا عليه الإعياء وهو يقول بلسان ثقيل:
- أطلع بره بيتي حالاً! أنت متعرفش مين ماضي علام؟!
أمسك رشد بالزجاجة ليرفعها ناجية الضوء قائلاً وهو يضحك:
- أنت شربت نص الأزازة يا جاحد؟! أنت عارف بكام دي؟
نظر إليه ماضي وقد بدأ يفقد السيطرة على جسده ليهوي على الأرض ثم بدأ يتقيأ ما شربه من خمر والألم يحتضنه فقال رشد وهو يدنو منه:
- دايماً الحاجة اللي بتخلينا نهرب من العذاب هي اللي بتقتلنا لأن العذاب مش موجود عشان نهرب منه بالعكس أسمى شيء في الدنيا العذاب. العذاب بيقولنا إن في حاجات كتير لازم تتغير. منقدرش نعيش من غيروا! تقدر تقول عامل زي الشرنقة بيحولنا بس مش دايماً بيكون التحول للأحسن!
نظر رشد لماضي بعين باردة وهو يتلوي على الأرض فنادي بصوت جهوري:
- حسنين يا علام!
دخل حسنين الذي كان يراقب المشهد من خارج الغرفة يرتدي حلته الأنيقة مرفوع الرأس وعيناه تقطران غلاً وحسرة وهو ينظر لماضي. مرت بضعة ثوان من الصمت وعينا ماضي قد امتلأت بالدموع ونظراته لحسنين تقطر ندماً.
ابتسم حسنين قائلاً:
- إزيك يا ابن أخويا عامل إيه؟! أنا قلت أزورك أنا لأن واضح جداً إن الحفرة اللي أنا كنت عايش فيها متليقش بجنابك!

نظر إليه ماضي وقد فارت الدموع من عيناه تطلب الغفران فقاطع رشد ذلك الحوار العائلي قائلاً:

- أنا بحب الرمز أوي يا ماضي بحسوا قوي بيوصل المعني بس مش مشاع لازم تدورعليه عشان تفهمه. أزازة الخمرة دي مثلاً تاريخ حاجه تليق بمقامك العلمي كده والسم اللي فيها ده «بوتوكس» شوف سخرية القدر! كل الناس بتستخدمه عشان تغير شكلها, تهرب من حقيقتها بس بالنسبه ليك هيخليك تواجه حقيقتك, هتموت عاجزحتى عن الكلام زي ما عشت عاجزعنه. أحط أنواع البشريا ماضي هو اللي عارف الطريق وسايب الناس تايهين عادي لأن ده بيحقق مصلحته!

اعتدل رشد ليقول بسخرية:

- أنا هسيبك مع عمك, غريبة جداً الدنيا دي يا ماضي! ساعات الماضي بيبقي أخطرحاجه بنتعامل معاها, ممكن يحينا وممكن يقتلنا. عامة عمك كان نفسوا يشوفك و أنت بتموت جداً فهسيبكوا مع بعض, فرصة سعيدة, سعيدة جداً!.

مشي رشد ناحية حسنين الذي ظل ير اقب سكرات الموت وهي تعذب ماضي بتشفٍ واضح فوضع رشد يده على كتفه و اقترب من أذنه قائلاً متلمسش حاجه و أنت خارج أمسح الباب كويس و أقفله.

هز حسنين رأسه في صمت بدون أن تفارق عيناه ماضي وبدون أن يتخلي عن التلذذ الذي يشعربه. هذا هو الإنسان وهذه هي العدالة التي انتظرها حسنين طويلاً. لن تخلو الأقدار من المفاجآت في تقلبها, يعلو أقوام ويندثر آخرون ويستمرما يحكيه لنا القصاص من قصص وبطولات معظمها وهم كما الحاضرمنحوت من ملايين الأكاذيب. توجه رشد إلي منزله في عين شمس حيث يجب أن تبدأ خطوته التالية فالوقت أهم ما يملك رشد بعد المعرفة.

★★★

# «الثاني والثلاثون»

القاهرة, تلك المدينة التي لا تنام والمدينة التي لا تنام هي في الحقيقة لا تستيقظ أيضاً فمثل البشر المدينة التي لا تنام بها علة أينما كانت. عندما يبحث البشر عن المزيد, عن حياة بديلة لتلك التي يحيونها فهم دائماً ما يلجئون لليل. ظلام الليل يطمس الحقيقة ويخفي الوجوه ليغرقك في شعور جميل تظنه حرية وهو هروب من الحرية. كان راضي أحد هؤلاء المشوهون الذين لم يرضهم النهار أبداً منذ أن سرقت روحه. جلس راضي كعادته في الحارة وقد اغرق دمه الأفيوكين وعصر قلبه الألم بلا سبب آني. كان راضي وحيداً بجانبه ثلاثة مقاعد خشبية فارغة. جلس مبتسماً ير اقب جرواً صغيراً من كلاب الشوارع يلعب بشيء ما جلبه من خارج الحارة ظنه راضي إبهام أحدهم. فعندما يخفق أحدهم في دفع ديونه للمافيا يقطع احد أصابعه كل يوم حتى يسدد ما عليه. كان يجدها راضي كما الجميع فكرة جيدة فلم يفقد أبداً أحدهم خمسة أصابع ومادام الأمر يجدي نفعاً فكل شيء بخير. دخل رشد الحارة متجهاً لراضي الذي نظر ناحيته بغير اهتمام وهو يتابع الكلب الصغير فجذب رشد احد الكراسي قائلاً:

- قاعد لوحدك ليه يا جاري؟!

نظر راضي إلي رشد بطرف عينه قائلاً بسخرية لاذعة:

- مبحبش الناس! طول ما في ناس في كدب عشان كده مبحبكش.

ضحك رشد ثم حرك كرسيه ليواجه راضي. نظر رشد في عينا راضي الشاردتان قائلاً:

- أيوة يا راضي بس أنت متعرفنيش!

نظر إليه راضي بتحدٍ ثم قال:

- أنا مبحبش اللي بيخبي حقيقته! أنت عربيتك شكلها رخيص بس أنت معدلها, أنت تقريباً صارف عليها فلوس تشتري العمارة كلها. كل حاجة ليها علاقة بيك مزيفه لبسك وطريقة كلامك الريحة اللي بتحطها.

نظر إليه رشد مبتسماً فباغته راضي بسخرية:

- عادي كل الناس بردوا بتفتكرني غبي ودي حاجة أنا بحبها.

رد عليه رشد وهو يضع رأسه على كفه كأنه يشاهد أمراً يعجبه:

- أنت كلامك صح! أنا لو عايز أشتري قصر في الأعضاء هشتري, الحقيقة يا راضي ساعات بتبقي أغلي من أن احنا نبينها عادي لكل الناس لأن مش كل الناس هتفهمها بس اللي بيدور عليها هو اللي هيفهمها.

رد راضي بسخرية قائلاً:

- ما أنا قلت كدة بردوا!

رد عليه رشد وقد امتلأ صوته شغفاً:

- في الحقيقة أنا هنا عشانك أنت يا راضي!

نظر راضي لرشد بسخرية قائلاً:

- ده حب من أول نظره ولا أيه؟!

اعتدل رشد و اقفاً ليقول بحزم وهدوء:

- مش أنت عايز تاخد حقك من فاروق؟! مش عايز ترجع أختك؟! مش عايز تصرخ فوشه وتقوله انها مش للبيع زي الباقي؟!

انتفض راضي ممسكاً بخنجره وهو ينظر لرشد بحذر وكأنه يستعد للهجوم عليه فأشار اليه رشد قائلاً:

- أنت هتساعدني عشان نطلع فاروق من الصورة, من كل الصور!

وضع راضي خنجره على طاولة خشبية قصيرة وجلس وعيناه لم تفارقا رشد ثم قال:

- أنت عرفت الكلام ده منين؟! أنا عمري ما نطقت بكلمة من الكلام ده لأي حد!

رد رشد وكأنه غير مهتم بفضول راضي:

- قلتلك مش على طول نقدر نقول الحقيقة!

ظل راضي صامتاً يفكر: كيف يستطيع أن يثق في شخص لا يعرفه؟ من الممكن أن يكون من رجال فاروق وهم كثر وفي هذه الحالة فهو ميت لا محالة. كان يجب عليه أن يلتزم الصمت, أن ينكر الحقيقة حتى لا يخسر حياته. قاطع رشد أفكاره المتناثرة وخوفه الذي ملأت رائحته الحارة المظلمة ليقول:

- أنا هقولك دلوقتي أزاي أنت هتسلملي فاروق بس قبل أما أتكلم أنا عايزك تعرف أنك لو سمعت الكلام ده يهتبقي معايا يهتموت هنا ودلوقتي, حالاً!

حلل راضي الموقف في ثوانٍ ليقرر أنه إما أن يحصل على رأس فاروق أو ليمت فلقد غرست قدماه في الوحل على أي حال فقال وهو يبدو متماسكاً:

- أتكلم أنا سامعك!

تابع رشد كلامه ببساطه وكأنه يحكي قصة أو يبيع سلعة فلقد كان رشد كما يقول مقنعاً بالفعل:

- أنت عارف أن فاروق الساعة تسعة الصبح عندوا اجتماع مع العمارنة «عاصي العمراني». المفروض ان الاجتماع ده هيتفقوا فيه على افتتاح البار لأن عاصي شايف أن لازم يبقي ليه نسبه في البار عشان هما متفقين من زمن على أن الاثار ومنافذ بيع الأفيوكين بتوع فاروق وبيوت الدعارة والبارات بتاعة عاصي من أيام عمران أبو عاصي. حلو الكلام؟!

أومأ راضي برأسة قائلاً:

- حلو!

تابع رشد حديثه قائلاً:

- الفكرة بقي إن عاصي بيبيع هروين في البارات وبيوت الدعارة من تحت لتحت للزباين المهمة وفاروق باعه لمجلس الأعضاء و اتفق معاهم انوا يسلمهلهم وبكده هو اللي هيبقي مسيطر على مقاطعة عين شمس كلها لوحده.

رد راضي والفضول يرغمه على التساؤل وكأنه لا يطيق صبراً:

- أحنا بردوا ايه دورنا في الكلام ده؟!

ابتسم رشد وهو يخرج حفنة من الأوراق كانت في جيب بنطاله الخلفي قائلاً:

- أنت كل اللي هتعمله انك هتاخد الورق ده وهتروح لعاصي دلوقتي تحكيله على اللي أنا قلتهولك.

أمسك راضي بالأوراق قائلاً:

- ايه الورق ده؟!

- دي الاتفاقية بين رشد والاعضاء بس ناقصها ختم القاضي. يعني و اقفه على التنفيذ بمجرد ما عاصي يتكلم مع فاروق ويقول أي حاجه تدينه بخصوص الهروين قوات الأعضاء هتدخل تعدمه والقاضي هيختم بأحقية فاروق أنوا يمسك المقاطعة كلها. فاهم حاجة؟

رد راضي الذي بدا متحمساً:

- أنا هديلوا الورق ده بس مين اللي هيموتوا؟

- دي بتاعتي أنا أنت ليك عندي أنوا يموت

- طيب لازمتها أيه؟ أنت كده كل اللي أنت عملته أنك حميت عاصي وبس!

- كل اللي أنا عملته أن أنا هخلي عاصي يأمن نفسه عشان أنا محتاجه يأمن نفسه محتاج رجاله كتير وسلاح.

- أنا مش فاهم حاجه!

- بكره هتفهم.

- طيب ما أنا أختي كده هتموت لأنها على طول مع فاروق!

- لأ يا بطل أنت بعد أما ترجع هتروح المستشفي وهتتعب جداً وأختك هتقعد جنبك مش هتروح الاجتماع!

- أزاي يعني مش فاهم؟

- أنت هتروح مستشفي العدنان هناك في دكتور أنا بظبطه كل شهر هتروح هيديلك منوم وهتناملك خمس ست ساعات وهيقول لأختك أنك خدت جرعة مخدرات زيادة وفي العناية المركزة.

- طيب افرض معرفتش أو راحت الاجتماع بردوا؟

رد رشد وقد بدأ صبره بالنفاذ:

- حبيبي أنا هجبهالك بنفسي متخافش.

صمت راضي قليلاً ثم قال:

- معني الكلام ده أن أنا لازم أثق فيك و أنا بصراحة معنديش أي سبب أثق فيك وبعدين ماتروحش ليه أنت لعاصي عشان تديله الورق ليه أنا؟

- حبي عين شمس كلها عارفه أن فاروق كاسر عينك

زاغت عينا راضي لتتلألأ فيها دمعة محبوسة فأكمل رشد حديثه:

- عاصي مش هيسأل نفسه أنت ليه بتقوله الكلام ده لأنه عارف أنك بتكره فاروق بس مش قادر تعمله حاجه كل اللي أنت هتعمله أنك هتطلب منه الأمان ليك ولأختك وبس. ده غير أن أنا كمان لازم اثق فيك بس الفكرة أن احنا الاتنين مش هنثق فبعض يا راضي!

نظر إليه راضي متعجباً فأكمل رشد حديثه قائلاً:

- احنا هنثق فرغباتنا, في الحيوان اللي جو انا فطبيعتنا اللي بقت أشرس من أي حيوان على وش الأرض. أنت عايز تقتل فاروق أكتر ما أنت عايز تعيش و أنا...

صمت رشد قليلاً وعلي وجهه ابتسامة مخيفة ثم نظر في عينا راضي قائلاً

ليشعر راضي بذاك الجنون في عينا رشد:

- أنا عايزهم كلهم يا راضي. و أنت هتقف فوق جثثهم أو هتبقي فوسطهم.

أومأ راضي برأسه وقد أدرك أنه أمام حصان فائز لا محالة فلقد وقف راضي أمام فاروق الذي تعميه قوته أما رشد فقوته من نوع مخيف لم يرى مثله من قبل ولم يشعر بمثل تلك القشعريرة التي تسري في جسده الآن من قبل. أخرج راضي البخاخ من جيبه ليسكت تلك الأصوات في رأسه ثم اعتدل و اقفاً وهو يقول:

- أنا المفروض دلوقتي أروح لعاصي فبيته صح؟!

رد رشد عليه بإيماءة من رأسه بالمو افقة فتحرك راضي وعينه تمتلئ شكاً وخوفاً فمن فقد الثقة مرة يصعب عليه استعادتها مجدداً. وهكذا حرك رشد كل القطع الممكنة في يوم واحد ولم يتبقى له سوي الكفر والثأر.

***

أشرقت شمس جديدة عل الناس يلاحظون الخراب الذي سببه خراب نفوسهم لكننا لا نري إلا ما تدربنا على رؤيته. جلس رشد أمام مر آته السحرية صامتاً مغمضاً عيناه, لم ينم ولم يسترح. عندما شعر بالضوء حوله فتح عيناه لتفضح جفونه الشر الكامن فيها. دخل رشد إلي غرفته ليفتح صندوقه العتيق, أخرج سبيكتان من الذهب وثلاثة بنادق الية وبعض المتفجرات ليضعهم جميعاً على طاولة عليها بعض الأوراق ثم دخل ليغتسل. خرج رشد فجأة من الحمام ووضع منشفة حول وسطه ليفتح الباب قائلاً في غضب:

- أنت مش في المستشفي ليه؟!

تشتت تفكير راضي واختلطت أفكاره عندما رأي وشم القوات الخاصة على كتف رشد الذي خلصه من شروده قائلا بنفس الغضب:

- أنت بتعمل أيه هنا؟!

رد راضي متلعثماً:

- أنا كنت جاي أقلك أن أنا رحتلوا وكل حاجه تمام.

زاد غضب رشد ليقول له موبخاً:

- أنت غبي؟!

أطرق راضي النظر إلي الأرض طويلاً ثم قال:

- أختي هي الحاجة الوحيدة.....

أمسك رشد راضي من منكبيه بإحكام ثم نظر في عيناه وقد ارتسم غضبه في عيناه ناراً حتى خارت قوي راضي الذي سقط مغشياً عليه. أسرع رشد ليرتدي بعض الملابس بعد أن جفف جسده ثم حمل راضي ونزل ليطرق الباب بقوة على عنود التي خرجت صارخة بغضب حتى كادت الحارة كلها أن تسمعها:

- في أيه!

بمجرد أن فتحت عنود الباب حتى تغيرت كل تعابير وجهها عندما رأت رشد يحمل أخيها على كتفه وهو يقول:

- أخوكي كان مغمي عليه في مدخل العمارة تحت.

ضربت عنود على صدرها وهي تقول:

- يا مصيبتي! ماله.....

قاطع رشد نواحها القبيح قائلاً:

- أنا كلمت دكتور صاحبي في مستشفي العدنان هنا هتروحيله وهو هيعمل كل حاجه بس بسرعة.

خرجت عنود بجلبابها المنزلي كما هي لينزلا وراضي على كتف رشد الذي أوقف سيارة أجرة لتأخذهم إلي المستشفي. وقف رشد ير اقب السيارة وهي تبتعد ثم أشعل سيجارة وهو ينظر إلي الشارع وكأنه ينتظر شيء ما. لم تمر دقيقتان حتى ظهرت سيارة أم روماني الخضراء التي توقفت أمامه لينزل منها أمين

ورومانى وحسنين ليصرخ روماني قائلاً:

- الصداقة!

ابتسم رشد موجهاً كلامه لحسنين وهو يشير لروماني قائلاً:

- عمل معاك واجب الضيافة الواد ده ولا كسفني؟!

ضحك حسنين قائلاً:

- لأ متخافش عمل الواجب وزيادة كان ناقص يجوزني بس!

رد عليه رشد وهو يقودهم إلي الحارة قائلاً:

- دي حاجه مؤقتة كلها يوم يومين وتجيب الشقة التي تعجبك في عين شمس.

أومأ حسنين برأسه وهو ينظر لرشد بحب قائلاً:

- أنا كنت عايش فحفرة يا رشد متنساش!

ربت رشد على ظهره ليصعد الجميع إلي شقة رشد. قادهم رشد مباشرة إلي غرفته ليمسك روماني بأحد البنادق ليفحصها بينما ما لفت نظر أمين كانت السبيكتان اللتان لم يري مثلهما من قبل فقاطع رشد نظر اته المغرمة قائلاً:

- بتوع حسنين دول يا أمين!

نظر أمين لرشد قائلاً:

- و أنا قلت حاجه يا عم أنا مستغرب من شكلها والوشم بتاعنا اللي عليها بس مش أكتر.

جلس رشد وهو يرمق أمين بنظرة كان بها قليل من العتاب ليخبرهم بأن فاروق قد نصب كميناً لعاصي العمر اني بالاتفاق مع الأعضاء أخبرهم بأنه سيكون هناك ثلاثة مصفحات تنتظر فاروق في الخارج حتى ينفذون الاعدام بعد أن يستدرج عاصي ليقول ما يدينه و أنه سيتولى أمر المصفحات وأن حسنين سيتولى أمر من بالداخل. كان دور روماني وأمين مجرد حماية حسنين وقتل كل الحراسة الموجودة في الاجتماع. كان رشد يريد أن يصنع مذبحة لتسمع

من يجلسون على كراسيهم في حي الأعضاء. بدأ العرض واستعد الجميع بعدما أخذوا أسلحتهم ليأخذ حسنين السبيكتان محتفظاً بهما في السيارة التي قادتهم إلي ذلك البار القديم في القسم الغربي من المقاطعة.

***

جلس عاصي مبتسماً أمام فاروق علام وهو يتساءل بخبث شديد:

- معلش يا فاروق أنا مش فاهمك! أنا بقلك هيبقي ليا تلت البار بتاعك و انت بتقلي هيبقي ليك تلت التجارة بتاعتي التانية, معلش أنهي تجارة تانية؟!

تشابكت يدا فاروق و انعقد حاجباه وحمله غروره على تلك النبرة المتعالية في صوته قائلاً:

- مش معني أن أنا سبت لأبوك البارات وبيوت الدعارة أن أنا مش عارف أيه اللي بيحصل في المقاطعة يا عاصي. أنا ليا حصة في الهروين اللي بتبيعه ده حقي! عايز تاكل حقي؟!

ابتسم عاصي قائلاً:

- مع أني لسه مش قادر افهمك بس أنا عندي ليك هدية حلوة يمكن انت تفهمني!

أشار عاصي بأصابعه ليحضر أحد رجاله زاهر ابن فاروق مكبلاً كما لو كان أسير حرب يبدو عليه أنه قد قتل نفسه بكاءً لينقشع الهدوء المصطنع في لحظه رفع فاروق وعزام حارسه الشخصي سلاحهما ناحية عاصي الذي قهقه قائلاً:

- أنت قلبك أيه يا أخي حجر؟

رد عليه فاروق والغضب قد جعل كلامه يبدو مثل الزئير والزبد يتطاير من فمه:

- أنت متخيل أنك.....

دقت أذان الجميع أصوات ثلاثة انفجارات متتالية ليدخل حسنين علام ومن وراءه روماني وأمين وهم يطلقون النيران على بعض الرجال الذين لحقوا بهم ليرفع حسنين طبنجته بدون أن ينطق بكلمة واحدة ليطلق رصاصة اخترقت وجه زاهر الطفل الصغير ليصرخ فاروق وكأن أحداً قد اقتلع روحه رفع عزام سلاحه ناحية حسنين ليرديه روماني قتيلاً قبل أن ترتفع طبنجته انزل حسنين طبنجته قائلاً بهدوء:

- أظن أن دلوقتي كلوا مركز معايا! أنا حسنين علام عم فاروق.

أمسك حسنين بفاروق بعدما أخذ روماني سلاحه ليبدو فاروق وكأنه رأي شبحاً فاصفر لونه وامتلأت عيناه التي تنظر لحسنين تارة ولأبنه الغارق في دماءه أخري يأساً ورعباً. مزق حسنين قميص فاروق ليخرج أدوات التصنت التي يضعها ثم ألقاها على الأرض ليدهسها بحذائه قائلاً:

- أبن أخويا خاين بس ده مش معناه أنك تصلح الغلط بأديك لأن هو ليه كبير!

نظر اليه عاصي قائلاً:

- أنا يا عم حسنين معرفش كلنا افتكرناك مت بعد ما اختفيت!

جلس حسنين ببطء لكبر سنه ثم أبعد زجاجة الخمر عن نظره قائلاً:

- أبوك كان حبيبي يلا يا عاصي عشان كدة أنا هديلك فرصة. لو أنت قتلت فاروق أنا مش هتضايق عشان مات أنا هتضايق عشان أنت اللي موتوا ومش حاجة حلوة أنك تضايقني.

صمت حسنين قليلاً وهو ينظر إلي رشد الذي وقف من بعيد ير اقب المشهد ثم قال مشيراً إلي رشد:

- الراجل اللي هناك ده فجر تلات مصفحات كانوا جايين يخلصوا عليكوا وكرد للجميل ده أنت هتجوزني بنتك والعمارنة هيبقوا فرع في عيلة علام اللي أنا كبيرها.

صرخ فاروق الذي أجلسه روماني على الأرض على ركبتيه قائلاً:
- أنت فاكر أنك هتعيش يا عمي؟!
ضربه روماني عدة ضربات بيد سلاحه حتى سال دمه وتكسرت اسنانه وبدا أنه لن يستطيع الكلام لفترة من الزمن فقاطع عاصي الصمت قائلاً:
- أنا بنتي يا عم حسنين عندها اتنين وعشرين سنه يعني أنت قد جدها!
نظر حسنين لعاصي بغضب شديد ليشير إلي رجاله وفي ثانية واحدة قتل روماني وأمين ورشد كل حراس عاصي ورجاله ليبقى فاروق وحسنين وعاصي.
أنخرط الثلاثة رجال في معركة من النظرات كانت معظمها خائفة عدا نظرات حسنين التي بدا فيها سيطرة على الموقف وقوة. ضحك عاصي وكأنه قد تقبل الهزيمة قائلاً:
- أنت عصبي عن ولاد أخوك بكتير يا عم حسنين! أنا معنديش مشكلة بس أنت فاهم تجارتي اللي على جنب دي تجارتي أنا. حلو الكلام ده ولا أيه؟!
أومأ حسنين رأسه قائلاً:
- مقدرش أقلك لأ ده أنت هتبقي حمايا!
ساد الصمت وحسنين يتفحص بنظره عاصي ليعتدل و اقفاً ثم انفجر حسنين ضاحكاً بعد أن أطلق ثلاث رصاصات في صدر عاصي ليسقط غارقاً في دماءه. قال حسنين متعجباً وهو ينظر لروماني وفاروق:
- الواد من كتر الخوف صدقني مع أنوا لسه شايفني بموت عيل صغير عادي وحفيدي يعتبر. الخوف ده إعجاز والله!
بكي فاروق قائلاً وكأنه يندب حظه والحسرة تقطر من صوته:
- أنت أزاي خفيت؟ أزاي رجعت؟ أنا كان لازم أقتلك! الله يخرب بيتك يا ماضي لو كان سابني أقتلك!
اقترب حسنين من فاروق ثم جذبه من قميصه الذي تحني بدمه. جره ليلقيه

بجانب جثة ولده قائلاً وهو يصوب سلاحه ناحية رأس فاروق:

- أنا زرت ماضي قبلك وهسيبوا لحد أما جثته تعفن وحد من جير انه يشم ريحتوا وهو مرمي فشقته كده عشان أدفنه لأن أنا كمان كان نفسي تقتلني, ده كان هيبقي أهون بكتير من اللي أنا شفته مفيش أذي أنا مشفتوش من الناس وأولهم أنتوا, ولاد أخويا.

صمت حسنين ثم وضع فوهة طبنجته في عين فاروق ليقول بغضب شديد:

- عشت كتير ومقدرتش تشوف الحاجات المهمة اللي فحياتك يا فاروق. كل حاجه أنت بنتها أنا هاخدها!

أطلق حسنين طلقتين على عينا فاروق ليكون لمن خلفه مثلاً فلقد عاش فاروق لا يري شيئاً إلا ذاته ومات كفيفاً كما عاش.

★★★

# «الثالث بعد الثلاثون»

العبودية فكرة كما هو الحال مع كل شيء, قد تأتيك على شكل حلم تطارده أو خوف يلاحقك أو حتى طوق نجاه وعندما تغلغل الفكرة في وجدانك تصبح لها السلطة المطلقة في كل شيء: أفعالك و أقوالك, سكوتك وصياحك وعندما يخضع عقلك للفكرة تذوب هويتك فيها لتصبح كائناً آخر. غاصت جاكلين في نوم عميق كما الجيفة ورشد يتلاعب بالمافيا في عين شمس. ظل هاتفها يصيح ببعض الضوضاء من موسيقي «البلاك الميتال» لعلها تسمعه, تكررت الضوضاء مرات ومرات حتى تأففت جاكلين لتمسك بالهاتف الذي كان قد توقف عن الرنين وتلقي به بعيداً يعدما رأت أن الماجا رؤوف قد اتصل بها أكثر من عشرون مرة. لم تمر لحظات حتى رن الهاتف مجدداً لتمسك به جاكلين بعدما جلست في سريرها مجيبة وهي تكظم غضبها فهي لم تنم إلا منذ ساعتين:

- صباح الخير يا ماجا!

- أنتي فين يا جاكي؟!

- الساعة تسعة ونص! أكيد نايمة يعني!

- تعرفي تجيلي دلوقتي؟ أنا بحاول أجيب رقمك بقالي يومين ومصدقت أوصلك!

- هو في أيه يا ماجا؟

- أنا عرفت حاجات كتير عن الشاب اللي كان معاكي ده ولازم أنتي كمان تعرفيها, أرجوكي يا جاكي أنا في البيت عندي هتعرفي تيجي ولا وراكي حاجة؟

سري الخوف في عروق جاكلين لتنتفض و اقفة وهي تقول:

- ماشي خلاص! نص ساعة وهبقي عندك يا ماجا.

أسرعت جاكلين لتتفقد ما يصلح للارتداء من ملابسها لترتدي ما وجدته ثم غسلت وجهها وتجرعت كأسين من الكويسكي الذي أحضره رشد سابقاً بسرعة لتخرج حتى بدون أن تمشط شعرها. قادت جاكلين سيارتها وكأنها تهرب من أحد ما وفي نفس الوقت كان خوفها يحرضها على الرجوع فكلنا نخاف الحقيقة بلا استثناء. لم تمر نصف ساعة من المعارك النفسية المحتدمة وكانت جاكلين تطرق باب الماجا في مقاطعة مصر الجديدة. فتح الماجا الباب لتجد جاكلين رجلاً اخر غير الذي عرفته, كانت لحيته طويلة وشعرة يجسد فوضي العالم يرتدي رداء نوم وقد بدا وكأنه رجل غير ذاك الذي كانت تهتز الأرض من ثقته بنفسه كان متردداً في كل خطواته ما دق منها وما جل. قال رؤوف متلعثماً:

- اتفضلي يا جاكي! خشي يا حبيبتي.

دخلت جاكلين ليقودها رؤوف إلي غرفة بالداخل زينتها الأكواب المتسخة وأطباق قد تعفن الطعام فيها ليجعل رائحة الغرفة مقززة, كتب وأوراق متناثرة على سرير رؤوف وعلي الأرض من حوله. نظرت جاكلين لهذه الفوضى ثم نظرت لرؤوف بتعاطف وهي تمد يدها ناحيته قائلةً:

- أيه اللي حصلك يا ماجا؟!

زاغت عين رؤوف وأسرع ليزيل بعض الأكواب وصناديق الطعام الجاهز من على أحد الكراسي وقد بدا وكأنه لم يرد لهذا السؤال أن يطرح عليه ثم أشار لجاكلين على الكرسي قائلاً وهو يتفادى النظر في عيناها:

- أنا اسف مبقتش أقدر أجيب خدامة زي الأول. أقعدي هنا وأنا هجيب كاسين.

جلست جاكلين على سرير رؤوف تقلب في الكتب والأوراق حتى عاد رؤوف

ممسكاً بزجاجة من الخمر وكوبين نظيفين. أعطي جاكلين كوباً وهو يقول وعيناه مغلقتان في معظم الوقت:

- عاملة أيه يا جاكي؟

- أنا تمام يا ماجا بس أنت مالك أنا حاسة أنك متدمر!

صب رؤوف بعض الخمر لجاكلين ولنفسه وهو يبتسم ابتسامة مقتولة ثم قال بعد لحظات من الصمت:

- حد يقول لحد كدة بردوا يا جاكي؟!

صمتت جاكلين وقد فاضت عينها بالدموع كان أكثر ما يؤلمها أن رؤوف عندما يكلمها تكون عيناه مغلقتان أو ناظراً إلي الأرض لتشعر جاكلين بضعف رجل كان يقود أعظم طائفة لعبدة الشيطان في افريقيا في يوم من الأيام. ردت جاكلين وهي تمسح دمعة قد جرت على خدها قائلةً:

- أنا آسفة صدقني مقصدتش أضايقك.

رد عليها رؤوف وقد بدأ الحماس يغمر صوته قائلاً:

- من ساعة ما جبتيلي الشاب ده و أنا بدور على حاجة تفهمني القوة اللي أنا واجهتها, في الأول كنت عايز أرجع قدراتي و انتقم منه. دورت كتير فكتب السحر اللي عندي كلها ملقتش حاجة لا في السحر الأفريقي ولا الأيرلندي ولا السحر بتاعنا لحد أما فكرت أن الحاجة الوحيدة اللي ممكن تكون بالقوة دي هي سحر «الحكا»

وده السحر بتاع القدماء المصريين. قريت فيه الكتب عنوا قليله بس اكتشفت حاجه غريبة جداً أن كلمة حكا دي معناها «قوة الكلمة» أو القوة الأزلية وفي نفس الوقت ده اسم إله السحر عند الفراعنة.فضلت شهور أدور لحد أسبوعين لقيت حاجة أسمها «كتاب الموتى» ودي تعاويذ اتكتبت على مدار تقريباً ألف سنة على جدران المعابد والمقابر بتاعة الفراعنة عشان

تساعدهم أو معظمها عشان تساعدهم في الحياة الأزلية أو الحياة الأخرى.
لقيت بقي مصادر أجنبية بتقول أن في أسطورة بتقول أن كل الكهنة اللي اشتركوا في كتابة «كتاب الموتى» ده عملوا حاجة أسمها تعويذه ممتدة على مدار الألف سنة كل هدف التعويذة دي أنها تربط أي واحد حكا يختاره من نسلهم عشان يكون الفرعون الأخير لأن كلهم كان عندهم اعتقاد أن الحضارة الكمتيه هتزول ولازم هييجي يوم وتنهار كل حاجة بنوها فقرروا أنهم يعملوا التعويذة دي.
ضمت جاكلين سجارتها بين شفتيها لتنفث القليل من الدخان والجدية تبدو على وجهها وهي تقول:
- المفروض أن اللي أختاروه ده هيعمل أيه يعني؟! أنت قصدك أن ده رشد؟!
قلب رؤوف في الأوراق على سريرة ليخرج ورقة بردي عتيقة وورقة أخري ليناولهما لجاكلين التي نظرت في البردية لتجدها مكتوبة باللغة المصرية القديمة فنظرت لرؤوف قائلةً:
- أيه ده يا ماجا؟!
تلعثم رؤوف قائلاً:
أنا حاولت أدور على نص أصلي بيتكلم عن التعويذة دي ملقتش كلها تعليقات من سحرة تقريباً هما أشتروا النصوص الأصلية من السوق السوداء لحد أما حد معرفة لقي النص ده عند تاجر اثار أسمه فاروق علام كانت مسروقة من مقتنيات الكاهن والملك «بينوزم» أشترتها منوا بنص الفلوس اللي فضلت معايا. المهم جبت حد ترجمها والورقة التانية اللي معاها دي ترجمتها, اقربها!
نظرت جاكلين في الورقة الأخرى التي أخذتها من رؤوف لتبدأ في قراءة ما كتب فيها وعيناها تتسعان:
«عندما تداس المقدسات ويجاهر الناس بالدونية ويدنس جهل أهل كمت

ترابها الأسود وتصبح معابد الإله سلعاً ويحقر الأحفاد أمجاد أجدادهم وتغيب شمس العلم المشرقة ويتبارى حتى العوام في طمس الحقيقة بداخلهم ستظلم سماء كمت المقدسة ليبزغ النور من جديد بعدما يظهر من يختاره حكا الإله الأعظم بحكمته من وسط العوام ليحمل مشاعلنا التي انطفأت واحد منا ونحن منه. لن يكون صديقاً للجهلاء ولن يمسح دموع الضعاف ممن سمحوا للخراب بالتوطن في أرضنا كالنبتة الملعونة. سيصبح الفرعون الأخير بعدما يهب حياته و أنفاسه ومماته لحكا وكمت وسيملك القوة ليسخر جميع الآلهة عندما يضحي بنفسه ليولد من جديد.»

نظرت جاكلين لرؤوف قائلة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة تنضح جهلاً:

- ده معناه إن احنا في لحظة تاريخية يا ماجا! أنت متخيل أن الشخص اللي النبوءة دي بتتكلم عليه يبقي حبيبي؟!

ثار الماجا رؤوف باندفاع شديد ألقى الكوب الذي كان يمسكه بقوة ليتحطم وهو يصرخ:

- أكبر غلط يا جاكي! أكبر غلط!

قامت جاكلين لتمسك بيد رؤوف المرتعشة وهي تقول:

- أهدى بس يا ماجا وقلي في أيه أنا مش فاهمه, فهمني أنت!

جلس رؤوف وهو يقول:

- متزعليش مني بس أنتي فخطر يا جاكلين يا حبيبتي!

تساءلت جاكلين بتعجب:

- خطر أيه؟!

- رشد ده هتلاقي الناس عندوا نوعين أعداء وعبيد ميقدرش يحب ولا يكره مش انسان زينا.

- أنت بتقول كده عشان اللي حصل بينكوا بس أنا عايشه معاه وعارفاه.
- أنتي مش فاهمة يا جاكي أن احنا ساعات بنوري اللي قدامنا اللي احنا عايزينوا يشوفوا مش كل حاجة قدام عنيكي حقيقة!
- أنا بقلك يا ماجا أنا اعرفه أنت مش فاهم.....

قاطعها رؤوف وقد احتد صوته قائلاً:

- أنا شفت فعينوا ضلمة معتقدش انها موجوده فعين «لوسيفر» نفسه قوتوا ساعتها كانت غير طبيعية وهو ساعتها كان لسه ميعرفش أصلاً ايه اللي بيحصلوا و أنا كنت الماجا بتاع الطايفة فمصر كلها وجردني أنا من قوتي السحرية يا جاكي من مجرد نظرة, أنتي متخيلة أن سهل عيل صغير يقولي أسيب نص فلوسي لبت شغالة واسمع كلامه, أنتي اللي مش فاهمه لما يبقي حد عندوا القوة دي مينفعش يتحب مفيش أي شيء ينفع معاه غير أنك تهربي منوا بس!

شردت جاكلين بنظرها ناظرةً للبردية وهي تقول:

- أنت قصدك أن هو ممكن يأذيني؟

- أنا قصدي أن هو أقوي بكتير من أن حد يبقي جنبه أو يحتاج لحد كل الناس بالنسبه ليه هتبقي مجرد أغراض بتقضي هدف, عبيد عندوا بيحركهم لأهدافه ويضحي بهم وقت ما ينتهي الغرض من وجودهم بمنتهي البساطة. عمروا ما هيخليكي تقربي منوا. ممكن أسألك سؤال؟

نظرت إليه جاكلين وهي تنتظر سؤاله فقال لها بعد أن هدأ من روعة:

- أنتي ورشد بيحصل بينكوا علاقة؟

نظرت إليه جاكلين باستنكار ليقول رؤوف مبرراً وكأنه يشعلا بالذنب:

- أنا مش قاصد اتدخل فخصوصيات, أنتي فاهمه قصدي. أنا مقصدش...

قاطعته جاكلين وهي تضع يدها على ركبته قائلة:

أنا فاهمه قصدك وفعلاً مفيش علاقة من النوع ده بينا, هو قالي أنوا بيحس بعقلوا معندوش مشاعر زي باقي الناس وأن الجنس محرم عليه.

- يبقي كلامي صح يا جاكي. جاكي أنا مش خايف عليكي أنتي بس, أنا خايف علينا كلنا.

***

هل يوجد معنيً لحياتنا أم نحن من نخلق لحياتنا معني؟! غالباً ما تنبع إجاباتنا على الأسئلة الهامة من رغباتنا وهذه هي الإشكالية الكبرى! جلست جنة القرفصاء في غرفة مظلمة لا أبواب لها ولا أركان يغطي جسدها الضئيل رداء من الكتان لم يقها الصقيع القارص يخترق ظلامها شعاع وحيد يتدلي من ثقب صغير في السقف. حاولت جنة أن تتحرك لكن بلا طائل فقدماها مكبلتان بقيود حديدية لكي تظل متباعدتان عن بعضهما بشكل فاضح. سمعت جنة صوت حركة في الغرفة فصاحت بشكل هيستيري: «مين هنا؟ أنا فين؟ فكني! فكني أنا بقلك!» ظلت تصرخ في الظلام ولم تأتها إجابة حتى تعبت وألجمها خوفها المتزايد. بعد وقت طويل من البكاء والانتحاب سمعت جنة صوت أبيها الشيخ أسامة وكأنه يقف أمامها لكنها لم تستطع أن تري ملامح وجهه قائلاً:

- جنة! بنتي! أنتي حياتك ملهاش قيمة, رخيصة ملكيش سعر ولا تمن, أنا رميتك في الشارع عشان قذارتك متلوثش أخواتك اللي ملهمش ذنب أن أختهم تطلع عاصيه, حتى الكلب اللي أواكي في بيته كل همك إنك تسيبيه. فاكره أن في حد ممكن يقبل يربط نفسه بيكي؟! أنتي أرض بور مش عشان تربتها غير صالحه بس عشان ساكنها العفن والمرض.

بكت جاكلين وهي تصرخ بجنون:

- أنت بتقول أيه يا زباله! أنت أقذر حيوان شفته فحياتي!

ظلت تبكي حتى اختفي خيال والدها وعاد الصمت والظلام مجدداً لعدة دقائق ثم سمعت جنة صوت أمها تبكي وتصرخ وكأنه صوت صراخها حين كان يضربها الشيخ أسامة. انهارت جنة وصار صوت بكاءها يصم الآذان حتى جاءت امها لتجلس أمامها قائلة:

- كل حاجة اتدمرت يا جنة مبقاش في سبب تعيشي عشانه لأن بكره هيبقي أسوء بكتير يا بنتي لما تكبري وتبقي فسني كده وميبقاش في حد جنبك وتبقي وحيده, صدقيني كل اللي أنتي محتاجاه لحظة شجاعة تنهي فيها المأساة دي. ممكن تبقي حياتك ملهاش معني بس موتك يكون ليه معني. اعتراض على الوحشية اللي أنا مقدرتش أواجهها وعيشت معاها راضيه وساكته. أوعي تعيشي زيي فخار فاضي مفيش نقطة حنان تملاه ولا معني لوجوده.

احتضنت أمها رأسها وهي تبكي لتضغط على رقبتها بقوة وجنة تصرخ وتحاول إبعادها بيدها. ظلت أمها تضغط على رقبتها وهي تقول:

- مينفعش تعيشي و أنتي ميتة يا بنتي!

سقطت جنة على الأرض وهي تلهث وجسدها يتصبب عرقاً لتجد نفسها في غرفتها وأمين يغط في نوم عميق غير مكترث بها أو لعله سمع صراخها ولم يبدي اهتماماً. كان ذاك حلماً حقيقياً كانت تشعر جنة بالرعب والألم الناتج من اعتصار أمها لرقبتها وكأنها ما زالت تخنقها. قامت جنة وهي تشعر أن حياتها أصبحت ثقلاً على كتفها يمزق كل وجدانها وكأنها كما قالت أمها إناء فارغ, شيء, مجرد شيء امتصت منه الحياة. جذبت حقيبتها لتخرج بعض صخرات الهروين الصغيرة لتسحقها وتشتم رائحة غيبوبتها التي لم تفق منها منذ أعوام. بكت جنة لتتساقط دموعها على الهروين لتستنشق منه جرعة ثانية ثم قامت لتحضر إبرة وحضرت بعض الهروين لتحقنه في يدها لأول مرة في حياتها. سالت الدماء على يدها في مشهد مقزز جعلها تكره نفسها حتى

سري الهروين في عروقها فنامت جنة في مكانها ليعود نفس الحلم مرة أخري. لم تستطع جنة أن تهنأ بلحظة نوم واحدة كلما نامت قتلتها كلمات أبيها وخسة أمها لتقرر جنة أنها لن تنم. ظلت تقاوم النوم بكل الطرق ولم تستطع. وظلت على هذا الحال حتى أشرقت شمس جديدة عل الناس يلاحظون الخراب الذي سببه خراب نفوسهم.

***

منذ أن فجر رشد مدرعات الأعضاء ولم يعد شيئاً في القاهرة كما كان. أعلنت حالة الطوارئ العامة في كل المقاطعات وأصبحت مقاطعة عين شمس كالثكنة العسكرية تري فيها من قوات المقاطعة حتي القوات الخاصة الحكومية. ظلت قوات المقاطعة تنتشل الجثث لساعات حتى انهم اضطروا أن يستدعوا سيارة نقل كبيرة لكي تتسع لكل هذه الجثث التي كادت أن تصل إلي مئة قتيل لا يوجد بينهم ناج واحد. عاد حسنين بعد ما باع سبيكتا الذهب بحقيبة تكتظ بالنقود ليقدم نفسه للقادة العسكريين بأنه حسنين علام عم القتيل فاروق وجد ولده زاهر و أنه بالرغم من أن اسمه غير مسجل في سجل المقاطعة لظروف سابقة إلا أن هذه الحادثة أجبرته على أن يقود عائلته التي لم يصبح غيره أهلاً لقيادتها الآن. وضع حسنين حقيبة المال أمام القادة قائلاً أنه سيفعل أي شيء ليحصل على الثأر لولديه اللذان قتلا بوحشية. نادراً ما يرفض المال ففي خلال ساعات كان ملف حسنين في أدراج سجلات مقاطعة عين شمس وعليه كل الأختام التي يتمناها حسنين.

أما في حي الأعضاء فكان الوضع شديد الشبه بمقاطعة عين شمس, زادت الاستعدادات الأمنية في كل مكان و انتشر الجنود يتفحصون المارة ويفتشون من لا تثبت أوراقه انتماءه لحي الأعضاء بطريقة مهينة. أما في مبني مجلس الأعضاء وقف عدنان الجنايني رجل في عقده السادس يرتدي قميصاً

أزرق اللون فتحت أزراره بغير اكتراث أمام رجال هم في الحقيقة كل القادة العسكريين في الأعضاء وفي الحكومة وعضو من مجلس الحكم بالإضافة إلي الخمس أعضاء الأساسيين في مجلس الأعضاء. تكلم رجاء البارودي وهو لواء سابق وعضو من أقوى أعضاء مجلس الحكم موجهاً كلامه كالطلقات إلي عدنان الجنايني رئيس مجلس الأعضاء قائلاً:

- دايماً في أول مرة لكل حاجة! أول مرة رئيس مافيا يفكر يحكم البلد فعملنا مجلس الأعضاء بعد حرب طويلة, أول مرة المطاريد يرجعوا بعد ما كنا نسينا انهم موجودين عشان يضربوا تجارتنا بالهروين فأسسنا سلاح القوات الخاصة الداخلي, لكن أول مرة عيل صغير ومدرس فاشل يفجر تلات مدرعات ويعمل مذبحة مات حوالي ميت راجل منهم اتنين هما كبار مقاطعة خطيرة زي عين شمس؟! وفعهدك أنت؟! عندك أي تفسير للي بيحصل يا عدنان؟

- رفع عدنان كف يده الذي كان يغطي فمه ثم حك انفه بإصبعه وهو يقول وكأنه يحاول أن يكون مقنعاً:

- احنا كل اللي عارفينه أن الواد ده كان قوات خاصه و أبوه كان معلم قوات خاصة ومات فحرب الأقيون التانية وأمه ماتت من فترة والفيديو مش مبين أي حاجه بعد التفجير الولد زحف من تحت المدرعات ولغمها بعد كدة غرق الشارع قنابل غاز الأرقام اللي جاتلي أنهم لقوا فوارغ لأكتر من خمسين قنبلة غاز يعني هو كان بيحاول يخبي حد لأن الولد وقف وبص للكاميرا وهو بيضحك بعد أما فجر المدرعات وبعد كدة كسرها. أنا بوعد حضرتك أن أنا هحل الموضوع ده بأقصى سرعة دي حاجة مفيهاش تهاون وده زي ما معاليك قلت عيل تافه مدرس فاشل هنجيبوا ومش هياخد فأدينا يوم هيعترف بكل حاجة لكن من غير ما نقبض عليه مش هنفهم أي حاجة.

اعتدل اللواء رجاء ثم نظر لعدنان قائلاً:

- احنا دلوقتي قدام طريقين ملهمش تالت, معاك يومين تكون خلصت فيهم كل القصص دي أو هتحصل حركة ترقيات في كل الأجهزة والمجلس الحكومي هو اللي هيحل المشكلة. أنا مش هقدر أجيبلك مو افقة على دقيقة واحدة بعد اليومين يا عدنان!

انصرف اللواء رجاء لينظر الجميع إلي بعضهم البعض فضرب عدنان بقبضة يده على الطاولة لتسقط مطفأة السجائر لتغرق الأرض برماد كثير. نظر إليهم عدنان قائلاً:

- أي حد من قرايب الواد ده عايش تقبضوا عليه وأي حد بيقعد معاه أو صاحبوا يتجاب وعايز صورته فكل النشرات لأن لو صورته اتنشرت مش هيقدر يطلع من المقاطعة اللي هو فيها. مش عدنان الجنايني اللي يجي عيل يدمر كل اللي بناه ويدمر تاريخه فلحظه! محدش هينام قبل الواد ده ميبقي تحت رجلي.

رن الهاتف بجانب عدنان ليرد بعصبية بالغة:

- ها! في أيه؟!

- دخليه!

سمع الجميع صوت خطوات هادئة تقترب من الباب ليدخل المحامي المعروف للجميع ناجي حسان قائلا:

- مساء الخير!

رد عليه عدنان قائلاً:

- مساء الخير يا ناجي! ندي قالتلي أنك عندك معلومات مهمة عن اللي بيحصل !

- اه في الحقيقة أنا ابني واحد من الولاد اللي مع رشد الولد اللي فجر المدرعات ده وهو بيبلغني بكل حاجة بتحصل.

تبدل الغضب في عين عدنان إلي راحة ليقول بحماس:

- هو قالي أنهم بليل هيروحوا للمطاريد عشان يشتروا منهم هروين وأن رشد ناوي يغرق السوق هروين بنص تمن الأفيوكين.

تعجب عدنان قائلاً:

- الكلام ده مش منطقي! ده حتة عيل جربوع مش لاقي ياكل سوق أيه اللي يغرقه؟

- هو في الحقيقة في حاجة كدة غريبة ابني قالي عليها بس هو مهم أني أقولها!

- أتكلم طيب يا ناجي!

- هو قالي أن رشد ده ساحر مش إنسان طبيعي!

- أيه التخاريف دي يا ناجي؟!

- معرفش أنا قلتلك اللي أنا عارفوا. هما النهاردة أكيد هيطلعوا الجبل في السحروالجمال للمطاريد بس أنا معرفش المعاد بالظبط كل اللي أعرفه أنهم هيروحوا بليل.

- لأ دي سهلة دا أنا أقعدله كتيبه تستناه من دلوقتي!

أشار عدنان إلي قادته قائلاً:

- أنا عايز فرقة قوات خاصة تتمركز عند السحروالجمال حالاً. والعيال دي تجيلي هنا وهما عايشين

تحرك الجميع ليبحثوا عن رشد في كل مقاطعات شرق القاهرة وبينما ظن الجميع أنهم يرهبونه ويقيدون حركته كان رشد يزداد غبطة بخطته التي تسير كما رسمها تماماً. فنحن قد نندفع أحياناً لننقذ أنفسنا لكننا في الحقيقة نندفع نحو موتنا فمن منا يعرف ما يخبئة القدر على أي حال؟!

★★★

# «الرابع بعد الثلاثون»

في كل مرة كان يري رشد بها «المعدية» كان يشعر بأنها رمز لشيء أكبر ترمز للعبور من حالة لأخرى من مدينة الطبقة الوسطي إلي حي الفقراء من ثقافة المدنية إلي الثقافة البدوية فعندما عبر رشد هذه المعدية في آخر مرة دخل فيها الكفر دخل إليها كرشد ليخرج «الفرعون الأخير» وكأنه عبر من حال إلي حال من الضعف إلي القوة. على أي حال بدأت المعدية تظهر من بعيد ووجهه قد ارتسم غضباً ليعبر رشد المعدية بنظرة منه لعسكري المقاطعة كالعادة فرشد لا يتم تفتيشه كعوام الناس. أرسل رشد روماني ليستلم مقاطعة الفاروقية من نادي وأرسل أمين ليعد الاجتماع مع المطاريد ليعد هو إلي نقطة البداية. كان الأمر بالنسبة لرشد شخصياً بحتاً لقد كان ثأراً ولذا قرر رشد أنه لن يعيش أحد. لقد كان أمراً منطقياً ألا يعيش أحد فالكفر ليس كعين شمس أو الفاروقية والقبائل لن تخضع لأحد من خارجها كما فعل نادي أو حسنين بغض النظر عن دو افعهم المختلفة. توقف رشد في شارع خالٍ تحت شجرة كبيرة ليشتري من أحد الحوانيت التي جلست بها عجوز ترتدي ملابس رثة تبيع بعض السجائر والحلوى والمشروبات الغازية. ابتسم رشد قائلاً للعجوز:

- صباح الخير يا أمي!

ردت عليه بابتسامة تختلف كثيراً عن ابتسامة رشد ببراءتها وعدم تصنعها قائلةً:

- قول مساء الخير! دي الساعة داخلة على ١٢

تاه رشد في براءة هذه المرأة كيف نجت كل هذا العمر ببراءتها إلا إن كانت امرأة خارقة. تبسم رشد قائلاً:

_ عايز ماية كبيرة اللي هي عشرين لتردي يا أمي.

- والله يا ابني أنا معرف أنهي العشرين و انهي العشرة. خش خد اللي أنت عايزة!

دخل رشد ليحمل زجاجة مياه كبيرة ثم ترك للعجوز خمسمائة جنية قائلاً:

- هحطها في العربية هاجي أخد الباقي!

ردت عليه العجوز قائلةً:

- على مهلك يا حبيبي براحتك!

كاد عقل رشد أن ينفجر فلقد كان تأثير هذه المرأة عليه غريباً وكأن الغضب الذي ملأ قلبه قد لاذ بالفرار عند رؤيتها. وضع رشد القارورة في السيارة ليغادر تاركاً المال لهذه السيدة التي كان يعلم يقيناً أنها لم تحصل على مثل هذا القدر من المال كحصيلة يوم واحد طوال حياتها لتخرج العجوز منادية عليه إلا أن رشد لم يتوقف لتقف العجوز وهي تنظر للمال في يديها وعيناها تفيض بالدموع. توقف رشد عند أرض مهجورة يلقي فيها الأهالي بقمامتهم لفتح القارورة ممسكاً بصولجانه وقد تحول لون عيناه ثم أخرج علبة خشبية صغيرة ليخرج منها قلباً كان في الحقيقة قلب الطفل زاهر. أغمض رشد عينه ليرفع القلب عالياً وهو يقول بصوت عالٍ:

- نفراس ارحمت نبت نتت ام تابن ارجراف!

كرر رشد هذه الكلمات لتحيط بسيارته ظلال سوداء كثيرة ظلت تظهر حول السيارة حتى غطت السيارة بالكامل غيمة كثيفة من السواد وضع رشد القلب في قارورة الماء, قلب ذلك الطفل الذي كان آخر ما شعر به الهلع والخوف والكراهية. أمسك رشد بصولجانه مكرراً وهو يشر بالصولجان إلي القارورة التي بدأ ماؤها يغلي:

- نفراس ارحمت نبت نتت ام تابن ارجراف!

وقف طفل صغير قاده قدره ليري مشهداً لا تفسير له. بدأت تلك الظلال التي تحيط بسيارة رشد بالدخول إلي القارورة التي تحول لونها من الأحمر الدامي إلي اللون الأسود, لون الكراهية والغضب. جري الطفل بعيداً وهو يأمل ألا تتبعه هذه الظلال المتحركة لتؤذيه وهو لا يعلم أن الأذى في الظلال وفي النور الأذى في كل مكان يتواجد فيه البشر. قاد رشد سيارته ببطء حول بيوت قبيلة الطوابين والربيضات وهو يسكب ذلك الماء الذي بدا وكأنه لا يقل ولا ينفد. لم يترك رشد زقاقاً أو شارعاً أو بيتاً للقبيلتين إلا وسكب به الماء المظلم. توقف رشد أخيراً عند منفذ بيع الأفيوكين التابع لقبيلة الطوابين حيث توقف خمس رجال بجلابيبهم ذات اللون الداكن وبنادقهم الآلية على أكتافهم ليسكب آخر ما تبقي معه من ماء فأقبل عليه أحد الرجال وهو يصيح من بعيد:

- بتعمل أيه؟!

أنهي رشد ما يفعل ليلقي بالقارورة قائلاً:

- أنا جايلكوا!

اعتدل الرجل ليقف أمام رشد مباشرة وهو يقول بصوت حذر:

- أجيبلك أيه؟

نظر إليه رشد بهدوء قائلاً:

- للأسف أنت مش هتجيبلي حاجة!

نظر إليه الرجل وكأنه يري رجلاً مجذوباً ثم صاح به مهدداً:

- أمشي من هنا يا فلاح أنت بدل ما أكسرلك وشك وعربيتك العرة دي!

أقبل الأربعة الآخرون ليصيح أحدهم:

_ أو نكسر وشك بعربيتك!

ابتسم رشد ولون عيناه يتحول للأزرق الداكن ليرفع صولجانه لأعلي وهو

يتمتم ببعض الكلمات ليمد الرجال الخمس أيديهم لأسلحتهم لكن الوقت قد فات. أنزل رشد صولجانه لأسفل بقوة ليسقط الرجال الخمسة على الأرض وكأنهم دمى فارغة من الأرواح.حملهم رشد وكأنهم لا وزن لهم ليجلسهم في سيارته مكدسين ثم قاد إلي «هنجر» الربيضات, كان يسمي هنجراً لأنه كان يشبه هناجر الطائرات الحربية. كان مخزناً كبيراً مصنوع من الصفيح ذا سقف مثلث. أوقف رشد سيارته على بعد عدة أمتارعن بوابة الهنجرثم نزل بعدما أخذ بندقية أحد الرجال وعيناه لم تعد بعد إلي طبيعتها ليقتل كل من رآه. كان هناك رجلان عند البوابة يدخنان بعض الحشيش وسبعة رجال بالداخل كانوا يقومون بفرز الأفيوكين وترتيبه. أصطادهم رشد جميعاً كالذباب وكأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً. لم يري عدي وأخيه الأكبر اللذان كانا يجلسان بمكتب أبيهم مطلق النيران لكنهما فزعا إلي بنادقهم ليخرجا من المكتب الزجاجي فصاح فهد بصوت عالٍ ورائحة الخوف تفوح منه عندما رأي رجالة غارقون في دمائهم:

- مين هنا؟!

ما أن أنهي فهد كلماته حتى قبلت شفتاه طلقتان من بندقية رشد ليسقط من فوره. نظرعدي لأخيه الكبيرفي صدمة فالكثيرمنا يظن أن الموت لا يلاحقه وفي تلك اللحظة التي يقف فيها على أكتافنا تصيبنا حالة إنكار. خرج رشد وكأنه ظهرمن العدم ليراه عدي بعيناه الزرقاء المخيفة ليعرف أن أجله قد حان. حاول عدي أن يرفع بندقيته مدافعاً عن نفسه ورشد يقبل عليه بهدوء وكأنه خرج للتسوق لكن يداه لم تطعه لقد كان في حالة شلل قاهرة. اقترب رشد من عدي لينظر إلي عيناه وهو يشتم الهواء من حوله بطريقة مخيفة ليقول بصوت أجش يمتلئ غضباً.

- عرفت الخوف دلوقتي يا عدي؟!

بدأت الدموع تتساقط من عينا عدي ليضربه رشد بدبشك البندقية الحديدي ليكسر أنفه ويسقطه على الأرض. جر رشد عدي إلي إحدى العربات التي تستخدم لرفع البضائع ليربط قدم عدي في شوكتها ثم رفعه لأعلي ليعلقه مقلوباً. ابتسم رشد ابتسامة مخيفة وهو يخرج خنجره ثم شق صدر عدي ليخرج قلبه من صدره وعدي يصرخ كما لو أنه لم يكن في يوم ما ذا قوة يؤذى بها غيره, كان يصرخ وكأنه بريء تماماً وكأن ما يحدث له لم يكن من غرسه حتى أقتلع رشد قلبه فسكن ارتعاشه وسكت صوته وطلي دمه أرض الهنجر من تحته مثلما لطخ يدا رشد وخنجره. مسح رشد يداه في ملابس عدي وكذا الخنجر الذهبي الفرعوني الزخارف. ذهب إلي سيارته ليقودها إلي داخل الهنجر ليلقي بالرجال الخمس على الأرض ثم ذهب إلي جثة فهد ليأخذ بندقيته ليطلق النار على الخمس رجال وهم فاقدي الوعي. عاد رشد إلي سيارته ليخرج حقيبتان كبيرتان من القماش الأسود حصل عليهما من مخزن عاصي العمر اني يحتويان على ما يقرب من مائة كيلو من الهروين ليدسهما تحت مكتب الشيخ مختار ثم عاد ليشعل النار في ما تبقي من الأفيوكين بعدما أخذ ما استطاع حمله. بدأت الأصوات تتعالي في الخارج ليركب رشد سيارته وهو يقود كالمجنون ليبتعد مسرعاً والنشوة تغمر جسده بعدما عادت عيناه إلي طبيعتها. لم تكن نشوة الانتصار بل كانت نشوة غريبة نشوة سوداء. عبر رشد المعدية ليعد إلي بيته القديم قريباً من الكفر حيث كان يعيش رشداً آخر غيره.

***

جلس رشد على كرسيه القديم في شرفته وهو يحتسي كوباً من الشاي ليمده ببعض الدفء وهو ير اقب ما يحدث في حارته. وقفت مجموعة من البنات اللاتي لا يتعدي عمرهن عشرون عاماً على أي حال يرتدين ملابس فاضحة أثارت حتى حفيظة رشد الذي أصبح لا يكترث كثيراً بما يفعله الآخرون.

أمسكت إحداهن ببخاخ أفيوكين لتمتص منه موتها بسعادة بالغة. لفت انتباه رشد صبي صغير يجري وراء أمه ليضربها ممسكاً بقطعة خشب كبيرة وهو يصيح بصوته الطفولي:

- هاتي العشرين جنية يا ست بقولك بدل ما اكسرلك دماغك!

جرت الأم المكلومة لتهرب إلي داخل قهوة «سيد البراوري» لتحتمي في الرجال الموجودين ليتبعها الولد إلي القهوة والجميع يتابع الموقف باهتمام بالغ. دخل الصبي إلي القهوة وهو يسب أمه بأبشع الألفاظ والأم تنظر للجالسين قائلة وهي تبكي وتلطم وجهها بلهجة ريفية:

- حد يغيتني الواد هيضربني يا ناس!

لم يحرك أحد حتى إصبعاً من أصابع قدمه ليصيح شيخ كبير:

- خد يا ولا تعالي! أنت عايز كام؟!

رد عليه الصبي وكأنه يطالبه بحقه:

- هات خمسين جنية!

ابتسم الشيخ قائلاً:

- أنت مش كنت بتقول لأمك هاتي عشرين جنية؟!

- لأ أنا عايز خمسين! هتجيب الفلوس ولا تقعد ساكت؟

مد الشيخ يده في جيبه والابتسامة تملأ وجهه ليعطي الصبي ما أراد. أنصرف الصبي وأمه تدعو عليه بأن يقتله الله لتحظي ببعض الراحة قبل موتها. نظر رشد إلي الكرسي المقابل له وهو يهز رأسه منكراً ما حدث ليري الست أميرة وقد جلست تبكي في صمت وهي تحمل في يدها صورة رشد فسقط كوب الشاي من يد رشد الذي لم يلتفت له. أمسكت الست أميرة بصدرها وازداد بكاؤها وقد أصاب نصف جسدها الأيمن شللاً وارتعاشاً غريباً ليقف رشد وقد اغرورقت عيناه بالدموع. بدأت رعشات جسدها بالثبات بعدما شل نصفها الأيمن تماماً لتقول بصوت منخفض غير مفهوم لالتواء شفتاها وهي

تنظر إلي صورة رشد التي سقطت من يدها على الأرض:

- أنا اسفة يا أبني أنا اللي جبتك في وسط وحوش وربيتك أنك تبقي إنسان!

ظلت تردد حتى فاضت روحها:

- أنا أسفه يا رشد! سامحني يا ابني!

تسمر رشد في مكانه وهو ينظر لأمه ثم جلس القرفصاء بعدما اختفت صورة أمه لينتحب بصوت هادئ وكل ما يفكر فيه أنه لو لم يدافع عن تلك السيدة لم تكن أمه لتمت وحيدة حزينة خائفة. دق جرس الباب أكثر من مرة ليحاول رشد أن يعدل من هندامه ثم قام وهو يصيح:

- لحظة!

دخل مسرعاً إلي الحمام ليغسل وجهه ثم جففه بسرعة وخرج ليفتح الباب ليدخل روماني بطاقته الإيجابية المعهودة:

- ده شوية فيديوهات يا صداقة هتقلب الدنيا. أنت عبقري!

ابتسم رشد قائلاً:

- جبت الأربعة؟!

ضحك روماني وهو يجلس على الأريكة في الردهة قائلاً:

- أنا جبتلك الهارد كله يا صداقة.

صمت روماني وهو يشعل سيجارة ليقول:

- وعلي فكرة صحيح الراجل اللي أسموا نادي ده زي الفل ده أداني الرقم السري بتاع خزنته ومفتاح مكتبه وعرف الرجالة كلهم إن أنا مكانه. أنا مش مصدق أننا خدنا منوا المقاطعة بسهولة كده.

اقترب رشد من روماني والحماس يملؤه سلم الصديقان على بعضهما ممسكين بقبضة بعضهما البعض ليقول رشد:

- سيبك من نادي دلوقتي جه دور الخاينين يا صاحبي!

★★★

# «الخامس بعد الثلاثون»

في عصرنا دائماً ما تختلط القوة بالشر في عقول الجميع بينما القوة من الشر براء. في مشهد مهيب دخل رشد إلي معبد الكمتيين يمتطي خيلاءه الزائد عن الحد يرتدي حلة من الكتان الأبيض ممسكاً بيده صولجانه الذهبي ليركع الجميع بمجرد رؤيته. كانت المنصة ثلاثية الأضلاع مثل المعبد تماماً. توجه رشد إلي رأس المثلث ليجلس القرفصاء ثم جعل يرسم هيئة رجل بصولجانه وهو يتمتم بصوت غير مسموع ليظهر سمعان من العدم وهو يقف وراء رشد ينظر للجميع بابتسامته المعهودة لتخرج شهقات مكتومة من الحناجر. وقف رشد مبتسماً ليقف خلف سمعان ثم وضع يده على كتفه قائلاً بصوت جهوري كأنه يلقي خطاباً حماسياً:

- سمعان كان قائد عظيم ويكفي إن اجتماعنا هنا والمعبد العظيم ده وفكر جماعة الكمتيين كل ده نتاج أفكاره لكن للأسف كل إنسان فينا جواه طاقة بيوصل لحد معين وبعد كده بيقف ميقدرش يكمل أكتر من كده. أنا بقلكم إن سمعان دلوقتي مبسوط وفخور بينا قدام الإله.

ابتسم سمعان ابتسامة عريضة ليلتفت راكعاً أمام رشد الذي ضربه بالصولجان على رأسه ليختفي تماماً وكأنه لم يوجد. بهذه الخدعة استطاع رشد أن يأسر قلوب وعقول الجميع والأهم من ذلك ولاءهم. تابع رشد خطابه بنفس الحماسة قائلاً:

- أنا مش جاي النهارده أسرق احتفالكوا برئيس قوي وعنده رؤيا وقائد حقيقي لجماعة الكمتيين. أنا هنا عشان تعرفوا إن احنا في عهد جديد وفي حاجات كتير اتغيرت منها إن نادي رئيس الجماعة لكن في مجلس بيساعده

هو اختارهم بمساعدتي طبعاً. الحاجة التانية إن أنا الكاهن الأعلى للجماعة, عايزكوا تشوفوني كمرشد ليكوا في طريق هيكون كلوا مجد وعظمة. الحاجة التالته ودي بالنسبة ليا أهم حاجة أن مينفعش نبقي مزيفين! مينفعش يبقي اسمنا جماعة الكمتيين ومفيش أي وجه شبه بينا وبين أجدادنا, نبقي مجرد اسم ملهوش و اقع مجرد صورة أو سراب عشان كدة أنا قررت بعد مو افقة نادي ومجلسه طبعاً إن كل واحد فينا هيتعلم السحر على إيدي أنا. ممكن متكونوش لسه تعرفوني لكن لو قريتوا التاريخ بتاعنا _ودي حاجه أنا افضلها جداً, لازم نكون مثقفين كلنا_ دوروا على أسطورة الفرعون الأخير, كاهن حكا إله السحر. الفرعون الأخير ده هو أنا ومعتقدش إن في حد يقدر يعلمكوا تتواصلوا مع الأجداد احسن مني. علت الأصوات المهللة وبدأ البعض يصفقون في فرحة ممتزجة بالدهشة من الشرف والمسئولية التي وقعت على عاتقهم ليشير إليهم رشد بيده ليصمت الجميع فتابع رشد حديثه:

- موضوع السحر فعلاً شرف لكن هو مش سهل ومحتاج وقت كبير لأن السحر هو خلق عالم مش موجود في الحقيقة من خلال انك تعمل توازن بين قوى الطبيعة وده بيحتاج تدريبات طويلة وشاقة جداً. أول حاجه هنعملها هي إن كلنا هنرسم على ضهرنا وشم معين هيبقي علامة تميزنا وفي نفس الوقت تمجيد للإله حكا.

تحرك رشد ناحية طاولة صغيرة وراءه ليخلع قميصه وهو يقول:

- في بنت اسمها ياسمين عندها معرض لرسم الوشم.

رفعت فتاة في العقد الثاني من عمرها يدها بتردد ليشير إليها رشد وهو يضع قميصه على الطاولة وظهره موجه للجميع قائلاً:

- تعالي يا ياسمين!

تقدمت البنت والفرح يغمر خلايا جسدها فلقد كانت من عوام الجماعة أي

لم يكن لها سلطة ولا قدرة على إحداث أي تغييرفعلي ومثلها لا يحق له أن يصعد إلي المنصة. سألها رشد بدون أن يلتفت:

- شايفه الوشم اللي على ضهري ده يا ياسمين؟!

فردت عليه ياسمين وهي تقترب بحذروالابتسامة قد استحوذت على ملامحها:

- اه شايفاه!

استدارر شد ليواجهها ليلاحظ الجميع وشم القوات الخاصة على كتفه قائلاً:

- تعرفي ترسميه بالظبط زي ما هو؟!

ردت الفتاة بتلعثم:

- هو سهل جداً بس أنا هحتاج أدوات.

أشار رشد لنادي ليشير نادي بدوره لأحد رجاله ليأتي رجلان يحملان طاولة كبيرة ليضعوها أمام ياسمين ورشد في منتصف المنصة تماماً. ابتسم رشد قائلا:

- كدة بقي الموضوع سهل جداً!

تحركت ياسمين ناحية الطاولة لترفع تلك القماشة البيضاء الكبيرة التي غطتها فوجدت كل ما تحتاج من أدوات فقفزت بعفوية لتقول وهي تصفق:

- دي أدوات جديدة, دي جميلة أوي

ابتسم رشد قائلاً:

- بعد لما تخلصي الأدوات دي بتاعتك.

زادت سعادتها ليلتفت رشد إلي نادي قائلاً:

- حابب تبدأ أنت يا نادي؟!

ابتسم نادي ليخلع قميصه وهو يتجه إلي الطاولة قائلاً:

- القائد دايماً الأول!

استدارر شد ليواجه الجمع مرة أخرى ليقول:

- اخر حاجة لازم أقولها قبل ما نبدأ الاحتفال أن المعرفة هي الحاجة الوحيدة اللي ممكن تخلينا لا نقهر وبالتالي لازم نفهم ثقافة أجدادنا صح. أحنا مكناش رومانيين أو يونانيين بنعبد شهواتنا بالعكس احنا كبرنا بالتحكم في شهواتنا. في نص قديم في «كتاب الموتى» وده من الحاجات اللي هنتعلم منها السحر بيقول على ما أتذكر يعني لأني ممكن أنسي حاجة:

- لقد جئتك يا إلهي خاضعاً لأشهد جلالك, جئتك متحلياً بالحق متخلياً عن الباطل فلم أظلم أحداً ولم أسلك سبيل الضالين ولم تضلني الشهوة, لم تمتد عيني إلي زوجة أحد من رحمي ولم تمتد يدي لمال غيري. لم أجع ولم أبك أحد ولم أرتكب الفحشاء ولم أدنس شيئاً مقدساً ولم أغتصب مالاً حراماً, إني لم أبع قمحاً بثمن فاحش ولم أغش الكيل.

صمت رشد قليلاً ثم عقد يداه أمام صدره وقال:

- دي كانت أخلاقهم و أفكارهم وعشان تقدروا تتعلموا مني أي حاجه لازم نمشي على القوانين دي وعلي حسب قدرة كل واحد في كبح جماح نفسه هتزيد قدراته في السحر لأن حكا هيبقي دايماً في صفه.

التف رشد بوسطه ورأسه لينظر إلي ياسمين التي انكفأت على ظهر نادي وكأنها ترسم لوحة فنية فنظر إليها رشد مبتسماً ثم قال:

- جميلة أنتي يا ياسمين, موهوبة بجد!

ثم قال موجهاً كلامه للجميع بحزم:

- من اللحظة دي مفيش حد أعلي من حد أو أحسن من حد إلا بالعلم اللي عندوا, بالحاجة اللي يقدر يفيد بيها الجماعة لكن اللي كان بيحصل قبل كده مش مسموح انه يحصل دلوقتي. أشار رشد لرجل من الحراس كان يقف حاملاً كأساً من الشمبانيا الفاخرة ليهرع الحارس إلي رشد ليعطيه الكأس وهو مطأطأ الرأس. أمسك رشد بالكأس ثم قال:

- عايز كلنا النهارده نرسم وشم حكا ولازم كلنا نخصص جزء من صلاتنا لحكا وكل ما يكون الجزء ده كبير كل ما هتبقي أقوي.

توجه رشد إلي نادي الذي نام على بطنه لتتدلي دهونه الزائدة على المنضدة وقد تلون ظهره باللون الأحمر نتيجة احتكاك الإبرة به ليرفع رشد يد نادي بيده والكأس بالأخري قائلاً:

- آي الثاني!

ليصيح الجميع من بعده:

- آي الثاني!

ثم تجرع الجميع كؤوسهم لتغمر الموسيقي المكان. كان الجميع في فرح شديد بسبب تلك القوة التي أضافها إليهم رشد أما رشد فكان يعلم تماماً أن القوة إدمان يجعل متعاطيها عرضة للذل طوال الوقت! نعم, بالرغم من توقع الضعفاء بأن عالمهم هو الأصعب لكن عالم الأقوياء عالم شرس لابد وأن تزيد في كل يوم قوة وإلا انتهي أمرك فدائماً هناك من هو أقوى منك إلا إن كنت تمتلك قوة سحرية أسطورية كتلك التي يمتلكها رشد.

***

من قوانين الحياة أنك دائماً ستجد أن الجبان يتمتع بالغباء مثله مثل الشجاع تماماً لأن الجبن والشجاعة مشاعر تسيطر على الفرد لتقد قراراته أما الذكي هو من يعرف متى يجب عليه الهجوم ومتى يلوذ بالفرار والخائن فلا علاج له إلا الموت. خرج رشد من المعبد يتبعه زكريا الناعم والنقيب مجدي. كان الظلام دامساً لم يكسره إلا أضواء السيارات التي توقفت عن بعد وكذا سيارة رشد القريبة. وبينما كان أمين وجنة يرقبان رشد من داخل سيارته والتساؤلات تدك رأسيهما. تحرك رشد وزكريا والنقيب مجدي ليقفا على بعد ما يقرب من عشرون متراً عن السيارة يتكلمون ليشير النقيب مجدي لأحد

الرجال الذي اتجه ناحية الجبل وعاد بصحبة جيش رشد الصغير. مائة وثمانون جندي تدربوا في مدرسة القوات الخاصة المحلية قادرون على فعل أي شيء إن حظوا بقيادة حكيمة. لاحظت جنة توتر أمين الشديد عند رؤية الجنود فأخرجت بعض حصوات الهروين لتعطيه بعضاً منها قائلةً:

- خد عشان تهدي!

أمسك أمين بالحصوات ليطحنها جيداً ثم استنشق كل حبة منها بنهم شديد. ظلت جنة تتابع رشد الذي وقف أمام الجنود الذين وقفوا في تشكيل عسكري متقن ليمشي رشد بينهم وهو يقول:

- كلنا كنا قوات خاصة وكلنا عارفين شعار القوات الخاصة «الموت للأموات» الشعار ده معناه إن الهدف بتاعنا كده كده هيموت سواء على أيدنا أو أيد أخو اتنا من بعدنا لأن دي قوة دولة ومكانش في حد ممكن يقف قدام الدولة ويعيش لحد ما أنا جيت! أنا بثق في رجالتي ورجالتي قالوا إن كل واحد و اقف قدامي دلوقتي محل ثقة. أنا عايزكم تعرفوا أن أحنا مع بعض هنخدم الوطن ده أكتر ما خدمناه في أي وقت تاني بس بشكل مختلف. كل اللي و اقفين قدامي دلوقتي أنا عارف أنكوا ظروفكم صعبة و أنكوا بتخاطروا بحياتكوا عشان تقدروا تبنوا لنفسكوا حياة في ناس هنا حياتها مدمرة أنا شامم ريحة يأسهم من مكاني هنا وبقولهم أن كل اللي و اقفين قدامي دلوقتي هيبقوا قادة في مجلس الأعضاء أو في مجلس الحكم أو في المقاطعات كلنا هنمشي الطريق مع بعض و أنا في الصدارة أنا مش القائد اللي بيقعد في مكتبه ويبعت رجالته تتقتل. أهم حاجة الأوامر تتنفذ بحذافيرها زي ما قلتها بالظبط من غير زيادة ولا نقص مهما حصل لأن أنا دايماً عارف أيه اللي بيحصل حواليا. عشان كدة دايماً اللي بيخوني بيموت قبل ما يشوف نتيجة اللي عمله. أشار رشد للنقيب مجدي فاتجه مع أحد رجاله ناحية سيارة رشد ليجروا أمين منها وهو يصرخ

في غضب حتى وصلوا إلي رشد فرموه تحت أقدامه. ثني رشد جسده ليمسك بتلابيب أمين ليرفعه وهو يهمس في أذنه بغضب:

- اتنين مليون في الأمان أحسن من مية مع رشد؟! مش كدة يا أمين؟!

أعتلي الرعب وجه أمين ونظراته ليركع مقبلاً قدما رشد مترجياً:

- أنا يا رشد.....

قاطعه رشد بغضب شديد وكأن صوته تحول زئيراً لتلمع عيناه في لحظة عابرة بتلك النار التي تسكنها وهو ينظر في عينا أمين:

- هتكدب عليا أزاي يا أمين؟! أنت ناسي أن أنا بعرف! أنا عارف البودرة لحست دماغك بس أنا هفكرك أنا مين دلوقتي!

أستدار رشد ليواجه جيشه الصغير قائلاً بعصبية:

- كمال هات البندقية اللي معاك!

خرج رجل ضخم من وسط التشكيل مهرولاً وهو يحمل بندقية»حلوان ٩٢٠» وهي بندقية الية هجومية ضخمة ذات ماسورة سوداء طويلة جداً مقارنة بباقي البنادق. يستخدم هذه البندقية القوات الخاصة إذ أن رصاصاتها ذات العيار(٧,٦٢*٥١) قادرة على أختراق أي شيء حتى المدرعات. أفرغ رشد الخزينة من طلقاتها ليخرج طلقة من جيبه مختومة بختم القوات الخاصة ثم وضعها في خزينة البندقية وقال:

- الخيانة مرض ملهوش علاج غير الموت!

وضع رشد فوهة البندقية على رأس أمين الذي على بكاؤه ليشبه بكاء الأطفال ليعتصر رشد الزناد فخرجت الطلقة لتفجر رأس أمين ملقية بمخه الذي لم يستخدمه يوماً واحداً في حياته على الرمال. أعاد رشد البندقية إلي كمال ثم عاد إلي السيارة مبتسماً وهو ينظر لجنة التي تلألأت دموعها تحت ضوء القمر و انكمشت على نفسها في المقعد الخلفي للسيارة. اخرج رشد كاميرا صغيرة ثم عاد إلي رجاله قائلاً:

- اللي مات ده بلغ عني الأعضاء وفي فرقة قوات خاصة دلوقتي حالاً بتتحرك عشان تقتلني لكن هما ميعرفوش أن أنا فضهري رجالة زيكوا. هنتحرك حالاً للسحر والجمال و أنا هطلع الجبل للمطاريد, الفرقة اللي جاية دي قدامها نص ساعة وتوصل أحنا من قلب الصحرا هنا هنوصل في عشر دقايق. اللي راح السحر والجمال قبل كده عارف إنك عشان تطلع الجبل لازم تعدي من مدق ضيق كده طوله حوالي خمسين متر وعرضه خمسة متر. خطة الفرقة دي إنهم يتمركزوا على جو انب المدق ده عشان يفاجئوني بس هما لما يوصلوا هيلاقوا مكانهم مش فاضي. محدش هيطلع حي ومحدش فيكوا يتصاب أحنا عددنا أكتر منهم بمية وتلاتين راجل وعندنا عنصر المفاجئة, كل واحد ياخد باله من أخوه اللي جنبه.

نادي رشد على أول رجل أمامه ثم علق على صدره الكاميرا التي كان يحملها قائلاً:

- بعد ما المعركة تخلص عايزك تصور جثث العساكر كلها و أكيد مش محتاج أقلك متجيبش وش حد من زمايلك!

رد الجندي بالتزام وحزم:

- تمام معاليك!

أشار رشد للنقيب مجدي ليحضر رجلاً حمل أمين إلي السيارة ليلقي بجثته في المقعد الخلفي بعدما أمر جنة بالانتقال إلي المقعد الأمامي. أكد رشد على صاحب الكاميرا أن يصور جثة أمين ثم قال بصوت مرتفع:

- زكريا بيه محضر تلات مدرعات أنا عارف أنكوا مش هتبقوا عارفين تقعدوا أصلاً بس أحنا مينفعش نمشي أكتر من كده عشان منلفتش الأنظار ونخسر عنصر المفاجأة كلها عشر دقايق ونوصل هنوقف المدرعات والعربية بتاعتي ورا تل قدام المدق الناحية التانية وهنكمل على رجلينا. مش محتاج أقول

تاني! كل واحد يحمي أخوه لو حد فيكم أتقتل أنا هقتل اللي كان و اقف جنبه!
صمت رشد ثم رفع قبضته لأعلي صارخاً:
- الموت للأموات! الموت للأموات!
تبع صياحه صياح رجاله الذي تردد صداه بين الجبال وكأن الصحراء اهتزت له. تحرك الجميع بعدما علموا أدوارهم جيداً ليأخذ الرجال أماكنهم ويصعد رشد وجنة إلي المطاريد. مرت عشرون دقيقة أخذ فيها الرجال مراكزهم بعد أن عين رشد الجندي «كمال» قائداً لهم ثم دخلت فرقة القوات الخاصة إلي فخ كانوا سينصبونه. أباد رجال رشد الفرقة في عشر دقائق ولم يسقط منهم أحداً, كانت هناك بضعة إصابات لكن الجميع بقي على قيد الحياة. عاد رشد ومن خلفه جنة لينظر إلي ذلك الدخان الذي ملأ المضيق ليخفي جثة خمسون شاباً لم يكن ذنبهم إلا أنهم كانوا عقبة أمام رشد. أخذ رشد الكاميرا من عيسي ليشاهد ما صوره ثم ربت على كتفه مبتسماً ثم أخبر الرجال بأن أمامهم عشر دقائق للرحيل قبل أن تصل مروحيات القوات الخاصة وأن السائقين سيأخذون الجرحى إلي المعبد لتتم معالجتهم. أخبرهم بأنه في الصباح سيجد كل واحد منهم سبيكة ذهب تزن عشرة كيلو جرامات بما يعادل مائة ألف جنية ليملأ الفرح قلوب الجميع حتى أن المصابين نسوا إصابتهم لترتسم على وجوههم ابتسامة ارتياح فضيق الفقر مؤلم. تحرك الرجال بسرعة حاملين المصابين إلي المدرعات وتحرك رشد إلي سيارته ليقود عبر المضيق من فوق جثث الموتى وجنة تنظر إليه كأنها لا تصدق أن هذا رشد الذي عرفته. وصل إلي الجبل ليجد شاحنة كبيرة تحمل طناً من الهروين شديد النقاء. شق رشد طريقه في الصحراء كالسهم يعرف وجهته الذي لا يعرفها غيره.
«السادس بعد الثلاثون»
مهما بلغ علم الإنسان لا يمكنه أبداً توقع إلي أي مدي ستسوء الأمور

لأنك لا يمكن أن تتوقع مدي خسة النفس البشرية الضالة. لم تمر نصف ساعة بعدما غادر رشد حتى امتلأ الكفر بقوات الأعضاء ليفتشوا كل رجال الربيضات والطوابين بعدما وجدوا هذه الكمية الهائلة من الهروين في مكتب الشيخ مختار ليقتادوه إلي مصير محتوم لا يحتاج كثير ذكاء لتوقعه. وعندما انتصف الليل وحل الظلام كانت انتهت قوات المقطعة من تفتيش الجميع بلا أي عائد لتبدأ حرباً ضروس بين القبيلتان حيث ظن عارف ابن الشيخ مختار الأكبر والمعروف لأهل الكفر بالمجنون بسبب دمويته لإدمانه حبوب مخدرة تسمي «كبتازين» تسبب الهلاوس ونوبات الفزع ولذلك حرمه أباه من خلافته ليضع أخويه الصغيرين مكانه. كان رشد يعلم جيداً أن موت عدي وفهد سيؤدي بالضرورة لامتلاك عارف زمام الأمور وكان هذا بالضبط ما يحتاجه. كان شارع الحرية في وسط الكفر ميداناً للقتال ليحترق عن بكرة أبيه وبالرغم من محاولة قوات المقاطعة التدخل أكثر من مرة إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل ليضطر «عدنان الجنايني» للتدخل بنفسه لينهي الأزمة التي عصفت بما تبقي له من أمل. عندما توقف إطلاق النار كان الضرر قد وقع بالفعل فلقد مات مئات الضحايا من الجانبين وكثير من سيئ الحظ الذين كانت غلطتهم الوحيدة أنهم من قاطني شارع الحرية, نساء وأطفال ورجال لا ذنب لهم أنتهي عمرهم بدون إبداء أسباب. للمرة الثانية في نفس اليوم تنقل الشاحنات الكبيرة جثثاً مكومة فوق بعضها البعض ويكفي أن تعلم أن الأمر تطلب عشر ساعات لإطفاء الحرائق التي اشتعلت في شارع الحرية وأكثر من عشرون سيارة إطفاء ليضطر عدنان الجنايني أن يعوض كل من خسر مقر عمل أو خسر أحد أفراد أسرته مالياً ليكلفه الأمر نصف مليار جنيه لإعادة إعمار الشارع وتعويض جميع قاطنيه في محاولة بائسة منه لإرضاء مجلس الحكم. ظن «عدنان» أن هذا أسوء ما يمكن أن يحدث لكن الأمر كان أشد

سوءً مما قد يتخيله عدنان فبعد ساعات ستخرج الشمس حاملة مصائب لم يري التاريخ مثلها من قبل.

***

سارت جنة مع رشد في صمت ودموعها تنهمر تحت ستار من الأمطار الشديدة لم تكن تفكر في مصيرها كل ما كان يشغل بال جنة هو أباها الشيخ أسامه, ماذا كان سيحدث إذا احتضنها إذا حاول مساعدتها لإخراجها مما وقعت فيه؟ كل ما فكر فيه الشيخ هو صورته أمام الناس لم يفكر لثانية واحدة أنه يلقي بجنة في وسط غابة لن تقوي على البقاء فيها كثيراً. مر عامان منذ طردها الشيخ أسامة كالجحيم, لم تشعر جنة بلحظة سعادة أو حتى راحة فإرضاء الرغبات مهما كان ممتعاً فهو يختلف عن الراحة كثيراً. ظلت تنظر في وجوه الناس لعل أحدهم ينقذها من رشد, لعل أحدهم يري الضعف في عينها فيرحمها من هذا المصير الذي لا تريده لكن بدا لها وكأن الناس لا تراها. فكرت في أنها لو كتبت لها فرصة ثانية ستحيا حياة مختلفة ستصلح ما أفسدت ستضع كرامتها فوق رغباتها وغرائزها, لن تتعامل مع جسدها كسلعة تقايضها بما تريد حتى وان ماتت جوعاً. نظرت جنة حولها وكأنها تبحث عن كل من استمتعوا بجسدها وهم يلوكون ألسنتهم بكلام معسول عن حمايتها من أي شيء فلم تجد أياً منهم. دخلت جنة إلي محطة الحلمية لمترو الأنفاق وهي لا تستطيع حتى أن تحرك أصابع يدها إلا إذا أراد رشد وكأنها دمية يحركها صاحبها. وقفت جنة وسط الناس بعدما هدأت الأمطار ليقف رشد أمامها على الرصيف المقابل وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة لتري جنة ظلاماً يقترب عليها لا هيئة له, كتلة من الظلام تتحرك ناحيتها بسرعة كبيرة لتقفز جنة أمام القطار الذي مزق جسدها تماماً فلم يبقى منها شيء يدل على هويتها, أصبحت مجرد أشلاء وشظايا, أصبحت لا شيء سوى كومة من اللحم

كما عاشت كومة من اللحم. ضج الناس وفزعوا ليتحرك القطار مبتعداً ليمزق ما تبقي من أمل في الحصول على أي شيء من جسدها لدفنه. ليمشي رشد مبتعداً وعلي وجهه ابتسامة نصر وكأنه فاز بمعركة قادش. خرج رشد من المحطة ليتجه إلي مبني قناة «درب» التلفزيونية. كان مالك هذه القناة هو «فادي شنودة» رفيق درب «عدنان الجنايني» سابقاً وعدوه اللدود حالياً. كان فادي عضواً في مجلس الأعضاء ورئيس ثاني أكبر مافيا بعد مافيا الجنايني في القاهرة وكان يري في الأحداث التي تحدث فرصة ذهبية ليحتل كرسي «عدنان». ذهب رشد إلي المبني ليقبل على رجل الأمن على البوابة قائلاً:

- صباح الخير!

رد عليه الرجل القصير ذا الشارب المجدول بابتسامة أخفاها شاربه:

- صباح الخير يا فندم!

- أنا عايز منك خدمة بسيطة.

أخرج رشد يده من جيبه ليقترب من الرجل ليدس أربعة ورقات من فئة الخمسمائة جنية في جيبه قائلاً:

- هتاخد أسطوانة توصلها لأي حد في مكتب للإعداد وهو كمان هيكافئك بس لو قلتله إنك لقيتها مرمية في الزبالة قدام القناة. أنا همشي دلوقتي وهرميها في الزبالة هناك وبعد شوية روح خدها.

نظر إليه الرجل نظرة تعجب ليتغير لون عين رشد الذي نظر في عين الرجل لدقيقة ثم غادر المكان ليتابع عمله فهناك طناً من الهروين يحتاج تسويقاً جيداً.

***

نام «عدنان الجنايني» ساعتان فقط في مكتبه على الأريكة من الخامسة فجراً إلي السابعة. استيقظ ليطلب كوباً كبيراً من القهوة السادة ثم تعاطي بعض

الكوكايين ليحافظ على نشاطه وحدة ذهنه لم يكن يعلم أن عدوه لم ينم منذ ثلاثة أيام ولن ينم حتى يقضي ما أراد. أشعل عدنان سيجاراً من النوع الفاخر ثم فتح التلفاز ليري ما جد من أخبار. كان هناك برنامجاً صباحياً مملاً فأغلق صوت التلفاز ليتفحص المكالمات الواردة على هاتفه. نظر مرة أخري إلي التلفاز ليجد خبراً عاجلاً. أعلنت قناة «الدرب» عن وصول بعض الفيديوهات ذات أهمية كبرى وأنها ستذاع بعد خمس دقائق عندما ينتهي المعدون من ترتيبها لوصولها منذ وقت قليل إلي القناة ثم عرضت المذيعة فيديو صوره أحدهم بكاميرا شخصية لتعلق المذيعة قائلة:

مشهد لم يره التاريخ من قبل سارع معظم رجال مقاطعة الكفر في إقليم شرق القاهرة بالخروج من بيوتهم بلا عوده ولكن عزيزي المشاهد ليس هذا هو الأمر الغريب. الأغرب أن جميع الرجال قد طلقوا نسائهم وتركوا بيوتهم بلا عودة في مشهد مريب لا تفسير له فكما ترون كم الرجال سواء السائرون على أقدامهم أو الراكبون سياراتهم وهم يحملون حقائبهم.

انتهي الخبر لتقول المذيعة تعليقاً على فيديو اخر يعرض جثث لبعض جنود القوات الخاصة:

- يبدو أن اليوم هو من الأيام الحافلة بالهزائم حيث وصلنا مقطع فيديو يوضح مقتل عشرات الجنود من القوات الخاصة في الصحراء والتي على ما يبدو كانت تهاجم عدو الأعضاء الأول والشاب الذي أصبح يهدد أمن جميع قطاعات شرق القاهرة. الغريب في الأمر أن رجال كثر في مجلس الأعضاء لا يعرفون شيئاً ليبدو لي شخصياً أن هناك رجل يتحرك بمفرده في وسط الكوارث التي تمطر على رؤوسنا!

معنا فيديو آخر لمقتل جنة من كاميرا محطة الحلمية لمترو الأنفاق حيث ألقت فتاة بنفسها لتنهي حياتها بشكل وحشي.....

انتفض عدنان عندما رأي رشد يقف على الرصيف المقابل لجنة ليرفع صوت التلفاز. حيث أكملت المذيعة حديثها:

- هذه الفتاة التي بلغت اليوم عامها العشرين لم تنهي حياتها عبثاً فلقد عاشت على ما يبدو حياة صعبة للغاية حيث وجد في حقيبتها الممزقة ورقة كتب فيها:

«النهاردة تميت عشرين سنة حاولت أعيش فيهم فوسط الناس لكن في الاخر مقدرتش استحمل الوحشية والاستغلال والذل, لما أعيش حياتي كلها مليش لازمة غير متعة الناس يبقي الحياة ملهاش قيمة ولا معني. سامحوني وأرجوكوا اتغيروا.»

ذرفت المذيعة بعض الدموع المصطنعة وهي تقرأ ما كتبته جنة لتقول:

- الصور اللي هنعرضها لحضر اتكوا دي من فيديوهات في شقة جنة بتوضح استغلال ناس من المسؤلين في منظمة «عدنان الجنايني» منهم العميد «زياد الأقرع» رئيس مكافحة المخدرات في شرق القاهرة و «جمال الزناتي» رئيس لجنة التخطيط في منظمة «عدنان الجنايني» الفيديوهات بتوضح استغلالهم لجنة جنسياً بالرغم من فارق السن اللي ميقلش عن تلاتين سنة بين أصغر واحد فيهم وبين جنة. إحنا من قناة «الدرب» بنطالب مجلس الحكم بالتحقيق في الموضوع ده وأسرة القناة بالفعل حالياً هتوقف البث لأننا هنقدم كلنا بلاغ جماعي للنائب العام ملحق بيه الأدلة اللي وصلتنا. لأن أحنا منقدرش نشوف البلد بتضيع بسبب أختيارات «عدنان الجنايني» الخاطئة لرجاله, دمتم سالمين.

توقف البث لتظهر صورة لجنة على الشاشة ليتوقف قلب عدنان لثانية عن الخفقان. رن هاتفه حاملاً أمراً من مجلس الحكم بتقديم استقالته بحلول المساء والاستعداد للمحاكمة ليتم رشد أول جزء في خطته بفوز أكبر

مما قد يتوقعه أشد المتفائلين فرشد لم يزح فقط عدنان الجنايني بل هز ثقافة استقرت لعقود من الزمان بأن مجلس الأعضاء محصن بقوته فبرحيل عدنان عن كرسيه سيكون رشد في طريقه إلي ما يريد أما عدنان أصبح كل همه أن يجد رشد ليمزق جسده, لن يهتم عدنان بمال أو منصب بعدما فقد تاريخه بسبب لم يعرفه بل إنه لن يهتم حتى بحياته.

★★★

# «السابع بعد الثلاثون»

ما تخيله «الماجا رؤوف» كان حقيقياً فرشد كان يظن أنه إما أن يختار مبادئه أو يختار من حوله وفي الحقيقة لا يمكن فصل مبادئ رشد وأحلامه من أجل وطنه عن رغباته الشخصية وطموحه وأطماعه. لذا لم يهتم رشد بسلامة من حوله ولم يبذل أي جهد لحمايتهم بالرغم عن علمه أنه يجرهم إلي حربه عنوة بدون أي اختيار من جانبهم. الآن هم عزل أمام وحش ثائر لا يقاتل من أجل الفوز بل يقاتل من أجل البقاء وهذا ما يجعله مخيفاً. تحرك رشد بسرعة جنونية بعدما ترك مقر القناة متجهاً إلي بيت عمه منصور. حاول كثيراً الاتصال بهم لكن كل هو اتفهم مغلقة مما أكد مخاوفه. وصل أخيراً إلي بيت عمه مهرولاً ليطرق الباب بقوة وكأنه يريد اقتلاعه من مكانه. فتح جبريل الباب لتزول ابتسامته عندما رأي الخوف على وجه ابن عمه فقال:

- مالك يا رشد في أيه؟!

اندفع رشد إلي الداخل قائلاً:

- أبوك فين؟!

رد عليه جبريل وهو يغلق الباب وقد بدا القلق عليه:

- لسه نايم هيصحي الساعة تسعة!

صرخ فيه رشد ليبدو عليه العجز للمرة الأولى في حياته:

- خش صحيه بسرعة لازم تمشوا من هنا!

اقترب منه جبريل متسائلاً:

- نمشي من هنا ليه؟!

- قوات الأعضاء جايين يقبضوا عليك أنت و أبوك دلوقتي ولازم تمشوا!

أجابه رشد ببراءة:

- بس إحنا معملناش حاجة عشان نهرب أو عشان قوات الأعضاء تقبض علينا!

صمت رشد الذي استوعب الموقف وقد بدا الخوف على وجهه قائلاً:

- رشد! هو أنت السبب في اللي بيحصل في البلد ده بجد؟ يعني اللي بيقولوه في الأخبار ده حقيقي؟!

كف رشد عن محاربة ما يعلم أنه ستحقق يقيناً لتخرج المعركة المحتدمة التي تقع بداخله إلي الوجود على هيئة تشنجات عصبية ثم تمالك أعصابه ليعد إلي قدر من الهدوء قائلاً:

- أنت مش هتفهم حاجه يا جبريل أنت لسه صغير, أنا عملت كل ده عشان الناس كلها, عشان ميبقاش في حسنين تاني!

بدت الصدمة على وجه جبريل الذي قال بصوت مهتز:

- بس في ناس كتير ماتت يا رشد! كتير أوي!

بدا رشد وكأنه لا يملك رداً على ما قاله الصبي الصغير الذي استكمل حديثه قائلاً:

- أنا دورت على الرسومات اللي على الأرض عند عم حسنين وعرفت إنها لغة المصريين القدماء, أنت كنت بتعمل سحر ساعتها صح؟! أتعلمت الحاجات دي فين؟

ابتسم رشد وقد هدأ تماماً ثم قال:

- مش مهم أتعلمتها فين المهم هتوديني فين! المهم هي دي الحقيقة ولا كدبه زي كل حاجه حوالينا!

- و انتا شايف أيه؟

- أنا ساعات ببقي شايف كل حاجه بوضوح وساعات مبيبقاش شايف أي

حاجه كأني أعمي بالظبط كأن كل حاجة أنا بحاربها بقت جزء مني مش قادر أغيروا!

ابتسم جبريل قائلاً:

- أنا قرأت شويه عن الفراعنة ولقيتهم كانوا شبهنا أوي بس هما العلم عندهم كان مقدس وكان العلماء هما الكهنة بتوع الآلهة أنا حتى لقيت أخلاقهم زينا. عندهم بردوا لا تقتل ولا تزني ولا تكذب وحاجات كتير زينا!

نظر إليه رشد والحسرة على وجهه تقاتل ابتسامة الفخر بابن عمه الصغير قائلاً وهو يربت على كتف جبريل:

- كانوا شبهك أنت يا جبريل, كانوا شبهك أنت!

انتفض رشد قائلاً والحزن يملأه:

- أنا آسف يا جبريل, صدقني أنا عمري ما كان نفسي أبقي سبب في أذي ليكوا بس ده العالم اللي أحنا عايشين فيه مش أنا, صدقني مش أنا!

جري رشد ليفتح الباب مسرعاً ليختفي عن مقاطعة النزهة تماماً تاركاً عائلته فريسة سهلة لعدنان الجنايني والحقيقة التي تعذبه أنه من المنطقي أن يموت جبريل في هذا المناخ إذ كيف له أن يحيا إلا إذا مات!

***

ذهب رشد إلي اجتماعه مع روماني وحسنين وسيد البراوري وفي طريقه رن هاتفه ليسكت الأصوات التي تلعنه في رأسه. نظر رشد إلي هاتفه ليجد أن جاكلين هي المتصلة أوقف رشد سيارته وأمسك بالهاتف ثم رد عليها ليجد جاكلين منهارة تحاول إخراج الكلمات رغماً عن بكائها قائلةً:

- أنت كنت مع جنة يا رشد! أنت اللي قتلتها عشان هي عملت الوشم أنا عرفت كل حاجه وعرفت أنت أيه!

رد عليها رشد بهدوء قائلاً:

- عرفتي أيه يا جاكي؟

صرخت به جاكلين وكأنها تحاول أن تقتله بصوتها:

- عرفت أنك مسخ مش إنسان, أنت مجنون فاكر كل الناس عبيد عندك وفاكر نفسك إله تقدر تقرر أمتي حد يعيش أو يموت!

- يعني أنا لما كنت إنسان كنت أحسن؟! أيه رأيك تقولي كده للي حولني للمسخ اللي مش عاجبك ده قولي كده للمجتمع واحد واحد. تفتكري أن أنا اخترت اللي أنا فيه ده؟!

- أنا همشي ومش هتشوف وشي تاني يا رشد لأن أنا مش هستني دوري مش هستناك لما تقرر أن وقتي جه عشان تموتني موته بشعة زي اللي رميت جنة فيها! أنا مش عارفه أنا أزاي حبيتك؟!

- بس أنتي عارفه أني هعرف مكانك!

- رشد متضحكش على نفسك, أنتا قوي بس مش إله وأنا عارفه أزاي مخليكش تلاقيني.

أغلقت جاكلين هاتفها ليفشل رشد في الاتصال بها مجدداً بعدما حاول عدة مرات ليتأجج غضبه ثم رمي بالهاتف بعصبية شديدة لمعت معها النار في عيناه للحظات قبل أن يسيطر رشد على نفسه مستكملاً طريقه إلي بيت روماني حيث سيحرك آخر القطع في لعبته المخيفة.

***

صعد رشد إلي بيت السقيفة عند روماني ليجد الجميع في انتظاره كان حسنين وسيد البراوري يجلسان معاً بينما وقف روماني ليصب بعض الخمر.

قال رشد وابتسامته ترتسم على وجهه:

- صباح الخير يا رجاله!

صاح روماني بنشاط قائلاً بنبرة يملأها السرور:

- صداقه! أصبلك كاس معانا؟

ابتسم رشد وهو يجلس على الأريكة بجوار حسنين قائلاً:

- أنا هاتلي الأزازة كلها!

نظر رشد إلي حسنين قائلاً:

- أخبار عين شمس أيه؟

نظر إليه حسنين بابتسامة رضا وثقة بالنفس قائلاً:

- زي ما أنت قلت بالظبط اللي عندوا علم زينا سهل أوي يسيطر على الباقي!

ربت رشد على ساق حسنين وهوم يملأ صدره غروراً ثم التفت لسيد قائلاً:

- عامل أيه يا سيد؟ وولادك عاملين أيه؟

نظر إليه المعلم «سيد البراوري» بنظرة ارتياب قائلاً:

- كلنا بخير! المهم عشان أنت عارف لازم أروح القهوة, أنت عايزني فأيه؟

كان المعلم سيد البراوري رجلاً في العقد الرابع من عمره أسمر اللون شديد النحافة يرتدي دائماً الجلباب الصعيدي وكان الجميع في الكفر يحترمه سواء خارج «المعدية» أو داخلها. مط رشد شفتاه قائلا:

- أكيد يا سيد طبعاً! بص يا معلم سيد أنا عارف أنك بتبيع هروين على جنب كدة عشان تشيل فلوس تدخل عيالك الجامعة!

ظهر التوتر والخوف على وجه سيد الذي اعتدل في جلسته ليأخذ موقفاً دفاعياً على الفور. أكمل رشد حديثه قائلاً:

- على عكس الأعضاء والحكومة أنا شايف أن دي حاجة جميلة بصراحة أنك نخاطر بحياتك عشان مستقبل ولادك ده شيء نبيل جداً.

ظل المعلم سيد صامتاً يترقب ما يريد رشد أن يقوله وقد بدأت قدماه بالاهتزاز بسرعة. ليكمل رشد نسج الشبكة التي سيحبس بها سيد في عالمه:

- أكيد أنت شايف الكفر دلوقتي مبقاش ليه كبير واحنا هنستغل الموضوع ده

و أكيد واحد بذكائك فكر في كدة لكن أمكانياتك متوصلكش في أي حته وده دوري أنا أني أديلك الامكانيات دي.

رد سيد الذي بدا وكأن كلام رشد قد صادف أفكاره ليبدو أكثر اهتماماً:

- إمكانيات أيه؟!

ابتسم رشد وهو يرتشف بعض الخمر ثم أشعل سيجارة وهو ينظر لسيد نظرات ثاقبة وقال:

- أنا هديلك تلتميت كيلو هروين وهيبقي ليك نص الفلوس!

لمعت عينا سيد للحظة ثم تدارك نفسه قائلاً:

- أنا مش هقولك أن دي حاجه صعبة اليومين دول أنت شايف بنفسك أن الدنيا كلها بتدور عليك والكفر كله قوات في كل مكان و أنا مش هخاطر بحياتي عشان حاجة مش مضمون أني حتى أبيع ربعها قبل أما اتمسك!

ابتسم رشد ابتسامة شر قائلاً:

- أنت عارف أن الوضع اللي أنت فيه ميسمحلكش أنك ترفض زي بالظبط ما أنت مقدرتش ترفض أنك تجيلي و أنت عارف أن البلد كلها بتدور عليا بس بردوا أنا عايزك تفهم أن معايا أنت هتكسب كل حاجة. أولا يا معلم سيد أنا هنقلك الحاجه لحد عندك أنت مش هتتنقل بيها بين المقاطعات ثانياً أنت هتبيعها جملة ومش هتاخد وقت كبير زي ما أنت متخيل لأن أحنا هنبيعها رخيصة والكفر حالياً في ناس كتير كانت عايشه على شغلها مع الطوابين والربيضات ودلوقتي مش لاقيين حتى يأكلوا عيالهم.

- أديك قلت أهو هيجيبوا فلوس منين يشتروا بضاعة؟ ده غير أن أنا هتعرف أني ببيع؟

ابتسم رشد وهو يضع الكوب الذي أفرغه للمرة الثالثة على الطاولة ليقول:

- أنت عندك حق عشان كده أنت هتبيعلهم بالاجل وحوار أنك تبقي معروف

دي هتتوقف على الناس اللي أنت هتختارهم وعلي دماغك أنا مش هعرف أعمل كل حاجه! ولا أيه؟ الموضوع كله أسبوع يا سيد هتمسك فيه فلوس معملتهاش قبل كده فحياتك ودي هتبقي بداية بس أنا بخطط أني أمسك عيلتك الكفر كله لكن أنت لازم تثبتلي أنك تقدر تعمل كده.

أزداد الطمع في نفس سيد الذي قال:

- على بركة الله! هنبدأ أمتى؟

نظر رشد لروماني الذي قال:

- الحاجة متقسمة زي ما قلتلي وجاهزه عندي في الجراج تحت.

التفت إليهم رشد ليقول:

- دلوقتي بسبب الفوضي اللي في التلات مقاطعات بتاعتكوا الأفيوكين قليل ومفيش حد بيدور على مخدرات كلوا بيدور عليا وده أنسب وقت نعمل فيه فلوس, حسنين أنت هتاخد ربعميت كيلو وروماني تلتمية وسيد زيهم. أنا عايز الحاجة دي على اخر اليوم تبقي مغرقه الدنيا.

تحرك الجميع ليبقي لرشد القليل من العمل بعدما غير كل قواعد اللعبة والان حان الوقت لكي يعرف الناس من هو رشد حقاً.

★★★

# «الثامن بعد الثلاثون»

في نفس الوقت الذي اجتمع فيه رشد برجاله كان عدنان قد ألقي القبض على الحاج منصور والصبي الصغير جبريل ليقدمهم مع المحامي المعروف ناجي حسان إلي غرفة الغاز بتهمة الخيانة والتآمر مع رشد الذي أصبح عدواً للأعضاء ليمت جبريل اختناقاً بغاز سام. توصل عدنان إلي اعتقاد دامغ وقناعة راسخة أن شاباً مثل رشد لا يمكن أن يقوم بكل ذلك بمفرده لذا لا بد وأن هناك شخصاً نافذاً يحركه. بعد تفكير عميق أرسل بعض رجالة لمقر قناة «الدرب» ليحصلوا على شريط كاميرا المراقبة الذي يظهر رشد وهو يسلم الاسطوانة بنفسه. طار عدنان فرحاً ليقدم هذا الشريط إلي مجلس الحكم ليري الجميع صورة أخري للموقف. فهم الجميع الآن أن كل هذه الألاعيب من صناعة «فادي شنودة» لكي يصل إلي كرسي الرئاسة في المجلس. في وقت قياسي ألقت القوات الخاصة القبض على «فادي شنودة» وعلي أهم رجاله ليبدأ التحقيق معهم على الفور فالأمر الآن لم يعد قضية فتي طائش أو مجنون بل أصبح قضية كبري تقع تحت اختصاصات الحكومة. أكتسب عدنان الوقت وبالرغم من أن ما فعله جعله يشعر ببعض الانتصار إلا أن رشد ما زال طليقاً وهذا أمر ظل يؤرقه. بالطبع لم تفضي عملية الاستجواب التي مر بها فادي إلي أي نتيجة إلا نتيجة واحدة: الوقت الذي كان يحتاجه رشد لكي يبدأ عرضه السحري المخيف.

***

قبل بداية كل هذه الأحداث اشتري رشد منزلاً مهجوراً على أطراف الكفر وأعده خصيصاً لهذا اليوم. كان المنزل في أقصي شرق الإقليم حيث تستطيع

أن تري الصحراء من بعيد خلف المنزل يتوسطها جبل رملي أصفر ضخم. كان المكان مثالياً لرشد ليستعيد توازنه مرة أخري بعدما فقد السيطرة على نفسه لبعض الوقت وكذلك كان مثالياً ليقوم رشد بأقوى تعاويذه على الإطلاق.

أغتسل رشد جيداً وتعطر ليخرج إلي ردهة كبيرة ثم أخرج صندوقاً كبيراً به مسحوقاً أبيض اللون كان في الحقيقة ملح البحر ثم بدأ يرسم على الأرض التي غطاها التراب نجمة ضخمة مستخدماً ذلك الملح. بعد ذلك أخرج رشد بعض الشموع السوداء ذات الرائحة النفاذة ليوزعها على رؤوس النجمة ثم أخرج القطعة الأخيرة من بين قطع الثلج ليضعها في منتصف النجمة ممسكاً صولجانه, كان ذلك قلب عدي. جلس رشد متربعاً ويده تلطخها الدماء ليقول بصوت عالٍ:

- افاجا سيخور حكا بريندان! افاجا سيخور ماعت بريندان! افاجا سيخور امون بريندان!

صمت رشد قليلاً ليقول:

- مس إم كمت, حتب بو كمت, مت إم كمت!

ثم عاد ليردد:

- افاجا سيخور حكا بريندان! افاجا سيخور ماعت بريندان! افاجا سيخور امون بريندان!

أظلمت عينا رشد تماماً وهو يرفع يداه عالياً, يد تحمل قلب عدي الذي ظل يضغط عليه لتقطر الدماء منه والأخرى تحمل الصولجان. الان رشد وضع الجميع أمام حقيقتهم التي يهربون منها وكأنهم يقفون أمام مرآة لا يمكن أن يغيروا انعكاسات صورهم فيها أبداً مهما غلا ثمن المرآة.

***

خرج كل فرد في جماعة الكمتيين إلي شوارع وسط البلد في القاهرة رغماً عنهم

ليجتمعوا في ميدان التحرير بدأ الجميع يسقط على الأرض في مشهد مثير للخوف والدهشة سقطوا واحداً تلو الاخر ليخرج الزبد الأبيض من أفواههم والغريب في الأمر أن هناك من حاول مساعدتهم وهناك من وقف ليصور ما يحدث وكأن الصورة أهم من الو اقع. وفي لحظات بدأ الجميع يستعيدون وعيهم بعيون بيضاء تماماً ليبدؤوا في الرقص كما لو كان رقصاً صوفياً بدون موسيقي ولم تمر دقيقة حتى بدأ كل من حولهم بالتساقط ليحدث لهم مثلما حدث مع الكمتيين, سقطوا على الأرض ثم أزبدوا ثم قاموا ليرقصوا مترنحين وعيونهم البيضاء تثير الذعر في نفوس الناظرين. ظل هذا الأمر ما يقرب من خمس ساعات وكل من يقترب منهم يسقط على الأرض ليحدث له ما حدث لهم بالضبط. لك أن تتخيل ميداناً كبيراً يمتلئ بالاف المصريين على جميع أعمارهم وأجناسهم ليرقصوا بلا توقف كان المشهد مخيفاً بحق.

غابت الشمس ليخرج رشد على الناس لأول مرة ببث حي على أحد مو اقع الإنترنت على حقيقته, كان عاري الصدر وعيناه الزرقاء المظلمة التي تتوسطها دائرة من النيران ورأسه الحليقة التي تليق بهذا الوجه المخيف. ظل رشد صامتاً لما يقرب من الدقيقتين ينظر فقط إلي الكاميرا. كان رشد يجلس في غرفة مظلمة لا يضيئها إلا تلك الشموع التي وضعها رشد على رؤووس النجمة التي رسمها لذا لم يكن هناك شيئاً واضحاً سوي رشد الذي جلس مواجهاً شمعتان في اتجاه الشرق. ابتسم رشد ابتسامة مخيفة ثم قال:

- أنا رشد محمد وهبي. مدرس فلسفة والنهاردة هديكوا درس العالم كلوا هيحكي عن عبقريتوا إلا أنتوا!

أنا عن نفسي مش بحب أتابع الأخبار بس أنا متأكد إن كل القنوات دلوقتي بتصور من ميدان التحرير وكل الناس دلوقتي منزعجة جداً من اللي بيحصل في الميدان وخايفة منوا. كلوا بيسأل إزاي نقدر نساعد الناس دي؟ رشيتوهم

بماية وحاولوا ترموا عليهم غاز منوم ومفيش أمل. قبل أي حاجة أنا الوحيد اللي أقدر أنقذ الناس دي لأنهم هيفضلوا يرقصوا لحد ما يموتوا ومحدش هيقدر يوقفهم ودي حاجه لازم تفهموها أن أنا السبب في المشهد ده, أنا اللي خلقتوا! بس مش دي الفكرة. الفكرة إن غريب أوي أنكوا خايفين عليهم أو على نفسكوا! هما مبيعملوش حاجة أنتوا مش بتعملوها. تعالوا نحلل المشهد مع بعض:

دي ناس بترقص من غير سبب ومن غير موسيقي ومن غير توقف وده اللي كل الناس بتعمله من ساعة ما بتتولد لحد أما بتموت كل حاجة بنعملها ملهاش معني وملهاش سبب أكبر مننا إحنا عايشين في بحر من الكذب وفاكرين نفسنا بنعوم واحنا بنغرق لأن أحنا عملنا كل حاجة ممكن تتعمل لكن مدورناش على معني لكل ده!

أخرج رشد طبنجته الزمردية ليطلق النار على رأسه فوقع جسده على الشموع لتقبض النار عليها ممارسة طبيعتها فالنار تحرق من اقترب منها. ظل البث يعمل والنار تلتهم جسد رشد ليفزع الملايين الذين تابعوه من جميع أنحاء مصر بل والوطن العربي.

لم تمر عشر دقائق حتى وصلت القوات الخاصة إلي البيت الذي بث منه رشد هذا المقطع المصور لتجد القوات الخاصة رشد يجلس يدخن سيجارة ويحتسي بعض الخمر وكأنه ينتظرهم وعلي وجهه ابتسامة مرعبة. اتصل ضابط من القوات التي كلفت بإحضار جثة رشد بعدنان الجنايني نفسه عبر اللاسلكي قائلاً:

- معاليك رشد مش ميت ده قاعد قدامنا بيشرب سيجارة!

رد عدنان وقد أصابه هاجس أنه يتعامل مع رجل لا قبل له به:

- إزاي يا ابني جثته بتتحرق قدامي دلوقتي في الفيديو؟!

- أنا بقول لحضرتك هو قدامي نصفيه ولا نقبض عليه؟

أجاب عدنان مسرعاً:

-لأ تصفيه أيه! هاتوا حالاً ومتخليش مخلوق يشوف أنكوا نزلتوا بيه حي لأننا مش هنقول إنوا عايش هو كده كده مات.

مشي رشد مع الجنود ليقتادوه إلي مركز التحقيقات لينال رشد ما أراده أخيراً سينال قسطاً من الراحة وهو بشاهد الجميع وهم يتقافزون كالقردة لتغيير ما لا يمكن تغييره.

وعندما أشرقت الشمس استيقظت مصر ليجد كل فرد فيها بجانبه ورقة بردي كتب عليها:

«ليس كل ما تراه عيناك موجود, وليس كل موجود تراه عيناك. أنا الأمل الوحيد لديكم, أنا الفرعون الأخير.»

★★★

تم

بحمد الله

# فهرس


«الفصل الأول» ..... ٣
«الفصل الثاني» ..... ٨
«الفصل الثالث» ..... ١٦
«الفصل الرابع» ..... ١٩
«الفصل الخامس» ..... ٢٥
«الفصل السادس» ..... ٣٠
«الفصل السابع» ..... ٣٤
«الفصل الثامن» ..... ٤٥
«الفصل التاسع» ..... ٤٩
«الفصل العاشر» ..... ٥٨
«الفصل الحادي عشر» ..... ٧٠
«الفصل الثالث عشر» ..... ٨٦
«الفصل الرابع عشر» ..... ٩٦
«الفصل الخامس عشر» ..... ١٠١
«الفصل السادس عشر» ..... ١٠٥
«الفصل السابع عشر» ..... ١١٠
«الفصل الثامن عشر» ..... ١٢٤
«الفصل التاسع عشر» ..... ١٢٧
«الفصل العشرون» ..... ١٣٥
«الفصل الحادي والعشرون» ..... ١٤٤
«الفصل الثاني والعشرون» ..... ١٤٨
«الفصل الثالث والعشرون» ..... ١٦٥
«الفصل الرابع والعشرون» ..... ١٧٠

«الفصل الخامس والعشرون» ..... ١٧٤
«الفصل السادس والعشرون» ..... ١٨٣
«الفصل السابع والعشرون» ..... ١٨٨
«الفصل الثامن والعشرون» ..... ١٩٤
«التاسع والعشرون» ..... ٢٠٢
«الثلاثون» ..... ٢٠٩
«الحادي والثلاثون» ..... ٢١٩
«الثاني والثلاثون» ..... ٢٢٥
«الثالث بعد الثلاثون» ..... ٢٣٧
«الرابع بعد الثلاثون» ..... ٢٤٩
«الخامس بعد الثلاثون» ..... ٢٥٦
«السابع بعد الثلاثون» ..... ٢٧١
«الثامن بعد الثلاثون» ..... ٢٧٨

# عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

## للتواصل مع الدار والمشروع


هاتف / واتسآب

+2 01091985809  +2 02// 37390893

الموقع الإلكتروني

www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني

Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك

FB/lotusfreepub

# إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
أحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض

نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري
الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار

وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا

خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز - ج١
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب

الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة
كالبحر يتنفس موجا
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
طرقتُ باب هواكِ
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
خربشات كاتب مجنون

اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كرتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
احترف فن كتابة الرواية
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية
قصائد على خد الورد
عازف على ضفاف الشوق
وإني أشتهي وصلا
وانفرطت حبات السحر
هذا ما حدث بالفعل
انتبه إلى يمينك لعله يسار
ماذا علمتني الأيام
قهوة سادة
ثم أشرقت الشمس
دين السياسة
عيونك دربي
في جحر الأرانب
النارية
في الحافلة
نساء على ضفاف الحلم
تغريدة الروح والدم
ديوان الحب والحكمة

خفقات قلب
زهرة الصحراء
في ظل الحبر ٢
على ضفاف الذاكرة
محسن المصدوق
إسراء ـ أصفار العهد القديم
وعلينا السلام
انتقام الشر
الأحلام الوردية
أنت الحياة ودونك الموت
رسايل بحيص
ميراث الماضي
بداية حياة
سلة التفاح
فضة
قانون الحب
على الهامش
بين الجدران
سرطانية
العملاء
حنايا الروح
غربة حرف
غدا يوم جديد
أروقة الحنين
إحساس محمود
أنين سديم
الأتينيو
طلسم عشق
على شرف المحبرة
رباعيات
معزوفة حرف
في ظل الحبر ٣
أفول الأوهام
حديث الروح والقلب
أرض الأحلام
غابة التعاويز السبعة ـ ملوك وتيجان
داون ٢١
فين عصايتك
من برلين إلى مارلين
حبيبتي أميرة البحار
رسائل أحرقتها العواصف
أفكار للتأمل
الجني العجوز

أحببت قمرا
غابة التعاويز السبعة ـ أرض الأجداد
قلوب من الجنوب
بداخلي غصن زيتون
كلام ابن عم حديت
عذراً أيتها الخنساء
فليبق الأمل
لا سكاكين وجع في هذه المدينة
سر الملكوت
قرة عيني
عيناكِ
ياء.. سين
بداية جديدة لكل أم
وقتي من ذهب
القائد الصغير
سمير وهدفه النبيل
لأنكِ مني
قابلتك في المترو
قبة الحياة
ماريوه
لقاء غريب
وحينما افترقنا
دوائر
آخر قطرات الحنين
اليوم الأجمل لم يأت بعد
عندما ينطق الحرف
الغروب الأخير
رانت الأيام
أبعد من الكلمات
اتجاه إجباري
قصة عشق ـ ج١
سجود المشاعر
رسائل لم تصل
بين أجنحة الكاردينال
أسيرة روح
صغيرتي
حكايات رحال
جوري
غربة روح
توءم الشعلة
عادي في بيتها
رسائل منسية
خلف القلوب الصامتة

وقابلتُ شيطانا
تزوجيني أولا
لم أكن أتوهم
ملاك أنت أم بشر؟
العملية كوبرا
ذلك الغريب
عاشقة على سفح القمر
احترس هناك بشر
قسمة ونصيب
مع العصفور
برادلي ولغز أهل النجوم
أزرق داكن
عنوان غموض
مخطوطة إبليس
حبر الألم
متاهات الحجرة المغلقة
طريقي بقربك
موعدنا ذات صباح
بلدة على أطراف العالم
بين طيات الهوى
أسرار الالتفات في سورة النحل
سكين ودماء
رجة عقل
تاج
كأولين
صديقي عرّوب
حكايات شارع العمدة
محاولات في القافية
دور المجمع العلمي العراقي
عاليا يا عرب
حروف مبعثرة
القرآن خارج الصندوق
نعم أحبه.. ولكن
فرس على جبل
لامار
عندما يُعشق الزيتون
أخر الحلم
حواء تحت الهامش
سيكولوجية النهاية
عنكبوت اللهفة
حديث لا يقبل الرحيل
ذات الرداء السماوي
العنقاء

ضمير الشيطان
الحياة في ريفانا
امتنان
سقوط بطئ
السر الآسن
شيفرة القدر
لسان التمساح
ليليان
بطل بلا عنوان
مشكاتي تنزف عشقا
نحو مقاربة جديدة لإعادة التربية
ظلال على جدار الروح
إعدام القيود
أنتِ قدري
هذه هي أنا
التدفق في عروق الذاكرة
من بين عيونك باتولد
صدفة
خواطر قلبية
مبرر نهائي
موسم الأحلام
حقيقة وما بعدها
صوت وصمت
خواطر الثامنة مساء
أحلام مبتورة
دموع الشتاء
حينما فاض قلبي
حكواتي هذا الزمان
مميز بالأسود
صحفية على هامش الحب
قطوف أندلسية
دراويش وكرامات
قبل النهاية
دينامية المشروع الشخصي
كبير العيلة ٢
كما سقطت الفراشة
كانت لنا أيام
مكالمة خاطئة
أغنيات الرحيل
حكايات الشهيد
وجع الذاكرة
الحلبية
كبير العيلة ٣
وتناثرت الأجزاء

العالم متر في متر
على جناح الحلم
شهقة نبض
اعتذار غير مُجدي
ظلال المرئي
طفولة بلا زوابع
أسطورة قلبي
دلني على السوق
كلمة أم حكاية
بقايا ذاكرة
تدريس اللغة العربية
رحلتي إلى السودان
أطلال أحلام
لم يعد قلبي لغيرك
في ظل الحبر (ج٤)
جريمة أبريل
الجذور
عالم الشياطين
آمال
رسائلي إليك
ليلى والمجنون
جدار الذكرة
غيابة الجُب
سيد الشر
حنين إلى الدهشة الأولى
لظى الثلج
بدون مقابل
رسائل اشتياق
المقدس سره
مملكة في رحم امرأة
الكونتيسة
مصريخ
مالاهاياتي
بطعم الحب
طرقات مختلفة
سامح على اسم خاله
ضواحي المدينة
خريف ٢٠٩٤
أشواق مبعثرة
التربية على قيم حقوق الإنسان
جنينة العكارشة
سرابيل الخوف
الحب كما يجب أن يكون
حلمي حلمك

رحلة طبيب إلى الحج
للحب كلمة أخيرة
طيور في سماء الإحساس
كوفيد التاسع عشر
سبريتوس جيمناي - سحر أورتم
القصة القرآنية ومدارج التأويل
وريث فنريسولفر
أمل بعد حب وخيانة
لنا عودة
هي والقدر
بروليتاريا
نقطة
وادي الرماد
لأجل هذا خلق الحزن
مدرسة العظماء
على حافة اندلاع الاعتقاد
كل الطرق تؤدي إلى السادسة صباحاً
على حافة الرصيف
سبل الإيمان
وحدك
صرير الالتفات
خلوة
أنا المؤرخ
من قلبي سلامٌ
لحظة قدر
سفينة النجاة
موقعة شارع العمدة
الطفل المميت
القابعون تحت القيود
لغة الجسد في القرآن الكريم
هديتي لأحبتي
حفيدة هنريتا
لم تكن صدفة بل كانت قدراً
كلمات
شيرخان
في براح الأمنيات
فلنبدأ القتل
وأخاف أن..
قطوف مغربية
الاغتراب الصوفي الأندلسي
مضمار العشق وعنواني
على جبين القمر
آر إتش(RH)
أسرار لغة الجسد

مداعبات فكرية
مرسومة يا عيون الصبية
جريمة في المالديف
صائد الصفقات وصغيرته
خريف الأندلس
مجرد حضور
نزاعات المشاعر
مجموعة إنسان
بعد الفراق
في ظروف غامضة
كلنا ندفع الثمن
شاي بالحب
أوراق البيلسان
صراع في أرض الفيروز
الشتاء الأخير - ج١
البحث عن الحقيقة
عم صابر
خوف وقصص أخرى
تحرير الصراع الداخلي
هنا دار الضيافة
هواجس
لارسا
أوراق من أشجار الدنيا
منطق الطير
سونيا وأسامة
الليالي السوداء
أسرار يونس
جريمة في الحي الصامت
لي في المأوى أورفيوسي
كولة أبو ليلة
مغرب ما بعد الربيع العربي
شحات العسل
قمر إسرائيل
كوزيلي
قناعة الكلام
انهض واصنع ذاتك
محمد نبي الرحمة
طريق السعادة
كان شيئاً كان ثم انقضى
آليات التقدم العلمي
صناعة الإرث
تناقضات تتآخى
قراءة في سطوح بيتنا القديم
على حافة الشوق أنتظر
حبر
القلب وأحواله في ضوء القرآن الكريم
قيامة العملاق النائم
طوق الياسمين
الصلوات النهائية على خير البرية
التاج المذبح والسعاة
ليلاكس
رواسب
تناديني سيدي
المسيحية اليهودية
النرجسي والقبيح والفاتنة
يوم كتابة قدري

# ليلاكس

أبريل هو أكثر الشهور قسوة؛ إذ أنه يخرج زهور الليلاكس التي تعبر عن البراءة لتحيا في الأرض الخراب

هل يستطيع الفرعون الأخير أن يعيد الحضارة إلى ضفتي النيل مرة أخرى؟ أم ستلتهمه قواه الجديدة؟

رواية

طارق وحيد أبو حصوة